

من عمر ابنى الى رغلون

أبلغ درس فى الوطنية على يد الحب الطاهر

بِقِلَّةِ
نَقْلِ الْجَدِيدِ

مؤلف روايات : فرعون العرب عند الترك . وجعية اخوان العهد . ووداعاً أيها الشرق . ونبية
بنان . وحركات السيدات فى الانتخابات . وثورة عواطف . والعالم الجديد . وحواء الجديدة .
وآدم الجديد . والحقية الزرقاء . والصديق المجهول . وودوالج . ومؤلف علم الاجتماع . وعلم
دب النفس . والحب والزواج . وذكرأ وأنى خلقهم الخ .

حقوق اعادة طبع هذه الرواية وحقوق تحويلها الى تمثيلية أوسينمائية

وحقوق ترجمتها وكل حق فيها محفوظة المؤلف

ش. ا. مصر . سنة ١٩٢٨

كلمة الى القاريء الكريم

كانت النية معقودة على أن تكون رواية المجلة المسلسلة في هذا العام رواية جديدة الطراز مبتكرة الاسلوب لم يسبق لها ند في عالم الروايات العربية على الاطلاق . يراد بها تصوير النفسانية الاجتماعية الحالية في العالم كله وأبنولة مصيرها الى نظام اجتماعي جديد توحيه قوة علوية صالحة . وقد شرعنا بتأليف هذه الرواية . ولكننا رأينا أن الاجادة فيها تستلزم تفكيراً عميقاً وتأنياً في الوضع . فلم يمكن انجازها قبل دخول السنة العاشرة الحالية من مجلة السيدات والرجال، وقد لا تنتهي من تأليفها قبل الصيف القادم .

ولذلك رأينا أن نقدم للقراء الكرام رواية أخرى شيقة طلية كان قد اقترحها علينا أحد الاصدقاء على أن نضمنها صورة لتروح الوطنية التي نشأت منذ ثورة عراقى وترعرعت في عهد فقيد الشرق سعد باشا زغلول . وهما هي بجزالة أحاديثها وغرابة حوادثها . ونعتقد أنه متى اطلع القارىء على البضع عشرة صفحة الاولى منها أدرك ما فيها من جاذبية وطلاوة . والله المستعان

نقولا جـ ٧
١٩٢٨

ش. ا. مصر. نوفمبر سنة ١٩٢٨

الفصل الاول

طفل في يد القضاء والقدر

وما وجد الشيخ محمد حسن الصنوبري نفسه الا وحده وفي يده محفظة صغيرة محتومة بالشمع الاحمر ويد غلام لا يتجاوز الرابعة من العمر والغلام لا ينبس ببنت شفة كأن الجزع أخذ منه كل مأخذ. ثم رأى من بعيد بضعة فرسان قادمين أيضاً فاسرع ودخل بالغلام الى داخل المنزل ووضع على فراش وقال له :نم الآن يا بني لاتخف . سأتيك بطعام

ثم أخبأ المحفظة في مكان خفي . وما هي الا دقيقة حتى سمع وقع حوافر الخيل . وما لبث أن سمع منادياً ينادى : من هنا ؟ يامن هنا هلموا

فخرج مسرعاً فاذا اربعة فرسان قد وقفوا أمام باب منزله وقال له أحدهم :هل مراكب فارس منذ بعض الساعة

- نعم منذ ربع ساعة تقريباً

- هل وقف هنا ؟

فانتفض محمد جزعاً وحار ماذا يقول ولكنه ما عدى جواباً فقال : نعم طلب ماء فقدمت له فشرب ووكز جواده فغار به

- ماذا كان معه ؟

فاجفل الشيخ الصنوبري وانهلع فؤاده وقال متلعناً : لا أدري

- أما كان معه غلام ؟

في مساء ٢٨ شوال ١١٠١ - بتهبر سنة ١٨٨٢ كان محمد حسن الصنوبري شيخ عزبة طنوف واقفاً أمام باب « دواره » ذاهلاً لان في قلبه غمواً تكاد تخنقه ، اذ أقبل عليه فارس ينهب جواده الارض نهياً . فاشتد روعه واصطكت مكتبته . وما هي الا هنيهة حتى وقف ذلك الفارس أمامه وناداه باسمه : محمد حسن الصنوبري

- نعم عبد سعادتك يا مولاي

- خذ هذا هو الغلام وهذه هي المحفظة المحتومة واحفظهما عندك . لاتدع أحداً يعلم شيئاً عن الغلام . ان لم تستطع اخفاه فادع أنه ابن أحد ذوى قريبتك . لاتسلمه الا لمن يذكر لك كلمة السر بيننا وهي « متراس » أحفظها جيداً . ماهي ؟

- متراس ياسيدي . لكن ... ما شأن ...

- صمتاً . لاتسأل ولا تقل شيئاً ، وليس

عليك أن تفعل غير ما أمرتك . وأن عصيت حرقاً من الاوامر فتأكد أنك هالك أنت وأهلك . اني مستعجل الآن اخي الغلام حالا .

حاذر أن تعترف به لاحد . أن حياتك وحياة قلوبك رهن تحت حياة هذا الغلام وهذه المحفظة الصغيرة المحتومة . حاذر أن تفتح المحفظة

الا فتحت باب قبرك

ثم أنطلق الفارس في سيله كالسهم الماروق .

- لم أر معه غلاماً . ربما كان الغلام مخبواً تحت عباءته . وإنما لحظت انه مدحجج بالسلاح فلم اجسر أن اخاطبه بكلمة
- وماذا كان على رأسه ؟
- عمامة
أما بقى في هذه العزبة ؟
- لا ياسيدي . بل رأيت قد انطلق بجواده وتواري
- اما اختبأ عندك أو عند أحد ؟
- كلا ياسيدي . اذا شئتم فتفضلوا الجشوا . هال المنزل مفتوح
- لا ارى احداً من اهل العزبة هنا فإين هم ؟
- كلهم في الحقول والفيضان
- لقد انقضى النهار والشمس تغيب فلماذا لم يعودوا ؟
- اظنهم يبقون في الفيضان لانهم خائفون من الطواري .
- لماذا يخافون ؟
- بلغ البنا ياسادتي ان الانجليز اصبحوا على مقربة من التل الكبير وستحدث المعركة الليلة أو غداً ونخاف ان يكونونا كنساذاً ...
وهنا تردد الشيخ الصنوبري فقال له ذلك الفارس : ماذا ؟
- اذا لم يستطع جيش عراقي باشا أن يقف في سيلهم
- ولماذا تظن انه لا يستطيع ؟
- لا ادري ياسيدي . النصر بيد الله يأتيه من يشاء . يقولون ان عند الانجيز جيشا كنجوم

السماء والكثرة تغلب الشجاعة
فاتنهره الفارس وقال ساخطاً : لا . لا تخافوا . اننا منتصرون عليهم باذن الله . والحق ينتصر على الباطل . فاستدع اهل بلدك وطمشهم ودعهم يستعدون لضيافة من الجنود التي ستنتصر قريباً
ثم وكز الفرسان جيادهم « فرمحت » بهم رحماً وبقي الشيخ الصنوبري وقلبه ينهلع جزماً وهو لا يفهم شيئاً من كل ما يحدث
من هو الفارس الاول المغمم المتزمل بالعباءة ؟ لم يره في حياته . وكيف عرفه الفارس باسمه ولقبه ووظيفته . ومن هو هذا الغلام الذي جاءه به ؟ ولماذا اودعه الفارس عنده ؟ ومن هم هؤلاء الفرسان وما شأنهم وما علاقتهم بالفارس الاول ؟
كل ذلك لم يكن الصنوبري ليفهم منه شيئاً . ثم دخل الى المنزل فوجد الطفل لا يزال مستلقياً على الفراش خائفاً فتكلف البشاشة له وقال : هل تريد ان تأكل يابني ؟ قم كل عسلاً ولبناً . هل تحب العسل ؟
فأجاب الطفل بصوت خافت : « ايوه »
- قم اجلس ولا تخف
جلس الطفل وجاء الصنوبري بصحن فيه لبن خائر (زبادي) وعسل وقدم له خبزاً . فجعل الطفل يأكل مستأنساً فقال له : ما اسمك
- اسمي جميل
- ما هو اسم أبيك
- البك
- حسن بك أو محمود بك أو . . ؟

من عرابي الى زغلول

بلا شك ولا أستطيع أن أرح من هنا لأن
سيدي على بك سيف قائد الفرقة الاولى أمرني
ان الازم منزلي وأكون على استعداد لاستقباله
اذا جاء والا جرد لمي عن عظمي. فدعوني .
ميت ميت على كل حال

الميرالاي على بك سيف صاحب نفوذ في تلك
التاحية لأنه كان نظراً على أملاك على باشا
الربيعي صاحب أطيان كثيرة هناك وله هبة
وصولة والاهالي يخافون بطشه . ولذلك
ترك الاهالي الشيخ الصنوبري في بيته وعادوا الى
الغيطان قازعين اليها من هجمات الجنود . وتركه
أيضاً أولاده وزوجته وبقي هو ذلك الطفل
وحدها وكان يسمع كل برهة بعد أخرى
قصص المدافع لأن التل الكبير لا يبعد عن
تلك العزبة أكثر من ستة أميال . ولذلك لم
يغمض له جفن . وأما الغلام فبالرغم من خوفه
ووحشته تغلب عليه النعاس فنام ، ولا سيما لأن
محمد حسن الصنوبري رق له وكان يجتهد أن
يطمئنه ويؤانسه

وكان الشيخ الصنوبري يستغرب كل شيء
في الطفل لأنه كان جليلاً كاسمه وكان شعره
أشقر وعينه زرقاوين ، ووجتاه مودتين ،
وملابسه نظيفة بسيطة

وتأمل المحفظة مراراً ووزنها بكفه فاشتبه
بوجود نقود أو حلي فيها لأنها خفيفة ، ورجح
أن فيها أوراقاً فقط . فلم يمه أمرها
في آخر الليل انقطع دوي المدافع وهذا
الجووشكنت كل حركة ، كأنه ليس نمة حرب

- اسمه البك
- واسم أمك - نعيمه
- من هو الرجل الذي جاء بك الى هنا
- لا أعرفه - أين بيتكم ؟
- هناك جنب الجامع

وجعل الصنوبري يدقق في سؤال الغلام
على هذا النحو فلم يستفد منه شيئاً أكثر مما
تقدم ، بل جل ما فهمه هو أن الطفل يعيش مع
أم وأخت أصغر منه اسمها جميلة وأن رجلاً
اسمه البك يتدد على المنزل

وفيما هو يستجوب الغلام على هذا النمط
جاءت زوجته وابنته وابنه من الغيط وبعض
أهل البلد وسألوه من هم أولئك الذين مروا به
ووقفوا عنده وماذا قالوا له ؟ فأجاب ملففاً
لهم الجواب تلفيقاً لكيلا يتبادوا في التحقيق :
ان الفارس الاول هو زوج بنت أختي في بليس
وقد ماتت امرأته وليس عنده من يرثي ابنه
فأودعه عندي ربما يعود من المعسكر لأنه
جندى وموقد بمهمة . وسيعود بعد يومين ان
لم يقتل . وأما الفرسان الآخرون فانهم ضباط
في جيش عرابي وقد طافوا في هذه الجهات
لكي يطمئنوا الاهالي

فصاح بعضهم : ومن يطمئن والآنكلز
قادمون بجيش جرار وقد شرعوا يضربون
التل الكبير . الأفضل ان نعود الى غيطاننا
قبل أن يكسرونا تكسيراً ويسحقوا أكواخنا
سحقاً . هلم معنا يا شيخ محمد هلم والا ..
فتنهذ الشيخ قائلاً اما اني هالك فهالك

— صمتاً يا شيطانة . ربما كان زوج
بنت اختي من سلالة الممالك . فما شأنك أنت ؟
هذا ابن بنت اختي وقد ماتت أمه . وهو وديعة
عندي الى أن يعود أبوه فيأخذه . فإذا لم
يمجيك هذا الكلام فاذهي الى بيت أهلك
— يا سلام يا شيخ محمد وبعد معاذرة ١٨

سنة يا خوياء تقول كذا ؟
— أيوا أقول والافاخرسي ،
— « طيب سكت »

وانصرفت رليخة زوجة الصنوبري الى
الغرفة الاخرى مخافة أن يشور غضب زوجها
لأنها رأت عينه حراوين خلافا للعادة . ولكنها
ما لبثت في زلوية خدرها حتى أجفها قرع
شديد على الباب فقالت : يا شيخ محمد ، يا محمود ،
يابني « أحم جم يا ويلنا »

فنهض الصنوبري وفتح الباب وكانت الشمس
قد غربت . فرأى شخصين غريبين الواحد شديد
السمة كان قد رأى رجلا مثله مرة في حياته
وقيل له انه هندي ، والآخر اسود حالك السواد
جداً لم يفهم الا انه سوداني . وكلاهما يرتديان
ملابس عربية ذات هتدام وعلى رأسيهما عمامتان
وفي كنف الهندي حقيبة معلقة بسير من الجلد
وتحت أبط الزنجبي بقعة

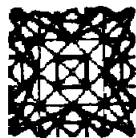
ولا قتال . ترى هل انهزم الانكليز ؟
في الصباح عاد بعض الاهالي الى القرية وكل
واحد يروي خبراً ، والاخبار متضاربة ، بعضهم
يقول ان عرابي اسرا الجبال ونسلى ، وآخر يقول
أن الجنود المصريين دحروا الانكليز وألقوهم
في قناة السويس الى غير ذلك ، وآخرون قالوا
بالمكس . ولكن كل هذه الاقوال لم تطمنن الاهالي
فكانوا بين ذاهب الى الفيظ وآيب . ولما مالت
الشمس الى المغيب كان معظمهم أو كلهم تقريباً
قد أدخلوا البلدة وفرزوا الى الحقول

وتأخر مع الصنوبري ابنه وزوجته لأنها
كانا يعدان الطعام ويجهزان بعض الامتعة
لنقلها الى الفيظ لتلاييهما الجنود عند مرورهم
بالبلدة .

وكانت زوجة العمدة الصنوبري موحدة
من وجود ذلك الطفل في بيتها كأنها لم تصدق
قول زوجها انه ابن بنت أخته المتوفاة . فقالت
له : أعلم ان لاختك بنتاً متزوجة ولكني لا أعلم
أن لها ولداً . فقل لي ما خبر هذا الولد

فقطب حاجبيه وقال اذا لم تصدقي قولي
فانت طالقة

فارتعدت زوجة العمدة وقالت : صدقت
ولكني أرى في ملامح الطفل ملامح الاتراك



الفصل الثاني

شجرة نابتة من مبخرة

فأشرفت أسرة الصنوبري وقال: إذا حدث كما
تقول فيكون الشيخ شندی يعرف علم الجفر
حقيقة .

فنبسم الزنجي وظهرت دراري أسنانه
في ليل وجهه القاتم وقال : هذا أمر لا يحتاج
الى برهان غير الصبر لقد أو لبعد غد ، ولكن
في امكان الشيخ شندی لال أن يبرهن لك على
مقدرته الآن

ثم التفت الزنجي الى الهندي وقال: ماذا
عندك هنا يا شيخ شندی لال وماذا تجدها؟

فتلقت شندی لال هنا وهناك وهو يتم
ويغمغم ويهذرم ويعزم ثم قال: في هذه الزاوية
نجد عشرين قطعة ذهبية من العملة القديمة التي
تساوي القطعة منها نحو ربع الجنيه وهي مخبوءة
منذ عشرين سنين هنا . هاتوا ممولاً صغيراً فأريكم
ففي الحال جاء الصنوبري بالمول فأخذه

شندی لال وجعل ينكت به التراب في الزاوية.
وبعد خمس دقائق اعمل أصابعه في الحفرة ثم
استخرجها فاذا بينها القطع الذهبية تلمع ثم جعلت
تساقط والزنجي بلمة قطها وبعد فاذا هي عشرون
واحدة. فسلمها للعمدة وهذا مدهوش مستغرب
ثم تلقت شندی لال هنا وهناك أيضاً وهو
يتم ويغمغم . ثم همس في أذن الشيخ الصنوبري

فاستغرب العمدة أمرها وقبل أن يسألها
شيئاً قال الزنجي بالعربية المسموخة ما معناه
نريد أن نكون ضيفين على الشيخ محمد
الليلة وسكافته خيراً

— أهلاً ومرحباً. ولكن ليس عندي شيء
— لا بأس لا نحتاج الى طعام ولا الى
شراب ولا نبتني غير المأوى للصباح

— ولكن كل أهل البلدة خرجوا الى
الفيط لانهم خائفون من اكتساح الجنود بلادهم
الليلة .

— لا تخش بأساً يا حضرة الشيخ. فجنودنا
ستتصر على الانكليز وتدمرهم وغداً تسمع
الخبر اليقين

فاختلط الامر على محمد الصنوبري وقال
مرتبكاً مضطرباً : كيف تعرف ذلك يا آغا؟ هل
عندكم أخبار

— لا لا وأما الشيخ شندی لال الهندي
يعرف بعلم الجفر. وقد ضرب الرمل وتأكد أن
الانكليز الليلة سينكسرون وينهزمون وسيبعثهم
جيش عرابي ويرميهم في قناة السويس . ولهذا
نحن جيشاً لكي نسير وراء الجيش ونغنم من
الغنائم الخفيفة التي يتركها الجيش الانكليزي
وراءه. وإذا شئت فأتأخذك معنا ونقاسمك الغنائم

قائلاً في المنزل أيضاً غلام صغير غريب مجهول
فارتعد العمدة وانتفض فؤاده وقال: ويحك
هذا ابن بنت اخي

فتبسم الهندي وقال: لا تذكر علي الحقيقة ولا
تحف من كلامي . ان وجود هذا الغلام عندك بركة
لك وستحصل بسببه على نعمة عظيمة
فتنهذ الصنوبري الصمداء وقال متلعثماً: بربك
كيف عرفت؟ هل تعرف ...

— نعم رأيت روح الغلام ترفرف في هذه
الغرفة وهي مطمئنة غير خائفة واطمئناتها يدل
على حسن حاله في المستقبل

فازداد الصنوبري اضطراباً واتسع صدره
آملاً وقال: هل تستطيع أن تعلم شيئاً عن هذا
الغلام؟

— بلا شك أستطيع أن أعرف كل شيء
عنه حتى ما لا يعرفه أهله عنه . فهاته الى هنا
أخبرك كل شيء

— قد يخاف

— لا . لا . أنا أدعه يأتنس . الي به
فأريك ماذا يكون من أمره ومن أمرك معه
فد الصنوبري في أول الامر متذكراً
وصية ذلك الفارس وخاف سوء المغيبة ولكن

الهندي الساحر شدي لال بش له وقال: لا توجس
شراً . اني ضيف كريم . وقد اكتشفت لك
سعادة عظيمة ستألفها عن يد هذا الغلام المحبوه
عندك . فهاته لسي أقرأ لك مستقبلك معه

فتشجع الصنوبري ودخل الى مخدعه وجاء
بالصبي ملاطفاً له . وحاول شدي لال أن يبش

للطفل ما استطاع حتى لا يفر منه
ثم قال للصنوبري: اني أريك الان أهل هذا
الطفل وبيته والحي الذي كان فيه وكل شيء
مختصاً به

ثم فتح الهندي بقفجه وحقيقته واستخرج
منهما بحجرة وخفا وأوقد الفحم فيها ووضع
عليه أنواع البخور المختلفة الرائحة وهو يتممة
ويغمغم ويقول للعمدة: انظر . ابصر . ماذا ترى
انظر ابصر انظر هذا . هذالك . انظرها الشجرة
أما العمدة فكان يتشقق دخان الحجارة
الذي ملأ المكان وما لبث أن شعر بدوار
بسيط . ثم استولى عليه مثل زهول كأن سحراً
وقع عليه أو حلت عليه جنية خبيثة ، فلم يعد
ينطق ببنت شفة بل كان ينظر ويسمع كلام
الهندي ويرى رؤى مدهشة لم يرمثلها في حياته
ولا خطرت له قط

كان يرى الحجارة في وسط الغرفة والدخان
الذكي الرائحة يتصاعد منها حتى امتلأ المنزل
دخاناً ولكن الدخان لم يكن قائماً بل كان كأنه
نور مائل الى الغرفة . وكانت يرى الغرفة تتسع
تدريجياً حتى صارت داراً واسعة جداً ومرتفعة
ولها قبة لا يسكاد يرى أعلاها

كان يرى أوتوهم أنه يرى كل ما كان الهندي
يقول له أنه يراه أو يأمره أن يراه أو يوجهه أنه يراه
ثم جعل يرى في الحجارة نباتات تنبت وتنمو
نمواً محسوساً رويداً رويداً حتى صارت شجرة .
وصارت الشجرة تكبر وتنبسط وتشمخ وتمتد
فروعها وتزداد حتى ملأت ذلك المكان المتسع .

ثم ألقى الهندي الغلام في سرير مذهب وجعل يطوف بالصنوبري في القصر ويريه ما فيه من تحف ورياش إلى أن وصل به إلى غرفة فيها سرير أتيق فاستلقى عليه الصنوبري ليرتاح فالبث أن أغنى

ذلك كان آخر عهد الصنوبري في رؤياه العجيبة المدهشة التي زينها له سحر الهندي وبالأحرى دخان بخوره المسكر وكلامه المقاطيعي الموهوم. وقد استغرق في التوهم كأنه في سبات وما صحا إلا بعد حين إذ روعه دوى البنادق فهب مذعوراً مرتعباً، فإذا به يرى نفسه في أرض غرفة منزله التي كان فيها ولا يزال المصباح مضياً. ولكن لا شدى لال الهندي ولا الزنجي ولا الطفل موجودون. وإنما كان أزيز الرصاص يرج منزله فهرع إلى مخدعه فإذا زوجته وابنه مذعوران أيضاً. وقد لجأ إلى الزاوية وأخذ أنفاسهما وهما لا يدریان ماذا يفعلان

وانضم إليهما وقال: بويلاء ما هذا؟

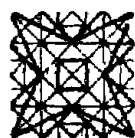
فهمست زوجته قائلة: نهرب من الشباك فأجابها قائلاً: اني أسمع الرصاص يدوي من جهات المنزل الأربع: فأى شباك تريدان أن تسلمى روحك منه بالعينة

وصمتوا جميعاً وبعد دقائق معدودة سكن دوى الرصاص ثم سمعوا الفرع على باب المنزل

ورأى أوراق الشجرة كأنها مصوغة من الذهب وفروعها صفراء ذهبية ثم صار يرى أوراق الشجرة نورانية شفافة

ثم رأى الصبي نائماً وقد حمله الهندي شدى لال تحت أبطه وصعد به على الشجرة إلى أن صار بين فروعها وأومأ إلى الزنجي والشيخ الصنوبري أن يتبعاه. وكان يسمع صوت الهندي ضعيفاً وهو يقول: اتبعني يا شيخ محمد يا حسن الصنوبري. اتبعني على الشجرة فأريك قصر أهل الغلام وحديقتهم وعزمهم. هلم اصعد. انك لنشيط خفيف الآن

ورأى الصنوبري ذلك الزنجي يصعد بسهولة على الشجرة. فتبعه وصعد وهو يستهل الصعود والهندي يغفل بين أفانين الشجرة والزنجي يغفل إلى جانبه والولد تحت أبط الهندي وهو صاعد على الشجرة بين غصونها. وأخيراً توهم الصنوبري نفسه أنه قد أصبح فوق الأرض عشر قامات كأنه طائر. وأطاف نظره فإذا به يرى نفسه قد اعتلى فوق الفصون، ورأى أن الشجرة في حديقة غناء فيها البرك والمياه الصافية والأسماك الملونة، وفي وسط الحديقة قصر فسيح بيل لامتيل له. ثم شعر أن الهندي قد تأبطه وطار به إلى شرفة القصر ودخلا والولد لا يزال نائماً تحت أبطه الآخر أيضاً والزنجي معهما



الفصل الثالث

خيانة تلد خيانة

... لاني شاهدتهم راكبين جياداً ومتجهين الى البلد . فأخذت المفرق الآخر من الطريق قبل أن أنتقي بهم فاستبهوا بي لانهم لم يعرفوا من أنا . ولكنهم متى وصلوا الى المنزل ولم يجدوا الطفل فلا بد أن يخامرهم الشك بالفارس الذي انعطف في طريق آخر . ولذلك اعتقد أنهم تعقبوني مسرعين من غير أن يدركوني

... الا تظنهم رأوك حين توقفت في عزبة طنوف ؟

... لا أظن . لانهم لم يدركوني ولا يبصرهم ... وهل فهم الصنوبري أن الغلام يخصني ؟ فارتبك الشيخ حسن حسني السمهرى وقال متحيراً : ماذا تعني ؟

... . أعني . أما قلت له انك موفداليه من قبلي ؟

... لا . لانك قلت لي قبلاً انك ستقابله وتجبره أن رسولا من قبلك يسأله بغلام ويجب أن يحتفظ به عنده ويخبئه . فلما دفعت له الغلام كنت اعتقد أنه عالم بأمره .

فصفق الميرالاي علي بك سيف كفاً على كف وقال : يا لله ! اذن . الصنوبري لم يعلم شيئاً عن أمر الطفل . ويلى منك يا رجل ! ... عفواً ياسيدي ومعدرة

قبل أن نستمر في الحديث نعود الى ذلك الفارس الذي أودع الطفل عند الشيخ الصنوبري فانه ما صدق أن ترك الطفل في عهده حتى وكز جواده فاندفع به كالبرق الحاطف لا يلوى على شيء الى أن بلغ الى معسكر عرابي واندفع لا يجيد الى أي جانب حتى وقف في محلة الميرالاي على بك سيف قائد فرقة المقدمة . وكان الليل قد سدل ستاره فاستقبله الميرالاي مستظرباً وأدخله الى خيمته وسأله همساً : هل انتذته ؟

... بلا بد وأودعته عند الصنوبري ... مرحى . بورك بك يا حسن ياسمهرى . هل تظن أنه سلم

... لا ريب أنه سلم . وانما كان على قيد شعرة من الخطر . فان حسناو حامد بك المهندي وآخرين من صنائعهما كانوا على أهبة أن يسطوا على المنزل ويخطفوا الطفل أو يقتلوه . ولا يردهم أحد عن قتل كل من يقف في سبيلهم اذ لا يخفى عليك أن الحالة أصبحت فوضى في البلد وكل من له خصم أو عدو صار يستسهل اغتياله وينجو من العقاب وكان الميرالاي علي بك سيف يسمع الحديث مكفهراً قليلاً . فقال حينئذ : اذن كان انذار غير آغا في محنه . شكرآله . ولكن كيف عرفت أنهم كانوا على أهبة أن يسطوا على المنزل ؟

- أجل عليّ معظم اللوم . لاني لم أستطع أن اترك المعسكر ولا ساعة لكي اذهب لمقابلة الصنوبري وأفهمه شأني بالطفل ولا كنت أثق برسول أوفده اليه أفما ذكرت له اسمي ؟
- كلا البتة . بل قلت له هذا هو الغلام وهذه هي الحفظة . فلم يسأل شيئاً عن أمرهما . فاعتقدت أنه عالم به . ولكن لا تخف . لقد وصيته وشدت عليه التكبر وتهدته اذا كان يعترف بالغلام لاحد ، بل عليه أن يدعي أنه ابن أحد ذوى قرباء وقد أودعه عنده مؤقتاً لأن أمه ماتت فتعلم على بك سيف وقال : ان هذا التحذير غير كاف . يجب أن تعود اليه الليلة وتحذره وتفهمه أن الغلام يخصني
- فما تردد حسن حسنى السهمري في أن ركب جواده وطار به . وبعد نحو ساعة عاد يقول الاميرالاي : أن ذهاني الى الصنوبري أصبح خطأ وخطراً على الطفل لأن حسن بك الهندى وأخاهور فيقيهما النقواني واشتهوا بغرضي فتبعوني فاذا بلغت الى الصنوبري ثبت لهما ان الغلام هناك — وي وي . لا تذهب الى هناك لانذهب والا هلك الغلام لامحالة . وما داموا يحومون في تلك الجهة فلا ريب انهم لم يهتدوا للغلام بعد
- سمعاً ياسيدي . خطر لي خاطر — ماذا ؟
- ألا تقدر ان تستصدر أمراً من عراب باشا بالقبض عليهم وتجنيدهم فضحك علي بك سيف . وقال : قبل ما يأتني الترياق من العراق يكون المملوك قد فارق .
- نحن على اهبة المعركة الحاسمة . فاذا لم تحدث المعركة الليلة فلا بد أن تحدث غداً . فلم يبق وقت لاستصدار الاوامر . ماذا يقول الناس وماذا سمعت من الاخبار ؟
- القول الشائع ان الانكليز هلك نصفهم ونحن لم نخسر الا بغلة ونضوة فرس ففقه الميرلاي وقال :
- بدس الفرور . اما سمعت بقول آخر . — بلى . سمعت بقول خطير الشأن — ماذا ؟
- أن الجنرال الانكليزي المدعو ولسلي سيدخل بجيشه الى القاهرة في ٢٥ من هذا الشهر . أى يوم الجمعة
- قيل هكذا ، ولكن الناس استهزأوا بهذا القول . لا يستهزئون الا بأنفسهم — عجباً ! حضرتك في المقدمة وتقول هذا القول ؟
- نعم لاني عالم بالحقائق . عند الانكليز رجال محزون . يلوح لى أن في ضميرك شيئاً تردد في أن تقوله
- نعم — ما هو ؟ قل
- أعرف عربياً من عراب الهنادى — واذا كنت تعرفه فماذا ؟
- في امكاني أن أرسله برسالة شفوية الى... الى معسكر الاعداء !
- لا بل الى شيخ قبيلة الهنادى الذي يقال انه عمالي لهم

— ثم ماذا؟

— يبقى الذمل شغاك يا سيدى البك

— دعنا من هذا يا حسن دعنا . أظن أن

الانكايين يتحركون الآن فأنى أسمع دوى الرصاص والقنابل . الافضل أن نرجع الى الوراء

وعلى أن أنشط بجنودى وأنا فى المقدمة وعلى

كل الضفط . قم حالا . ان الانكايين ناشطون الآن

والارجح ان تحدث المعركة الحاسمة الليلة . وعلى

الغالب انى سأهلك فيها مع فرقتى فدية لعربى

وأعوانه . أود أن أنقهر فى صلح . ولكنى لا

أنقهر فى قتال مهما كان الأمر

— ولكن يا مولاي لا يزال باب السلامة

مفتوحاً .

— كلا كلا . ألا تسمع الدوي ؟ فاذا قتلت

فمليك أن تنفذ وصيتى . ولى ثقة كبرى فيك .

فاسمع قبل أن تبرح

— قل يا سيدى والله خير الشاهدين

— تبذل جهلك فى الحرص على الطفل

وفى حمايته من طالبى حياته وفى تربيته سراً حتى

يتبرعرع . ثم تبذل جهلك فى تزويجه بيتى

الوحيدة جميلة . وبعد ذلك تفتح المحفظة المحتومة

التي أودعتها مع الطفل عند الصنوبرى

وترى ان كان فى امكانك أن تنفذ ما فيها . فان

استطعت أن تفعل ذلك فلك الحق أن تستولى

على الحسين فدائاً التى لى فى بلييس ، هذه

ورقة بخط يدى لا تعد نافذة الا بعد موتى ،

وبموجبها لا تستطيع أن تفعل ما قلته لك .

فلانفض ختمها ولا تطلع عليها الا اذا مت

عند ذلك وقعت قبيلة على مقربة من خيمة

الميرالاي ذعر لها حسن حسن السمهرى حتى

جعلته ينسب فوق الارض نحو متر . فقال له

الميرالاي علي بك سيف : امرع . امرع وانج

بنفسك .

واشتدت المعركة فى تلك الليلة وأظهر

الميرالاي علي بك سيف براعة فى القيادة

وبسالة تذكر حتى اسكت مدافع الانكايين

وبنادقهم . وبعد منتصف الليل ساد السكون

حتى الصباح

وانقضى النهار التالي فى نشاط عظيم فى

معسكر عربى استعداداً للمعركة القادمة . وانعقد

مجلس أركان الحرب غير مرة . وأما علي بك

سيف فكان يقظاً جداً فى تلك الليلة . وماخيم

الظلام حتى دخل الى خيمته امام أركان حربه

الصاغ حمدي افندي يقود اعرابياً متزملاً

بعباءة رثة . وقال : هنا يا جناب الميرالاي

رجل يريد منك حاجة وقد جاء ليعرضها عليك

بينك وبينه

ولما خرج الصاغ حمدي دخل العربى وخلع

عباءته فظهرت من تحتها عباءة فاخرة وظهر

العربى حسن البزة . فقال له علي بك : ما حاجتك

يا شيخ العرب ؟

فقال العربى : انى واسطة خير وأود السلامة

لبني دني ووطني

— بارك الله بك

— اذا شئت أن تستخلص نيتي فتسمع

الطريق بحسن السياسة قبل أن يستفحل الخطب
وتتعذر ملافاة المصيبة ونحقق دماء رجالنا ؟
وكان الميرالاي يسمع الحديث مصفياً هادئاً
منتبهاً فقال : ان كلامك حكمة يا شيخ العرب .
ولكن لست الاضابطاً في مقام قائد صغير الآن .
فسأعرض الامر على الباشا (عرابي) . فاهي
شروط الانكليز للصالح ؟

- يا حضرة البك . الانكليز لا يمرضون
صلحاً ولا يقبلون شروطاً . وانما نحن يجب
أن نتلافى الخطر قبل وقوعه . فاسمع مني وطاوعني
- غجباً ؟ ماذا تريد ،

أريد أن لا تعرض الأمر على أحد ولا
تساور الباشا لأن الموقف لا يحتمل مناقشات
ولا متسع للمشورات . وعرابي باشا متهور
لا ينصاع لرأي أحد . فاذا ساورته أفسد التدبير كله
- ما هو التدبير ؟

- لا أخفي عليك أن الانكليز هاجون
الليلة هجمتهم الأخيرة ومهما كانت قوتكم فلا
تستطيع الوقوف في سبيلها . فحقناً للدماء يحسن
بك أن تطمئن الجيش وتخلي السبيل ، هذه
نصيحة مخلص فافتكر فيها يا بك . السلام عليكم ،
سنلتقي ان شاء الله

ونفض الشيخ العربي يريد الخروج ، فقال
له على بك : مهلا يا شيخ مهلا ، دعنا ننته من
الحديث

- لقد انتهينا يا بك ، وأنت صاحب الأمر
والنهي

- لا . لم تنته بعد . ألا - يد الجواب ؟

مقالتي فان اعجبك كان خبيراً والا فلا قلت
ولا قلنا . ولا كان الذي جرى مناه . أنا وسيط
للخير فلا تحبني مجرمًا

- عليك الامان يا شيخ . قل
أرى يا حضرة الميرالاي أن نتيجة القتال
أصبحت معلومة ، كما تعلم انه بعد بضع ساعات
تطلع الشمس .

- عجباً . من يعلم غامض علم الله يا شيخ
العرب .

النتائج تعرف بمقدماتها يا سيدي . أن
الجنود الانكليزية تكاد تبلغ ضعفي جنودنا
ووراءهم مدد لا نهاية له ومؤونة وذخيرة بلا
حساب . فاذا صمدنا لهم يوماً أو أسبوعاً أو
شهرًا فلا نستطيع أن نصمد لهم عاماً ، أما هم
فيصمدون أعواماً . وقد خسرنا معارك
الاسكندرية وأبي قير وكفر الدوار والمسخوطة
والاسماعيلية والحيتم والقصاصين و... وسنخسر
معركة التل الكبير والزقازيق وبلبيس الخ . وأخيراً
سيدخلون غائمين ويملكون رقابنا بحق الفتح .

فلماذا لا نختصر الحرب قبل أن يتسنى لهم أن يدعوا هذا
الحق . لا يزالون حتى الآن يقولون انهم يحاربون
جنوداً متمردة لاجل تأييد الأريكة الحديوية .

وغداً سيقولون انهم يحاربون لأجل شرف
جنديتهم لانهم لا يحتملون أن يقال عنهم انهم
انكسروا . وبعد غد يحاربون انتقاماً منا . وبعد

بعد غد يدعون إمتلاك البلاد لانهم بذلوا فيها
دماءهم وأموالهم ويحاربون لتطهيرها من أعدائهم
ونصبح عندهم غرباء في بلادنا . فلماذا لا نقطع عليهم

— ليس للسألة الا جواب واحد . أجل
سهوت عن أمر « المكافأة » فهذه عفوطة .
وأنا ضامن لها
— لا . لا . لا . ليس هذا قصدي يا شيخ
وانما ألا نمود ...
— لا لا . لم يبق متسع من الوقت . في
منتصف الليل يجب أن يكون كل شيء قد تم .
السلام عليكم

وخرج الشيخ وترك الميرالي في بلبال .
وما لبث حسن حسني السمري أن دخل .
فسأله علي بك ما وراءك يا حسن
— أخاف يا سيدي أن يكون أولاد
الهندي قد أوشكوا أن يهتدوا الى الطفل
— ويحك كيف ذلك ؟
— أراهم حائمين على مقربة من عربة
طنوف وهم يرسلون الرسل الى هنا وهناك
ويأخذون أخباراً ويعطون أخباراً .
— ويحكم ! اذا هتدوا للطفل قضاوا على
مشروع العظم .

فقال السمري : وأنا أقول لك اذا انكسر
جيشنا العراقي أصبح هؤلاء الطغام مستفحلين
لأنهم من الحزب المضاد حينئذ يفعلون ما يريدون
فلا يقتلون الطفل فقط بل ينتقمون من كل من
يخص الطفل

— ولكن ابن عمهم علي باشا الريدبي من
الحزب العراقي . فهل يكونون ضد ابن عمهم ؟
— ويحكم . لا أظن أن أكون تحت

رحمة هؤلاء الطغام
— نعمه لا يفي عليك يا سيدي انه
يعدونك الد خصومهم
— اني عالم ذلك . وسوف أنتقم منهم
لن أموت يا سمري بل سأعيش لكي أنتقم من
هؤلاء وأبلغ أمني . عد وراقبهم . وسألاقيك بعد
منتصف الليل عند ثرة الهاشم . هل تعرفها أين هي
— أعرفها جيداً — انتظرني هناك

وخرج السمري . فاستدعى الميرالي
علي بك سيف الصاغ حمدي وقال له . اذهب
الى الباشا وأبلغه ان عندي معلومات وثيقة أن
الجيش الانكليزي لا يخرج للقتال الليلة بل هو
يستعد للمعركة غداً أو بعد غد فهل يريد أن
نهجم أو نترصد ونستعد نحن أيضاً ؟

فذهب الصاغ حمدي وبعد ساعة عاد يقول :
ان الباشا يأمر بالترصد ويود أن يرتاح الجيش
الليلة . ثم أخذ الصاغ من جيبه نسخة من
جريدة الجوائب التي كانت تصدر من الاستانة
ودفعها الى علي بك فقال له : ما هذه ؟

— جريدة عثمانية يا مولاي . اقرأ فيها
منشور جلالة السلطان
فجعل علي بك يقرأ منشوراً شاهانياً بنص
نصاً صريحاً على حساب العراقي وأعوانه جنوداً
عصاة متشردين يجب قمع ثورتهم واخضاعهم
وعقابهم .

فوثب علي بك من مكانه مستغيظاً وقال
ويحكم من ناكرين الجليل . نحن نحارب
مدافعين عن حقوق الدولة العلية في مصر فاذا

بسلطانها ووزرائها بحسبوتنا خونة متمردين .
ويحهم من مرأين . هذه مكيدة درويش باشا
مندوب الدولة الذي جاء لكي يصلح الامر
فأفسده وخدم ماآرب الانكليز . تبا للنافقين
المارقين . نحن نحارب ونسفك دماءنا لأجل
الدولة والوطن وهم يحسبوتنا خونة متمردين .
كيف حصلت على هذه الجريدة يا حدى
- مولاي انها منتشرة بين أيدي الضباط
والظاهر أن الانكليز أرسلوا جواسيس فدرسوا
نسخاً كثيرة منها بين رجال الجيش
- قاتلهم الله . اذاً نحن تهالك في سبيل
غرورنا . وعلى م سفك الدماء ؟
- ان الباشا يا سيدى انى قلق عظيم
وهو يجمع القواد ويشاورهم
- عجباً ولا يسألنى رأى ؟
- انه مدخرك يا مولائى للدفاع الاول
- الدفاع الاول ؟ يريدون أن أضحي
بجنودى لأجل هوسهم ؟ وماذا يقول الضباط
الذين اطلعوا على هذا المنشور ؟
- كما تقول أنت يا سيدى
- اذاً فقد الجيش قوته المعنوية . اذاً
يريدون أن أحارب وحدى وافتدى الوطن
وحدى . الا خسثوا . قل لجميع ضباط فرقنا
أن ينسحبوا بالجنود الى ما وراء الاستحكام نحو
ميلين من غير أن تسمع لهم حركة ولا ضواء
وأن تتجمع قوتنا في الشرق الجنوبي من خط
القتال على بعد ميلين
- مولاي أنتفصل عن الفرق الأخرى ؟
فصاح به على بك : هذه أوامرى . فعلبك
الطاعة بلا اعتراض . انى متحمل كل مسئولية
وما كانت الساعة الحادية عشرة حتى
أصبحت فرقة على بك منفردة وبميدة عن خط
القتال نحو ميلين وبعد منتصف الليل زحفت
العساكر الانكليزية وفي مقدمتها بعض الضباط
المصريين الذين كانوا من حزب الخديوى
وأمامهم عربان الهنادى يرشدونهم الى الطريق .
فروا لدى فرقة على بك سيف من غير أن
يطلق هؤلاء عليهم رصاصة واحدة كأنهم على
الحياة الى أن بلغوا الاستحكامات . فحملوا
يطلقون عليها النار الحامية ، فهبت جنود عرابي
مزعورة لهذه المباغثة وفرت نافرة مروعة
بلا قيادة وتشتت هنا وهناك . وعرابي وأعوانه
ينادون القواد والضباط ولا من يجيب الى أن
وقعت على خيمة عرابي ، قنبلة فنسفتها . فرأى
عرابي أن المكابرة لم تعد تجدى . فركب جواده
وفر يتبعه عبدالله نديم . وحاول بعض فرسان
لانكليز ادراكهما فلم يستطيعوا
ولما بلغا الى محطة أبى حماد أسرا السائق
أن يسير بالقطار بهما مسرعاً . ولما تردد تهديده
قاطع فسار بهما الى القاهرة
وفي القاهرة جمع عرابي ذوي النفوذ
وحاول انهاض قوة المقاومة من كبوتها فأخفق
فأرسل هوورفاقه عريضة الى الخديوى يعلنون
توبتهم ويطلبون العفو . ولكن لات حين
عفو . فقبضوا عليه وعلى بعض رفاقه وحاكموهم
ونفوهم كما يعلم القارىء

بسلطانها ووزرائها بحسبوتنا خونة متمردين .
ويحهم من مرأين . هذه مكيدة درويش باشا
مندوب الدولة الذي جاء لكي يصلح الامر
فأفسده وخدم ماآرب الانكليز . تبا للنافقين
المارقين . نحن نحارب ونسفك دماءنا لأجل
الدولة والوطن وهم يحسبوتنا خونة متمردين .
كيف حصلت على هذه الجريدة يا حدى
- مولاي انها منتشرة بين أيدي الضباط
والظاهر أن الانكليز أرسلوا جواسيس فدرسوا
نسخاً كثيرة منها بين رجال الجيش
- قاتلهم الله . اذاً نحن تهالك في سبيل
غرورنا . وعلى م سفك الدماء ؟
- ان الباشا يا سيدى انى قلق عظيم
وهو يجمع القواد ويشاورهم
- عجباً ولا يسألنى رأى ؟
- انه مدخرك يا مولائى للدفاع الاول
- الدفاع الاول ؟ يريدون أن أضحي
بجنودى لأجل هوسهم ؟ وماذا يقول الضباط
الذين اطلعوا على هذا المنشور ؟
- كما تقول أنت يا سيدى
- اذاً فقد الجيش قوته المعنوية . اذاً
يريدون أن أحارب وحدى وافتدى الوطن
وحدى . الا خسثوا . قل لجميع ضباط فرقنا
أن ينسحبوا بالجنود الى ما وراء الاستحكام نحو
ميلين من غير أن تسمع لهم حركة ولا ضواء
وأن تتجمع قوتنا في الشرق الجنوبي من خط
القتال على بعد ميلين
- مولاي أنتفصل عن الفرق الأخرى ؟

الفصل الرابع

اسمحر ام شعوزة

الفرسان الستة بقوا حراساً يحرسون المنزل .
وتقدم على بك والسمرى يطوفون في المنزل
الى أن بلغوا الى الزاوية التي كان فيها الصنوبرى
وزوجته وابنه . فلما رأوه تنهدوا الصعداء
ولكن الخوف الشديد كان قد عقد ألسنتهم
فقال على بك اطمئنا لا تخافوا . املكوا
روعكم لا بأس عليكم . انى أشم رائحة غريبة
لا هي عطرية ولا هي كريهة كل الكراهة . فاذا
جرى . أين الطفل ؟

فجعل الشيخ الصنوبرى ينتفض جزعاً
ويحاول أن يتكلم ولكنه لا يستطيع كلاماً .
فقال له على بك . لا تخف . أنت في مأمن
الآن فتكلم . أين الطفل ؟

- مولاي . طار .

- ويحك كيف طار

- نعم طار به الهندي الى . .

- تباً لك ، كيف يطير . ما هذا الكلام

قل لى ماذا جرى للغلام . أين هو ؟

- مولاي آخر عهدى اننا دخلنا معاً الى

قصر عظيم لم أشهد مثله في حياتى وبه حديقة

ليس في العالم مثلاً ، لها الجنة . وهناك ألقيناه

على سرير من الذهب لانه كان نائماً ونحن

طفنا في الجنة حتى تعبنا فمنا . وما همونا الا

على دوى اطلاق الرصاص

والذى يهنا من هذا الحادث ما كان من
أمر الميرالاي على بك سيفقاهه اجتماع بالسمرى
في المكان الذى عينه له ومعه بعض رجاله
الاخصاء . وترك جنوده لانفسهم ومضى برفاقه
توا الى عزبة طنوف . وما ان اقترب الى العزبة
حتى شعر أن فرساناً يتقدمونه فقال للسمرى :
أظن أن أعداءنا المهنديين يقصدون الى العزبة
يا سمرى

- لا شك في ذلك يا سيدى . والظاهر أنهم
علموا أننا ماضون الى هناك فثبت لهم أن الغلام
في العزبة فأسرعوا يريدون أن يسبقونا اليه

- اذاً ويحك . أسرعوا يا رجال لا بد
أنهم يطرقون بيت الصنوبرى أولاً . هلم يا رجال
ووكز الرجال جيادهم وعددهم ستة ماعدا

الميرالاي والسمرى . وما زالوا يرمحون . حتى
أدركوا المهنديين عند باب العمدة الصنوبرى .
فتبادلوا جميعاً اطلاق الرصاص نحو دقيقة ولكن
المهنديين رأوا أنهم لا يقدرّون على خصومهم
فولوا الادبار بعد أن أصيب أحدهم اصابة غير قاتلة .

ثم تقدم الميرالاي على سيف وقرع الباب
القرعة التي روعت الصنوبرى أكثر من اطلاق
الرصاص كما علم القارىء فاستسلم المقادير .
ولكن الباب لم يثبت أمام رفسة على بك . فانفتح
على ملته ودخل يتبعه السمرى . على أن

فكاد الميرالاي على بك ينقض عليه
ويخرطه نصفين بحسامه لولم يمك السمهرى
بذراعه هامساً قائلاً: ياسيدى اذا قتلتها لانعود
عرف مصير الطفل . اطل ابانك ودعنا نستجوبه
برقة ولطف لكى نعرف الحقيقة منه

ثم تقدم حسن حسنى السمهرى اليه وقال:
يلوح لى ياشيخ محمد انك لاتزال جزعاً خائفاً
تقول مالا نفهم . فاستيقظ وتحقق انك في امان
الآن . فماذا جرى بالطفل؟

فقال محمد حسن الصنوبرى لقد وثقت
بوجود سيدى على بك انى في امان واطمئنان.
وأنا مستيقظ جيداً وأفهم ما أقول. ولذلك أخبركم
أن الطفل لا يزال نائماً في قصر الجنة
- ياشيخ ماهذا الهذيان ؟

- صدقتى ياسيدى ان الهندى صعدت بنا
على الشجرة العظيمة التى جذعها وغصونها
من ذهب لامع وأوراقها من نور شفاف حتى
وصلنا الى الحديقة البهيجة ودخلنا الى القصر
العظيم الفخم الجميل ونمنا هناك . والظاهر ان
الهندى حملنا ونحى نائمون وعاد بنا الى هنا .
وترك الطفل في القصر

فقال على بك لاريب أن الصنوبرى قد جن
أو انه يتظاهر بالجنون لكى يتخلص من المسؤولية،
انى أسحق رأسه سحفاً اذا لم يرد لى الطفل
فانبرت زوجة الصنوبرى وارتدت عند
قدمى على بك وقالت: مولاي حليماً ورحمة
ورأفة . ان سيدى الشيخ محمد صادق، وقد صعدنا
نحن وراه على الشجرة وشاهدنا ما شاهد

وقد ترك الهندى الطفل نائماً في القصر
فسخط على بك وقال: ويحك وأنت تزكين
أفك زوجك يالعينه ؟ وهل تصدقين أن هذا
الهذيان يجوز على يابخيشة . أين الولد ؟
فانبرى ابن الشيخ الصنوبرى وقال : والنبي
العظيم الكريم ياسيدى . أنا طلعت أيضاً على
الشجرة وشاهدت الجنة
فقال السمهرى : حليماً وصبراً . وأين هي
الشجرة ؟

فقال ابن الصنوبرى أنا شاهدتها ياسيدى
تنبت من بحجرة الهندى في وسط هذه الغرفة .
والغرفة تتسع لكلمات الشجرة وكبرت حتى
أصبحت الشجرة عظيمة جداً ولم أعسد أرى
سقف المنزل

فتململ على بك وقال: يكفى هذا الهذيان
ياملاعين

فقال السمهرى: وأين الهندى وماهي حكايتها
فقال الصنوبرى: الح-كاية بسيطة أنا أرويها
بالتفصيل

وجعل الصنوبرى يحكى الح-كاية من أولها
الى آخرها كما عرفها القارىء بكل تفصيل وعلى
بك والسمهرى يسمعان ويستغربان هذا الحديث
الغريب . الى ان انتهى الصنوبرى فقال على بك:
كل هذه الح-كاية الملفقة لا تجوز على ياشيخ
محمد . يجب أن تخبرنى لمن سلمت الطفل؟

وجعل الشيخ محمد الصنوبرى يقسم ويحلف
بالطلاق ان الحكاية صحيحة . وكان ابنه وزوجته
يزكيانها. فقال السمهرى : لاريب انها صحيحة

حيته في ذلك المكان . ولا ريب انهما قصدا
المكان الاول على أثر اخذك الطفل منه فعلمنا
انك أخذته فتأثرالك خلصة وبجنا سرّاً حتى علما
أن الغلام هنا فاحتالا لاخذه . كل ذلك من غير
أن يعلم آل المهندي انهما يشتغلان شغلهم . ولذلك
بقي آل المهندي يسعون مساعيتهم من غير اعتماد
على الهندي ورفيقه الزنجي

— وهذا معقول ياسيدي اليك وسنرى ان
كان المهنيون يكفون عن البحث عن الغلام
فيكونون قد ظفروا به والا فيكون الهندي
والزنجي غير متفقين معهما

فلطم على بك كفاً على كف وصاح : ويحكم
من اشرار . اذا ظفروا بالطفل قتلوه لا محالة لان
حياته غريمهم . لا يريدون أن يعيش . آه .
واحسرتاه على جميل ! اني أحبه كابن لاني ربيته
من قبل فطامه حتى الآن . لقد أخذته ـ هذا
الطفل منزلة في فؤادي . ان فقدته نغصة لي . آه
يا ولدي يا جميل

وكان أسف على بك على فقد الطفل شديداً .
فجمل السميري يعزبه ويقول له : لا تنقط ياسيدي .
عسى أن تكون على تحمينا تها هذه خطأ . وعسى
أن نهتدي الى الهندي ورفيقه الزنجي

فتنبه على بك لامر وصاح : الله أكبر . ألا
يكون الزنجي هو عنبر أغا نفسه وقد احتال
لتخليص الولد من أولئك الاشرار ؟

— من هو عنبر أغا ياسيدي ؟

— هو الآغا الذي عند علي باشا الربيعي

ابن عم المهنيين . لانه هو الذي انذرنى بما كان

ياسيدي البك لاتنالا نزال انعم رائحة بخور
الهندي فلا ريب أن الهندي سحرهم وأخذ الطفل
فقال على بك : بل قل ضحك على عقولهم
وما سحره الا هذا البخور الذي يحتوى على
مخدرات هندية مختلفة كالخيش ونحوه مما اذا
سكر منه من يشمه رأى أحلاماً ورؤى عجيبة
ك هذه الرؤيا كما يوجها اليه كلام الهندي الساحر

فقال المنوبري : صدق ياسيدي ان
مارأيتك كان حقيقة لاني لم أنم بل كنت صاحياً
حين كان الهندي يحرق البخور والشجرة تسمو
فصاح به على بك وقال : كفى يا شقي كفى .

لقد ضحك الهندي والزنجي عليك وخطفوا الولد .
كان يجب عليك الا تدع هندياً ولا زنجياً يدخل
عليك أو يبيت عندك . لقد ضيعت الطفل يا معين
والتفت على بك الى السميري وقال : لا ريب
أن آل المهندي قد بعثوا بهذين الهندي والزنجي
لكي يسرقا الولد بهذه الحيلة من هنا

— لا أظن ياسيدي . لان آل المهندي
مسلحون جيداً فلا يصعب عليهم أن يأخذوا
الطفل بالقوة لو أحلهم انه هنا . وما كانوا حائمين
في هذه الغيطان الا لانهم لا يدرون أين الطفل
مخبوء ، وكانوا يترصون لما يعلموا أين نذهب
فيفهمون أن العاقل يكون حيث نتجه

— كلامك هذا معقول . ولكن ألا يمكن انهم

اتفقوا مع الهندي والزنجي من قبل على التجسس
على مقر الولد والاحتياط لحظفه وتركوها
يشتغلان شغلهم مستقلين . ولو بقي الغلام في المنزل
الذي كان فيه أولاً لاحتال الهندي والزنجي

فهز على بك رأسه وقال: في العالم البشري
أولية اجتماعية لاشدوذ لها فهمي كقولك «الكل
أعظم من الجزء»، وأعني بها أن كل شر في مابين
الآنم مداره الطمع. فحيث وجدت شراً فابحث
عن الطمع الذي سبب ذلك الشر

وهنا سكت على بك كأنه لا يريد أن يبحث
كثيراً في الموضوع. والتزم السهمري الصمت،
وأما بقيت دودة حب الاستطلاع تتخر له.
فقال بعد هنيهة: لقد بحثت يا سيدي البك في
في مركز هذا الشر الذي يرومه المهنديون فلم
أجد فيه محوراً للطمع. هذا غلام لم يتم الرابعة
من العمر بعد وليس عنده مال فأى مطعم فيه
فقهقه على بك متكلفاً وقال: ألا يحتمل أن
يكون وارثاً أو أن يرث إذا أتاح له الخط ارتاء؟
— صدقت يا سيدي: إذا للغلام أهل
معروفون

— بالطبع لم يولد من الجدار
— عفواً يا سيدي البك لا أقول أنه مولود
من جدار بل أعني أن المهنديين يعرفون أهله
أو بعض أهله على الأقل

— يظهر أنهم اكتشفوا سره أو بعض سره
أخيراً. ولا أدري كيف. مع أن سره كان
غامضاً كل الغموض فلم يكن أحد يعلم شيئاً عن
نسب هذا الطفل حتى ولا زوجتي

فقال السهمري وكأنه يستزيد على بك
بياناً: بالطبع سعادتك تعرفون سر مولده جيداً
لا ريب في ذلك. وأصبح أخيراً سر
الطفل دفيناً عندي وحدي حتى صار ذووه لا يدرون

هؤلاء بنوونه من اغتيال الطفل. هلم ياسهمري.
هلم نرحل قبل أن يملأ الجيش العرابي المنهزم
هذه الغيطان. يجب أن ننصرف من الطريق
الخطر. الى مصر ياسهمري. هات باشيخ محمد
المحفظة التي اودعها عندك السهمري، ان كان
المهندي لم يهتد اليها

فنهض الصنوبري وبحث عن المحفظة حيث
خبأها وقدمها لعلي بك

وقال السهمري: الأفضل يا سيدي أن
نصرف هؤلاء الفرسان لثلاث...

— بالطبع أصرفهم لكي يعودوا الى معسكرهم
وهناك يعرفون شغلهم لانهم الى الآن لم يعنفوا
بما كان من الانهزام وبما هو كائن

وخرج على بك وأمر أولئك الفرسان أن
يعودوا الى معسكرهم ثم أطلق هو والسهمري
لجواديهما العنان. وفي أثناء الطريق طلب على
بك الورقة التي شفها بوصيته الشفاهية للسهمري
فدفعها هذا اليه وهي لا تزال مخنومة كما استلمها

ولما أصبحا بعيدين عن مناطق الخطر جملا
يتحدثان فقال السهمري: أسمح لي يا سيدي
أن أسأل بعض أسئلة وأنت حر في الإجابة عليها؟
لأقدر أن أكون خادمك الأمين وأنا كالأعمى
فقال على بك: سل يا صاح سل. فاست
أكتمك أموراً كثيرة

— لماذا يطلب آل المهندي حياة الطفل
جيل؟ ولماذا يريدون اهلا كه وهو لم يعرف
الآنم بعد ولم يزل في عيني الله ملاكاً طاهراً؟

عصيره. ولا أدري كيف اكتشف هؤلاء الهنديون بعض أمره.

لعل حرمكم يا سيدي ذكرت شيئاً، إذ لا يخفى على سعادتك أن النساء لا يستطعن كتماناً..

— لا لا. لأن حرمي لا تعرف أن للطفل سرّاً مكتوماً. بل تعرف أن صديقاً لي جاءني ذات يوم به وقال لي على مسمع منها: إن هذا الطفل ابن غير شرعي وهو لا يستطيع تربيته ويعلم أنني لم أرزق ولداً بعد ويظن أنني أود أن أتبناه وأربيه. هذا ما قاله على مسمع زوجتي وثم شاورت زوجتي في الأمر فرغيت أن نتبناه ونزيه. وبناء على رضاها وسرورها قبلت الطفل. ولم يكن حينئذ يتجاوز الشهر الرابع عمراً.

والغريب أن ذلك الصديق مات في نفس الأسبوع الذي جاءنا فيه الطفل. هذا ما تعرفه زوجتي عن الطفل وتعتقد به. وهو غير الحقيقة. وما كان عجبي ذلك الصديق بالطفل إلى بيتنا إلا دوراً مثله أنا وهو أمام امرأتي لكيلا يبق عذرها مجالاً للتساؤل ولكي تعتقد أنه ليس حول الطفل من أسرار. وهكذا اعتقد الجيران والحلان والأصحاب بأمر الطفل. والغريب أن زوجتي بعد عام من دخول الطفل إلى بيتها حملت ووضعت بنتاً بعد عمر ١٢ سنة.

— لا بد أن هناك شخصاً آخر سواك يعرف سر الطفل والأفا كان سره يشيع حتى يبلغ إلى الهنديين

— نعم. هناك شخص واحد فقط غيري

يعرف سر مولد الطفل ولكنه في غير هذا القطر وكان شخص ثالث يعرف شيئاً عنه فكنت أوهمه أنه مات حتى لا يذكره بعد. ولكن ظهر لي أخيراً أنه عرف أنه لا يزال حياً يرزق. فلذلك استغربت تطرق هذا السر إلى آل الهندي.

إن أمر هذا الطفل يهمني جداً يامى حسن ياسمهرى. فإذا كان قد وقع في أيدي الهنديين فلا أؤمل أنهم يعفون عنه. عسى أن لا يكون للهندي علاقة بهم البتة.

— لا أظن يا سيدي لا أظن أن له علاقة بهم. وغداً أستطيع أن أخبرك أن كان الهنديون لا يزالون يبحثون عن الولد أولاً. فإن كانوا لا يزالون يبحثون عنه فاعلم أن لأعلاقة بهم مع الهندي والزنجي

— هب الأمر كما تقول فما هو غرض الهندي والزنجي من خطاب الغلام

— لا أدري أ أكثر منك يا سيدي وأنت عارف بجميع سر الغلام. فأنت تستطيع التفسير أكثر مني

— لا أفهم شيئاً من أمرها يا حسن ولكن ما العمل للبحث عن هذا الهندي الخبيث الساحر — لا بد أن يكون متغلفاً في أحياء القاهرة وعلى البحث عنه

— على أنني أريد منك أمراً يا حسن حال وصولنا إلى القاهرة

— ما هو يا سيدي البك؟ أنت في خدمتك بكل ما تريد. ألسنت ولى نعمتي؟

— أريد أن تنهز أول فرصة للذهاب إلى

والهنديون أبناء عمه فرحون بذلك . فانظر
ما ا كفر البشر ! يفرح بعضهم بمصائب بعض .
ما خطر لي أن العداوة بين الاقارب تبلغ الى
هذا الحد . هل سمعت بعداوة كهذه يا سيدي
البك .

— سمعت كثيراً مثلها اما قلت لك حيث
يوجد الشر فتش عن المطمع . يفرحون بهلاك
ابن عمهم الربيعي باشا لأنه منى مات ورثوا بقية
الثروة الهائلة التي قسمها المرحوم الحاج محمد باشا
الريدي بين حسن أبي علي هذا وبين خالد
المهندي أبي أولئك . وقد لقبه بالمهندي لانه كان
بطل حرب ويحب الفروسية ، ولكنه كان
وأولاده هؤلاء مسرفين ، فأضاعوا نصيبهم من
الثروة ، وأخيراً صاروا يدعون أن عمهم حسناً
اغتصب جانباً من حصتهم والحقيقة انه لم يفتصب
شيئاً بل أن الحاج محمد جدكم اختص حسناً بذلك
الجانب لأنه رآه أكثر حرصاً وأقل اسرافاً
فسأهم الأمر . هذا هو سر عداة الهنديين
لابن عمهم علي باشا . ومنذ عام ذاع انه مصاب
بداء السل ففرحوا بهذه الاشاعة . وبلغ اليه
فرحهم هذا فحاول أن يحرمهم من ارثه اذا مات
— أظنه لم يرزق أولاداً

— كلا لان أختهم زوجته عاقرة . وهي سبب
الفتنه والشر . وقد نعت عيشة الباشا
— عجيباً . لماذا لم يطلقها

— ضعيف الارادة . وهي داهية وقد استولت
على ارادته . وهو يهابها ويخشى عواقب الاساءة
لها .

سراي على باشا الربيعي وتحتال في طلب مقابلة
عبر أنا وتهمس في أذنه أني أود ان اراه . فليغتم
اول فرصة للعجى الي
— هذا امر هين يا سيدي

— لا . لا يا حسن ليس بالهين . انت تعلم ان
الربيعي باشا من اعوان عرابي باشا . فقد تجد
قصره محصوراً اذا دخل الانجليز الى القاهرة
قبلنا . وانا لا اقدر ان الوح امام داره مع انه
اعز اصحابي والا بقيت في نظر انصار الخديوى
من جملة المتمردين

فقال حسن السميري : وى وى ! أما كفاهم
رهاناً على اخلاصك انك أخليت السبيل للعساكر
الاسكلميزية الخديوية

— من يدري كيف ينظرون الى هذه
الحركة وكيف يعاملون أصحابها ؟

☆☆

في القاهرة كان على بك سيف متربصاً في
منزله يتوقع الاخبار التي يتسقطها حسن حسني
السميري ويأتيه بها . فبعد يومين جاءه السميري
متجهماً وقال : أن آل المهندي فرحون متهملون
— أظنهم قتلوا الطفل . يا ويلهم

— لا . لا أظن يا سيدي . وانما يقال انهم
فرحون لأن الربيعي باشا ذهب من جملة الوفد
الذي ذهب الى الاسكندرية بعريضة التوبة التي
وقعا عرابي باشا وأعوانه ورفعوها الى الجنب
العالي متمسكين العفو . وقد ورد الخبر أن الجنب
العالي أمر بالقبض على الربيعي باشا وزجه في
السجن ويظنون أنه سيحكم عليه بالموت .

فلا يبعد أن يكون قد رام انقاذه منهم لأن
عنبر آغا رجل طيب القلب

— إذا عنبر آغا يعرف شيئاً عن الولد

— لا، وإنما عرف أن المهنديين يريدون أن

يقتالوا طفلاً عندي فحذرنى . والظاهر أنه شعر

أو علم أن الغلام أصبح تحت خطر سريع عاجل

وأنى بعيد عنه فرام أن ينقذه . لم يبق عليك

ياسى حسن الا أن تبحث عن الزنجى والمهندي

أو عن عنبر آغا هذا على الأقل . وأنت تعلم أن

لك جزاءً عظيماً عندي ياسى حسن

— كفى ما أعدفته على من نعم يا سيدي

البك . انى خادمك الامين .

— ثم أود أن تتحقق ماذا كان من أمر

الربيبى باشا . هل حكموا عليه بالاعدام أو بالسجن

فقط ؟ . انى متربص فى منزلى فلا أود أن أخرج

منه ما لم يطلبنى ولى الامر الذى لا نعلم من هو

حتى الآن

— كن مطمئناً . انى أبحث عن كل شئ

وأخبرك

لايهم القارىء أن يعلم الا ماذا عرف حسن

حسنى السمرى وبالتالى على بك عن الزنجى

والمهندي وعن عنبر آغا وأخيراً عن مصير

الطفل — لم يعرف شيئاً وإنما ثبت لعل بك أن

المهنديين لم يظفروا بالطفل ولا كان لهم علاقة

بالمهندي والزنجى . ولهذا بقى يؤمل أن يعلم

مصير الغلام ولو بعد حين . فبقى يغتم كل سائحة

للبحث عنه

— عجباً . وهل يسرها الحكم على زوجها

بالاعدام .

— كلا البتة .

— إذا ليست محازبة لاختوتها

— بل هي تحاربهم لكي تستنصر بهم . ولكن

لا الى حد أن تفقد زوجها . لانها اذا فقدته

فقدت شيئاً من عزها

— وهل قابلت عنبر آغا؟

— لم أقدر أن اجتمع به وسألت عنه فقيل

لى انه غير موجود . ولم أقدر أن أعلم الحقيقة

ولا أين هو لان البواب قال انه لم يعد يراه .

والطباخ قال ان الباشا أرسله بمهمة ولم يعد بعد .

والهانم تقول لخدمتها موجهة من تغيبه

فهز على بك رأسه وقال : لقد خطرلى

خاطر يا حسن يا سمرى

— ما هو يا سيدي

— ما قولك في أن عنبر آغا هو الزنجى

رفيق المهندي المشعوذ الساحر

— ولكن الصنوبرى يقول انه معمم

ويلبس قفطاناً وعباءة . والاعوات هنا لا يلبسون

الا السترة والبنطلون والطربوش الاستامبولى

— ولكن ليس ما يمنع عنبر آغا أن يتزيا

بزي بلدى أو سودانى أو عربى . فاذا كان قد

فعل كذلك فقد سلم الطفل

— ولكنى لأرى مصلحة لعنبر آغا في سرقة

الغلام . فهل له علاقة به؟

فتململ على بك سيف وقال : لا وإنما هو

الذى علم أن المهنديين يأتمرون على حياة الطفل

الفصل الخامس

وفي الليلة الزهراء ينخسف البدر

والطفيليون. ولكن الدوائر العليا كانت تنزه سمعتها عن كل شيء. على أنه «متى حان المقدر ظهر المسطر» ففي ذلك الحين الذي نحن بصدده تعرفت مرغريت بنابغة من نوابغ الجيش هو الكولونل هنري هود في حفلة آنس وطرب ورقص. فاعجبها ونزل من فؤاده نزول الاسفين من الصخر فانفتح له وعلمت مرغريت ان للكولونل منزلة في الجيش معتبرة وله بين رجال السياسة مكانة سامية أيضاً. ويحتمل أن ينال في المستقبل مركزاً نادر النظير. وقد سحرها الكولونل بطلاوة حديثه وبقصصه الشيقة عما صادفه في الهند وفي سنجابور وفي مصر وفي جنوبى افريقية. فتنجبت اليه وما لبثت ان صادفت في قابه منزلاً رحيباً. وما هي الا ليال معدودة حتى خطبها وخطبته. وقضيا شهر خطبة يكاد يضارع شهر العسل بهجة وجوراً. ولكن ما انفضى الشر حتى أحست مرغريت ان هود أصبح قلقاً يسبح أحياناً في فضاء التخيلات حتى وهو في تجاسها. لم بعد هنري هود كما عهدته. فاوحشت من أمره وخافت ان تخسره ورأيها ذهوله أحياناً فسكاشت أمها عما في ضميرها وقالت لها: انى أصبحت في ريب من فؤاد هنري. فما العمل لتحقيق الامر ومن استجلاء الحقيقة؟ لا أريد ان أسير في ظلام

نودع القارئ الكريم في مصر عند على بك سيف في أواخر سنة ١٨٨٢ ثم نلتقى به ثانية في مثل هذا الوقت في سنة ١٨٨٧ في لندن في قصر اللابدي مرغريت فيفربنت المرحوم اللورد فيفر الذي لم يترك ولداً وارثاً سواها. وانما ترك ثروة تربو على المليون جنيه. فقد كان رحمه الله تاجراً في بومباي وأثرى

وقد خدم حكومته خدماً جليلة. ولما عاد الى لندن واستقر به المقام منحه الملكة فكتوريا لقب لورد اف فيفر

هذه الفتاة النبيلة المدللة كانت تناهز حينئذ الثلاثين سنة. وكانت عاتشة عيشة الترف والبذخ. وفي الوقت نفسه كانت أحياناً تنجمل لمجلسها مسحة من العلوم والفنون لتجمل مكانتها الادبية ستاراً لتماديها في الترف والقصص. وكان جمالها وذكاءها يستهويان الفتيان ولكن لهما وقصفا كذا يصدهنهم وكان يطمح اليها كثير من الفتيان. فتوسطوا الحال منهم ترفع عنهم لانها كانت تنفى العلى والصعود لا النزول حتى ولا السكون. والنبلاء الرفيعو المقام كانوا لا يقتربون الى جنبها حتى يرتدوا موجسين من عواقب قصصها

وابس ذلك فقط بل اعتور سمعتها اشاعات مختلفة كان يتهامس بها العلما ويون أي الفضوليون

فقلت أمها. وأنا أيضاً ملاحظة ذلك. فساء كلف
صديقنا اللابدي فورمت ان تجس نبضه
وتسير اعماق سره فهو يأنس اليها كثيراً وهي
داهية ولنا ملاحظة

— كذا خطر لي ان تفعلني وانما لاتدعيها
تعلم اني أنا ملاحظة شيئاً. بل اجعلني القول منك
كانه بغير علمي

— كذا انوى ان افعل

ما عثمت اللابدي فورمت ان اجتمعت
بالكولونل هنري هود في مجلس غير مقصود
واتطرفت معه في الحديث الى خطبته وزواجه
الى ان قالت: أظن موعد القران أصبح قريباً
يا كولونل

فتبرم قليلاً وقال — لاندري يا ميلابدي.
فلم يقرر نهائياً بعد

— عجباً. لقد شاع انه سيكون في عيد الميلاد
— لا أظن

— يلوح لي ان الجو مكفهر يا كولونل
فاجفل الكولونل وقال — لماذا يلوح

لك ذلك؟

— لانه مامن خاطب يتكلم في موضوع
زواجه يمثل هذا الفتور. فقل لي هل في المسئلة
قليلة؟ انت تعلم ان صديقة ملاحظة لك فلا
تكتنني سرراً

فبقى الكولونل متردداً في الجواب فقالت:

هل بدا لك نفور من قبل اللابدي فيفر؟

— بالعكس. انها لفي غاية من اللطف

— اذا؟

فتلعلل الكولونل وقال: اني أبوح لك بأسرار

— ثق بأني. أدفنها في ضميري

— لقد سمعت أموراً عن مرغريت لاتسر

خاطباً مثلي

— ماذا سمعت؟

— سمعت انها كانت تماشى فلانا وفلانا

— هذا كلام يقال عن كل فتاة في هذا العصر

ولكن لاتصدق كل ماتسمع. فهل تسمع عن

شيء حادث الان؟

— كلا وانما سمعت عن أمور مضت

— لا أنكر أن مرغريت كانت تجامل كثيراً

من الشبان ولكن سمعتها بقيت كالسك. فلا
يقدر أحد ان يشينها. أظن انه يقدر بسمعتها

بعض الشبان الذين كانت تلاطفهم وتجاهلهم. م.
فلما طلبوها خيت آمالهم

— كلام أسمع الكلام من شبان ولا أعبا

بكلام الشبان لانهم ذوو أغراض

— اذا لابد أن تكون قد سمعته من أناس

عندهم بنات للزواج

— ربما كان الامر كما تقولين ولكني لا أقدر

ان أتصور ان يبلغ بكرام الناس الغرض وحب

النفع الشخصي ان يعيوا سمعة فتاة لاجل قصد

كهذا

— في العالم كثير من هذا الذي لاتقدر أن

تتصوره. فلانصدق

وبقي الكولونيل صامتا واللابدي فورمت

تريد ان تعلم مزيداً منه فعاتت بعد هنية تقول:

يومين أخبرك

بمسد يومين اجتمعت اللابدي فورمت
بالكولونل هود وقالت حقاً ان في الناس أشراراً
يستحلون قتل الاعراض تسوئة لسمعة النبلاء.
لا يخفى عليك العداء السائر الآن من قبل طبقة
العامّة ضد الاعيان. فاولئك يبذلون جهدهم في
الخط من مقام هؤلاء . مسكينة مرغريت . الحق
انها مظلومة وذنبها انها خفيفة الدم تحب المزاح
والمفاخرة . فيحبسها الناس خليعة متهتكة . ولكنها
وايم الحق أظهر من ملاك

— كيف تعتقدين ذلك يا ميلابدي ؟

— أن الحكاية التي سمعتها ورويتها لي
صحيحة بعض الصحة . ولكنها ليست حكاية
مرغريت ولا لمرغريت حكاية كهذه البتة . أجل
أن فتاة انكليزية تدعى مريت نيفر تزوجت
مصرياً ثم طلقها وما زالت مقيمة في مصر
وما هي من الاعيان البتة وانما هي ذات ثروة متوسطة
تنفق منها هناك . وأما مرغريت فهي والله بريئة
من هذه الوصمة بتاتاً . وما مكنت وابواها في
مصر غير فصل شتاء واحد

نم أنبأت الكولونل عن مصادر هذه
الحكاية وقالت له أن يتحقق الحقيقة بنفسه
وبعد بضعة أيام عاد الكولونل الى اللابدي
فورمت وقال لها . برك لا تدعى أحداً يعلم
الحديث الذي جرى بيننا

— استحيل ان يعلم به أحد . فهل علمت شيئاً ؟

— نعم تأكدت حكاية مريت نيفر

بمخافيرها . وفهمت أن رها السوء يريدون أن

هل سمعت شيئاً آخر ؟

فتلظ الكولونيل كلامه تلظاً وامتقع لونه
وهو يقول نعم سمعت حكاية لأنجاسر ان أقولها
— لا بأس ان نقولها فما انت قائل الكلام
بل ناقله

قال الكولونيل الى اللابدي فورمت وممس
قائلاً : يقال أنها كانت منذ بضع سنين في مصر
فأحببت شاباً من سرة المصريين وتزوجته سرّاً
بغير علم أهلها وبغير علم أهله
فأحفلت اللابدي فورمت لهذه الحكاية وقالت :
لأظن . هذه حكاية ملفقة يا كولونل

— لقد رويت لي الحكاية بالتفصيل يا ميلابدي
وما عرف أبوها وأما بالمرها لا بعد ان أوشكت
أن تصير أما . فخرنا لذلك حزناً شديداً وارتيكا
لا يدرين ماذا يفعلان ولا سيما اذ علما أن أبوي
الشاب المصري لا يريدان ذلك الزواج بتاتاً لأن
ابنهما كان مزوجاً وان كان المسلمون يجيزون
تعدد الزوجات . فلذلك بقي أبوها هناك حتى
ولدت فتركا العاقل في ملجأ لقطاء وعاداهما
كأمن الامر

وكانت اللابدي فورمت تسمع الحكاية
وهي تكفهر تارة وتمتقع أخرى . وتتجههم طوراً
فقالت : مستحيل . مستحيل . هذه الحكاية
ملفقة لا أصل لها البتة . مع ذلك سأتحقق الامر .
من سمعت الحكاية ؟

عذراً يا سيدتي . لا تخرجيني الى القول فلا
أستطيع أن أخبر عن القائل

— لا بأس . لا بأس . سأتحقق الحقيقة وفي

ينسبونها الى مرغريت . انى اجل مرغريت عن عيب كهذا

— لا ريب انها تجل . ولو حدث ان مرغريت تزوجت شابا بغير رضى أهلها ورضى أهله واضطره أهله الى طلاقها لما كان أبواها يكتمان ذلك لان اعلانهم ان ابنتهما مطلقة اسلم للشرف من كتمان الحكاية لئلا يتوهم الناس ان الزواج لم يكن شرعيا

فقال الكولونل : الكلام بسرك الذين دروا الى الحكاية قالوا ان زواجها لم يكن شرعيا وانما أنا لطف الرواية لك . أما الآن فاني مقتنع ببراءة مرغريت من هذه الوصمة . وأمس قررنا موعد عقد القران في أول الشهر القادم

في مساء دافئ من أيام أبريل التي قل ادلهاهم جوها في لندن كان قصر فيفر الفاخر متألق الانوار متلألئ الاواني لامع الاطالس مبهرج الطنافس ، ليست قصور الملوك بأبهى منه وأبهج والمال في هذا الزمان يجعل الصعاليك ملوكا

وقد اكنظ ذلك القصر الواسع بالمدعوين الى العرس من سراة لندن وأعيانها من رسميين وغير رسميين فكان ذلك المكان معرضا بهيجا للابهة والجلال وللحسن والجمال وللجاء والعز والمجد والفخر

ففي ذلك القصر البديع اجتمع الكولونل هنرى هود وجميع معارفه وأصدقائه واللايدى فيفر الام وبناتها وجميع معارفهما وأصدقائهما ليحتفلوا بزفاف مرغريت الى هنرى

كانت الساعة التاسعة حين جعل العروسان وأهلها يتهيآن للوقوف أمام نياقة رئيس الاساقفة وبعض اكابر رجال الدين لصداقة الزواج . في تلك الساعة تقدمت نلى وصيفة اللايدى مرغريت فيفر وهمست في اذن سيدتها قائلة . هنا غلام يريد ان يبلغك رسالة بنفسه فاخترج فؤاد مرغريت وقالت : من هو . وماذا يريد ان يقول

— لا يقول عن اسمه ولا عن رسالته ياسيديتي — دعيه . فما انا الآن في حال لاستقبال الرسائل والرسائل يانلى

— ولكنه شديد الاحاح ويقول ان رسالته خطيرة الشأن ولا يمكن تأجيلها ولا ساعة فتهجمت مرغريت وقالت : لعله رسول من قبل بعض اعدائي الذين رفضتهم والذين يستلذون مكايديتي في هذه الساعة فاطردوه

خجرت نلى ثم عادت قائلة : مولائى ان الغلام يتوسل جداً ان يراك دقيقة واحدة فقط لامر ذى شأن . فأرجو ان تقابليه لحظة في حجرتى الخاصة يا سيدتى لاننى لا احب ان اخاشنه وهو يشوش الوجه لطيف الكلام ؛ وان كانت مظاهره بسيطة تدل على انه من طبقة العمال

خجرت مرغريت من باب البهو من بين سراة المدعوين تتهادى نهباً وخيلاً ودخلت الى حجر نلى الخاصة . فوجدت غلاماً في نحو التاسعة او العاشرة من العمر واقفاً الى جنب كرمى وقد التقى يده عليه وصغر خده وعيناه ترسلان اشعة ابتسام وبشاشة ، وقامته تمتلئ للششم والانفة

الى عبوسة وقال : لو كنت أعلم انك تقابلين
الناس هكذا يا مدام ما جئت اليك ولو جعل
طريقي الى منزلك ذهباً . خير لشندي لال أن
يموت كمدأ من أن يرى خلقاً نائراً كخلقك .
اني ذاهب من غير أن تطرديني

وخرج الغلام لايلوى ولا يلتفت وعادت
مرغريت وقعدت على كرسيها واهية القوى وهي
تسمع وقع اقدام الغلام وهو يخرج من مخرج
الدار السري الذي دخل منه حيث قلت
الطنافس

ما خرج الغلام من الغرفة حتى مرت في
مخيلتها مناظر سينمائية مختلفة تمثل تاريخ حياتها
منذ عادت من أوبرا من الهند وساحوا جميعاً في
الشرق الى ان عادوا الى لندن واستقر بهم المقام
وصار أبوها لورداً وظل يشتغل أحياناً بالسياسة
الى أن مات واصبحت سيدة منزلها الى جنب أمها
مرت الحوادث في مخيلتها مرور البرق .
وخرج الغلام وهي تحس انه يأخذ معه
فؤاده قطعة قطعة فما انقضى كل أثر منه حتى
شعرت ان روحها طارت شعاعاً

الله أكبر . هل هذا الغلام ساحر؟ ما علاقته
بشندي لال الذي عرفه منذ حداثتها وكان
الخادم الامين لاييها في ممباي ، وما الذي جاء
بشندي لال الى لندن وعندها به انه لا يبرح ممباي
قط ؟ كيف يعرفه هذا الغلام . هل هو جاره في
مسكنه . من هو ؟

— نلي . نلي . نلي

سمعت نلي صراخ سيدتها مرغريت الغريب

فا الفتنة ضعة ثوبه نظر مرغريت عشر معشار
ما الفتنة دمانه خلقه وملاحه ملاحه

جلست على كرسي غم وهي تتفكر فيه
وقالت : هات كرسيك يا عزيزي واجلس الى
جني فاني استطيع ان اجالسك دقيقة واحدة
فقط .

فتقدم الغلام باشاً مهللاً وهو يقول :
لا احتاج اكثر من نصف دقيقة ياسيدتي
ومن غير ان يقعد انحنى قليلاً وهمس قائلاً :
شندي لال مريض ، ويرجو ان تعوديه دقيقة
فقط .

ولو كانت نلي الوصيصة موجودة في الحجرة
حينئذ لما خفي عليها انتفاض سيدتها وا كفه رار
لونها ثم امتقاعها ثم تجهمها . واجابت مرغريت
عنى الفور : من هو شندي لال هذا ؟ لا أعرفه
ووقفت في الحان تريد الخروج فوقف
الغلام في طريقها وهو لا يزال يبش ويبسم
وقال مولاتي : الست اللابدي مرغريت فيفر
— نعم . ولكنني لا أعرف شندي لال

— شندي لال الهندي يا سيدتي يقول
انك تعرفينه جيداً وهو مريض الآن وربما كان
مرضه شديداً ويرجو منك أن تعوديه دقيقة
لانه يخشى أن يموت قبل أن يراك

أما مرغريت فلم تكن لتشاء أن تسمع
كلام الغلام بل كانت تقاطعه بنزق قائلة : لا أعرفه .
لا أعرفه . لا أريد أن أعود مريضاً . لا أريد .
فعد من حيث أتيت . هلم اخرج

فتحولت ملاحه الغلام الى غضب وبشاشته

تحس انها نبيلة واتى حقير فاعتذارها لا يريدني
شرفا اخبرها اني لست في حاجة اليها البتة
وهي في غنى عن مثلي فلا لزوم لعلاقة بيذنا
حتى ولا في مجاملة فارغة . عذراً يا سيده

ولاها ظهره يريد استئناف السير فتشبت
به قائلة : ربك لا تخيب رجائي ان اللايدي فيقر
حمت علي ان أعود اليها بك

— لها ان تأمر ولك ان تأتمرى . أما أنا
فلا سلطان لها على

— ليس لها سلطان عليك وإنما لها رجاء منك

— لست أقبل رجاء منها

— أنا ارجو منك فبأنه تقبل رجائي والا

لا متنى اللايدي فيقر

فتمليل الغلام وقال . اذا ما انت الاعبة
لها . تخافين لومها بغير حق فلا أقبل رجاء عبدة
مثلك . عودي اليها واخبرها ان في صدري قلبا
أعظم من كل القلوب التي حواها قصرها ونفسا
أكبر من نفوس أهلها ومحبها

ونفر منها الغلام وانطلق في سبيله لا يلوى
ولا يسمع رجاء . فمادت نلى بخفي حنين .
ووجدت سيدتها في حالة اضطراب عصبي شديد
وخافت أن تكلمها . ولكن مرغريت لم تنتظر
حتى تسمع تقريرها بل سألتها : أين هو ؟

— سيدتي ! لقد استحال علي اقناعه أن
يعود . فهو غلام فظ خفن ولا أدري ماذا ساءه

— آه . ويحك . ماهي خشونة بل هي انفة .
وما هي فظاظه بل هي شمم . تباً لك لقد أملت

العصفور من يدي . اما عرفت اسمه وعنوانه ؟
— لم أستطع أن أنال منه حقاً ولا باطلا

يامولاني فقد كانت متأثراً جداً حتى أنه أهانني
بالرغم من ملاطفتي له

المريع كأنه نداء الاستغاثة . فأسرعت
مذعورة ودخلت قائلة : مابل يا مولاتي ؟

فاجبتها مرغريت على الفور . أسرعي حالا
واستدعي الغلام أن يعود الى هنا لا تدعيه يذهب .

هودى به . حاذري ان تروعيه . أود ان اعتذرله
فهرولت نلى حتى بلغت الى باب القصر السري

قالت لحارسه : هل خرج الغلام ؟

— منذ دقيقة

— أسرع حالا وراءه واستوقفه ريثما

اباغ اليك . لا تدعه يضي حتى أصل

فأسرع الحارس ما أمكنته قدماءه وساقاه
حتى ظفر باللام على بعد نصف كيلو فاستوقفه

قائلاً : مهلاً يا غلام

فالتفت الغلام قائلاً : ماذا تريد ؟

— مهلاً . ان وصيفة اللايدي فيقر تريد أن

تقول لك كلمة

فقال الغلام عابساً : لا كلام لها معي

، ولي الغلام ظهره يريد المسير فامسك به

الحارس قائلاً مهلاً . لا أقدر ان ادعك تمضي

— عجباً دعني او اطلب البوليس ليردعك

— بل أنا اطلب البوليس . لا ادري ماذا

كنت تفعل في القصر

— ويحك هل تحسبني مجرماً او لصاً ؟

— لا احسبك شيئاً قبل ان تصل مس نلى

وهي تنبئك ماذا تروم منك

وفياهما في جدال عنيف وصلت مس نلى

وهي على آخر نفس وقالت : دعه لي ياتوم

ثم قالت للغلام : ان سيدتي اللايدي فيقر
شعرت انها غاشتك وتريد ان تعتذر لك

فارجو ان تعود اليها

— لقد فهمت سيدتك كما هي . ان سيدتك

فتملكت مرغريت متألّمة شديد الألم
وسخطت قائلة : اذهبي عني الآن ودعيني وحدي
برهة .

لم تعرف كم مر من الزمن حين انتهت لنقر
نلي على الباب
- ادخلي
فدخلت نلي قائلة : مولاتي انهم ينتظرونك
فقلت مرغريت بلهجة الاقرب استدعي حالا
مستر نوط الى

مستر نوط محام بارع وهو وكيل مرغريت في
أشغالها الخاصة . وفي دقيقة كان الى جنبها . فظرت
اليه فراعته منظرها . وقبل أن يتكلم قالت :
يا مستر نوط . اعلن الجمهور أني عدلت عن
الزواج . واعتذر للكونونل هود وجميع الحضور
عن عدم حضوري .

فدعر مستر نوط لهذا القول ودهش ولم يكذب
يصدق أنه يسمعه . وخامره الظن أن اللايدي
أصابها مس من الجنون . فحلق فيها وهو يقول :
ماذا تقوين يا سيدتي اللايدي ؟

- أما فهمت ماقلت ؟ ماعودتي أن أقول
لك كلامي مرتين

- ان كلامك الذي سمعته وفهمته يا سيدتي
أخاف أن تندمي عليه بعد ذلك ونحسب تنفيذي
لامرك تسرعاً مني

- ثق أني لن أندم

- مهما يكن الامر فاني أجد البلاغ الذي
ترومين ابلاغه للدعوى سيء الوقع جداً عليهم ،
اللهم الا اذا كنت تقدمين سبباً معقولاً مقنعاً
- لا أستطيع أن أقول السبب البتة . وليس
الناس شيء كائي في أمور الخاصة

نخرجت نلي واجفة لشدة غضب سيدتها
وبقيت مرغريت تفكر في ماض كانت تظن أنها
تنسأه ، وحسبت أنه أصبح في خبر كان . ولكن
ما خطر لها أن يبان لها من عالم الغيب ضمير حي
غير الضمير الذي عرفته وأن تتمثل لعينها ذكرى
كانت مكتومة في أبعد زوايا الخيال

ما لاح في بالها قط ان ذلك الماضي كله
يتمثل في هذا الغلام في نفس الساعة التي يحتم
فيها كتاب ماضيها ختماً أبدياً ويفتح لها كتاب
مستقبل جديد

ما خطر في ذهنها تصور أن أسرار الماضي
المكنونة في قعر أوقيانوس المجهول تطفو على
سطح البحر ممثلة في هذا الغلام في نفس الساعة
التي كانت تعبر فيها من أوقيانوس المجهول الى بر
الحياة السعيدة الصريحة

تمثل لها ذلك الغلام تمثالا يريها الغابر حاضراً
بل الماضي مستقبلاً

ما تمالكت أن قالت لنفسها بصوت سمعته
أذن : ويحي افي هذه الليلة التي تجمع فيها كل
مجدى وعزى وجاهي وابتي وسعادتي وترفي
وبذخي وقصفي واهوى ومنتهى سروري - في
هذه الليلة نفسها يأتي اليّ ابني مستغيثاً . مستجيراً
وأطرد ؟

ويحي . قد يموت شندي لال الليلة فالي من
يلتجئ ابني ؟ ما أوفده شندي لال الي الا وهو
لم يعد يملك عشاء ليلة . اني عالمة خلق شندي لال
وشعرت مرغريت بدوار في رأسها فتلافته

— كفى كفى لا أريد نصحك ولا وعظك
يا أماء . ان تدخلك وتدخل المرحوم أنى فى
حياتى الماضية يسبيان شقاء حياتى الحاضرة
والمستقبله

— ويحك مامعنى هذا ؟
— لا تسلى . لا تبغى الان . دعبنى انى فى
حالة لا أطيق فيها أن أرى الناس . فلا أقدر أن
أكون الان عروساً ولا فى المستقبل زوجة فدعبنى
— عند ذلك دخل الكولونل هود . فلما
وقع نظر مرغريت عليه . قالت : عفواً يا كولونل
انى شاعرة انى أسأت اليك بعدولى عن الزواج .
ولكن هذه الاساءة الان أصغر جداً من اساءتى
فى زواجك . فلى الامل أن تكون حلماً حكماً
وتعذرى . انى شاعرة أن زواجى سيكون شقاء لى
ولك فلماذا مغالطة النفس ؟ هل تريد منى تعليلاً
أوضح من هذا ؟

وكان الكولونل بزن كلامها جيداً و يفهمه
ويقابله بالوشايات السابقة التى سمعها عنها فارعوى
بنفسه وقال : كلا . انى عاذرك يا مرغريت . اذا
لم يتسن لى أن أكون زوجاً ففى امكانى أن
أكون صديقاً مخلصاً وخادماً أميناً

— أشكرك هذا الكرم العظيم . اذن دع
وكيلى المسترنوط ينفذ أمرى

— اسمحى أن يعلن تأجيل القران الى أجل
مسمى . فذلك خير من اذاعة نقض العرس بتاتا
— اذن فليعلن أن عقد الزواج تأجل عاماً

أو اثنين

— اذا فليعلن التأجيل الى أجل غير مسمى .

وداعاً الان الى أجل قريب يا مرغريت
وانحنى وقبل يدها وخرج من الباب السرى
وركب اتومبيله . وادى وش الضيف .

— اذن نقول لهم أن أسبأ باصحية عند العروس
تقضى بتأجيل القران الى أجل آخر
— كلا لا تعلن التأجيل . بل أعلن الغاء العرس
بتاتا . لن أتزوج أحداً

— لا بأس أن تفعل ما ترومين . وانما الان
كنا نعلن للجمهور حتى لا يكون القال والقيل
عظيماً جداً

— بل أريد ان يفهم الجمهور أن مسألة زواجى
انتهى أمرها بتاتا

فتمللم المسترنوط و حار يف يعلن الامر
للجمهور وماذا يعتذر وماذا يقول . فخرج متردداً
حائراً . ولما خرج نادى مرغريت نلى وقالت
لها : هل تنكرين باهذه أنى ولية نعمتك ؟

— كيف أنكر يا سيدتى ؟ ولماذا ؟ انى معترفة
بأنك صاحبة الفضل العظيم على وأنت ينبوع
الخير والبركة والنعيم لى

— حسناً ويجب أن تفهمى أيضاً أنى أستطيع
أن أنتقم منك شر نقمة اذا كنت تبوحين بما
كان من أمر الغلام يجب أن يفهم الحارس
أن الغلام جاء يطلب صدقة فأخذها ومضى ثم
اشتبهنا به لصاً فأرسلناه ليستدعيه

— ثنى يا مولاتى انى أكون أمينة على أسرارك
مضاعف نعمك على

هند ذلك دخلت اللابدى فيفرأم مرغريت
وهى تقول : ماذا جرى يا بئيتى حتى تجنى هذا
الجنون

— دعبنى يا أماء فى غموى ولا تسلىنى . إن
روحى قد بلغت ترقوتى فلا أستطيع بحناً . دعى
المسترنوط ينفذ أمرى

— ولكن يا بئيتى تجعلين مستقبلك مضغة
وحياتك تعسة

طنوف حتى ملأت الفضاء، هكذا في بعض
الساعة كانت عاطفة الامومة قد ملأت قلب
مرغريت وتفرعت فروعها الى أن ملأت
صدرها وصارت تحترق ما بين ضلوعها الى أن
ملأت غرفتها فقصرها فدينتها فكل العالم

ما انقضت الساعة حتى كانت مرغريت
قد أصبحت كتلة عاطفة أمومة . أصبح قلبها
مشتعلاً بالحب الوالدي . لم يمد يدها الا تصور
طيف ذلك الغلام مقيماً في حجرها وصدره الى
صدرها وفه الى فمها وذراعها تضغطانه على قلبها .
يجب أن تبحث عن الغلام . يجب أن تنزله
في قصرها . يجب أن يعلم انه ابنها .

ويلك يا مرغريت . أين ابنك؟ وماذا يكون
أمره اذا مات شندی لال وهو لا يزال غلاماً
قاصراً ولا ملاذ له .

هذا الخاطر كاد يحن مرغريت

أمانوط فاعلن تأجيل عقد الزواج الى
أجل غير مسمى . وكان اللفظ في المسألة قد ساء
الجمهور . فلما سمعوا الاعلان صريحاً جعلوا
يرفضون متقولين أقوالاً مختلفة . وأما مرغريت
فانزوت في مخدعها .

أجل ازوت مرغريت في مخدعها . ولكنها
لم تكن فيه وحدها . نعم كان معها فيه طيف
ذلك الغلام الذي انطبع في صفحة مخيلتها كفلة
من فؤادها .

ان ذلك الطيف الملائكي الذي كان كل
هنية ينجلي في ذهنها كأن ينبه عاطفة الامومة في
قلبها وبوقظها من نومها العميق . كانت عاطفة
الامومة تنمو وتكبر في فؤاد مرغريت بسرعة .
كما كانت الشجرة التي نبتت في بحيرة شندی
لال تنمو في رؤيا الشيخ الصنوبري في عزبة

الفصل السادس

أثر بعد عين

ادارات الجرائد كل يوم تسأل ان كان قد ورد
اليها خطابات معنونة بتلك الارقام . وبقيت
نلي تذهب وتعود بخفي حزين و مرغريت على
على مثل جمر من الغضا . وشقة ذلك الغلام يمثل
متجسماً في مخيلتها والهواجس تأخذها وتردها
الى أن ورد اليها في اليوم السابع الخطاب التالي
الى صاحب الاعلان الذي عنوانه ٢٨١٧
اخبرك أن شندی لال كان مستأجراً غرفة

في اليوم التالي أرسلت مرغريت وصيفتها
مس نلي الى ادارات الجرائد الكبرى بنص
هذا الاعلان:

المرجو من المسمى شندی لال أن يرسل
عنوانه الى نمرة ٢٨١٧ في هذه الجريدة لآل
لشخص ذي علاقة كبرى به رغبة في مقابلته .
وأوعزت أن يكرر نشر هذا الاعلان الى أن
يرد خبر بايقاف نشره . وكانت نلي تطوف على

— كلا يا عزيزتى . ما اطلعت على اعلانك
الا أمس مصادفة . أظن لحضرتك علاقة قرابة
مع زوجته المرحومة ؟

— كلا . وإنما كان لشندي لال نفسه فضل
على حين كنت فى الهند . وما دريت انه فى لندن
الا أمس لما ورد لى خطاب من اخيه يقول أن
أخباره انقطعت منذ سنتين حين جاء الى لندن
ويرجو منى أن ابحث عنه . فلم اجد وسيلة
للبحث عنه الا الاعلان كما رأيت
من حضرتك ؟

— انا اسمى مس فلورا دور من ليفربول
وقد جئت الى هنا لقضاء شهر . ألا فاخبرني
ياسيدتى أين الغلام جم الان ؟

— من يدري ؟ منذ دفن شندى لال أخذ
الغلام حقيقته رمضى
— فالتفتت مرغريت جزعا وقالت : الى
أين مضى

— لا أدري ياسيدتى . سأله ماذا ينوى أن
يفعل . فقال أنه يبحث عن عمل يرتزق منه
فازدادت مرغريت اتفاسا وقالت متممة
تخاطب نفسها : ويحى . ابن تسع سنين يضطر
لان يشتغل حتى يعيش ، ويلاه ! ماذا يحسن
من العمل غير الخدمة تحت أيدى الناس ؟ وكيف
تطبق تلك النفس الشماء الخضوع ؟

ثم وجهت الخطاب الى العجوز قائلة : ماذا
كان يشتغل الولد أولا . هل تعلمين ياسيدتى ؟
— كنت أعلم قلا أنه يذهب الى المدرسة .
ثم ما لبثت أن رأيته يلزم المنزل كثيرا ليمنى
بشندى . وأحيانا كان يرسله شندى الى حيث لا
أدري

— هل كان مع الغلام نقود ؟

فى منزلى منذ شهر تقر بيا . ومع غلام لا أدري
ما علاقته به . وكانت حاله تدل على شقاء وعسر
وكان معظم وقته مريضاً . وأخيراً اشتد مرضه
ومات . وكان ذلك الغلام يعنى به حتى آخر ساعة
شارع هنوفر نمرة ١٧ . أليس شومان
فما ترددت مرغريت لحظة ان ركبت
أو تو مويلها وقصدت الى شارع هنوفر وابلت
أليس شومان . فإذا هي عجوز طاعنة فى السن
وليس عندها الا بنت تدعب كل يوم الى مصنع
خياطة ولا تعود الامساء . فقالت لها أنا صاحبة
الاعلان ياسيدتى . وقد جئت اسأل حضرتك
عن شندى لال

فقالت مسز اليس شومان : مسكين شندي
كان رجلا فاضلا وان كان هندية ، وكان ورعا
ولكنه كان تفسا . فكان مصابا بضعف القلب
فمات أول أمس بالسكتة القلبية
— أول أمس

— نعم ولكنه قاسى كثيرا من الضعف
أخيراً وكانت تنتابه نوبات ضيق النفس فتكاد
تخنقه . وكان جم يهتم به كل الاهتمام . واولاده
ما أطيب قلب جم
— من هو جم هذا ؟

— غلام جميل معه يدعى أنه ابنه واسكن
ليس بينهما من الملامح ما يدل على ذلك . وإنما
شندى يقول أن المرحومة زوجته أم جم كانت
انكليزية ولهذا جاء جم ملاحا للانكلز

وكانت مرغريت تسمع هذا الكلام وقلها
يتنفض فى صدرها اتفاس العصفور بلله انقطر
فقلت : أو ما قرأت الاعلان فى الجرائد قبل
وفاته لتلفتى نظره اليه ؟ فقد كان ينشر منذ
أسبوع

رواية من عرابي الى زغلول

— لا أظن يا عزيزتي . لانه قبل موت

شندي بيومين كان عند شندي جلد فهد جميل
فعرضه الغلام علي لكي اشتريه ، فابت اذ
لا حاجة بي اليه . فخرج به وباعه حيث
لا أدري

فصفقت مرغريت كفاً على كف وقالت
لنفسها ويلاه : لا يبعد أن يبيع ابني معطفه
اخيراً . ويلي قد يموت من الفقر ، وانا
أبدخ في القصر ، آه ! ما ذنبه حتى يشقى
بجربة ابويه .

ثم وجهت الخطاب الى مسز شومان ،
قائلة : أين تظنين أجد جم الصغير يا ترى

— لا أدري يا عزيزتي . قلت له أن في
امكاني أن أقبه في الغرفة مجاناً الى أن يأتي
مستأجر لها . ولكنه شكرني اذ دفع المتأخر
من أجرة الغرفة ، وأعتذر لانه بقي من الاجرة
شئ وواعد أن يدفعه بعد حين متى وجد
شغلا . فسأحته به وقالت له لست أريد أن
يدفعه

فصفقت مرغريت كفاً على كف وقالت :
آه ليتك لم تسأحيه

— لقد أشفقت عليه يا عزيزتي . ولو
كان في امكاني لاعطيته شئين أو أربعة
ولسكن لا يخفى عليك ان صاحب البيت يأتي
في اليوم الاول من كل شهر ليقبض الاجرة فاذا
لم أستمد للدفع له في الحال طردني من المنزل .
ولا أخفي عنك أن بنتي دورا تشتغل كل
النهار بأربعة شللات فلا يبقى عندنا من أجرتها

شيء لأعام أجرة البيت

— آه ليتك لم تسأحيه لعله يأتي اليك
ليدفع الشئ فتعلمي منه عنوانه . وأظنه
سيأتي ليدفع الشئ اذ يلوح لي أنه ابني
النفس . فاذا جاءك تخذي منه عنوانه بالضبط
ولا تدعيه يفهم أن سيدة تريد عنوانه أو تسأل
عنه . هالك ورقة بعشرة جنيهات يا مسز شومان
تستعينين بها على هذه الازمة ولا أريد منك
بدلاً الا أن تعتمعي كل فرصة للحصول على
عنوان هذا الغلام

فأبرقت اسرة مسز شومان واستغربت
كرم السيدة ثم قالت :

شكراً لك يا سيدتي . اني فاعلة فعسى
أن يعود جم لزيارتي أو أن أعلم خيراً عنه
فاخبرك ما هو عنوانه : فما هو عنوانك ؟
— عنواني نفس الرقم الذي كتبت به
لي بجريدة الدايلي تليفراف . اما ترك جم
هنا شيئاً ليعود اليه ؟

— لا أظن ذلك يا عزيزتي فقد أخذ
كتبه وملابسه في حقيبة واحدة . ومع ذلك
نبحث في المكتب وخزانة الملابس اللذين
في غرفته

ودخلت مسز شومان الى غرفة شندي
تتبعها مرغريت ، وجمات مرغريت تفتح ادراج
المكتب والخزانة فعثرت في درج المكتب
على كتاب باللغة الهندية قديم مفكك لا يصاح
الا للاحراق ، فاخطفته كانه الكنز الدفين
او كأنها تجد بين صفحاته المختلفة أثراً لجم

قبل عنوانك الشريف ، قبل أن نصيري لا يدي ، وفيه يقول لك أن الطفل أصبح تحت خطر اغتيال ذوي قرني أبيه له ، لانهم علموا سره ومقره ، وإن أباه كتب وصيته سرّاً يخص فيها ابنه السري بكل ثروته ، نكايه بذوي قرباه . وذلك الآغا الآن يستتجد بك لانقاذ الطفل »

ثم أمرتني أن اذهب الى مصر لتحقيق حكاية الآغا وانقاذ الطفل اذا كان تحت خطر حقيقة ، واعطيني خمسة آلاف جنيه كرأس مال اتفق منها على مهمة انقاذ الطفل ، واشتغل شغلاً تجارياً يكفيني أن أعيش به وأربي الطفل واتبناء . وامرتني ألا أرى وجهك بعد ذلك كأنك برأت ذمتك »

« فصعدت بامرك وذهبت الى مصر محتفظاً بسرك احتفاظي بروحي وقابلت الآغا وتحققت صحة روايته وانقذت الطفل بمساعدته . وخاف الآغا أن يظهر بعد ذلك لاسياده لئلا ينتقم منه أعداء الطفل فسافر معي الى بومباي وهناك أصبح الطفل في مأمن »

« ولكن الآغا لم يرق له معيشة بمباي فما مضى عليه العام حتي مل الإقامة ورام العودة الى مصر ، فسافر اليها بالرغم من الحاحي عليه ان يبقى . وأخذ مي قسماً من المال كجزاء لخدمته . خفت انه يفضح المسألة في مصر ومن ثم يتصل الخبر بالحكومة فتقبض علي بحزمة سرقة طفل . فتحوطت

أو صورته ولكنهما لم نجد الا بضع ورقات مخطوطة باللغة الانكليزية ومودعة بين أوراق ذلك الكتاب لا يلتبه لها الا من جعل يقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة . والظاهر أن ذلك الكتاب كان محبوب شندي فكان يقرأ فيه كثيراً . ولعله كتاب ديني . واما (جم) فلا يفهم هذا الكتاب ولا يهمه . فما كان له قيمة عنده فتركه

فتفتحت مرغريت تلك الاوراق وجعلت تقرأها . فاذا هي خطاب موجه اليها . وهاك ما قرأته مكتوباً بقلم الرصاص : « سيدتي كنت أود أن أكون لك كالخيال الزائل أو كالذكرى التي جعلت نفسي أو كالقديم المتفاني في الماضي ، كما كنت ترغين وكما استحلقتني حين وليتني مهمة شريفة عظيمة واغدقت علي النعم الكافية لقضاؤها . ولكن تقاب الاحوال وصروف الزمان قضت علي بان اظهر لك مرة أخرى ، والا فضميري يقتلني في الدارين قتيلاً فظيماً »

« ولكي تعلمي ان الذي يكتب لك هو الصديق الحقيقي الذي تعرفينه عارفاً للجميل وما هو شخص مزور أو مزيف يخشى منه اسرد لك ملخص التاريخ الماضي فتتحققين اني أنا ذاك الخادم الامين »

« في ذات يوم اطلعتني على خطاب وارد من آغا زنجي استكتبه أحد الطلبة المصريين الذين لا يحسنون اللغة الانكليزية جيداً ، وارسله اليك بعنوانك السابق أي

وتربصت وشعرت اخيراً أن حسابي وقع او
كاد . فرحلت بالطفل في الحال الى لندن
وانا أحسب نفسي غريباً عن كل ما يحيط بك .
وجعلت أربي الغلام وأعلمه . وقد ولعت به
لذكائه وقوة عارضته وانفته ورقة شعوره .

ولكني لم أوفق في لندن التوفيق اللازم
أو الكافي . فكانت النحوس تتوالى عليّ .
واخيراً جعلت اضارب بالبورصة لعلّي أربح
ربحاً وافراً ، فأرفع درجة معيشتي وأستطيع
أن أربي الطفل تربية صالحة حسنة . والنفس
طامعة ، والطمع يغلب أن يؤدي الى الاذى .
وهكذا كان ، فضيقت آخر فلس معي وساءت
حالي جداً . ولشدة حزني وغمي اشتدت
عليّ النوب القلبية وشعرت أن أجلى قريب
» فرمت أن اجتمع بك لكي أخبرك

بأمري عسى أن تدبري أمر الولد بعد موتي ،
والأفضل صباح ولا ملاذ له . فأرسلته ليهمس لك
باسمي ورجوت أن تأتي الي دقيقة . فذهب
الغلام وما لبث أن عاد ساخطاً عليك لا يطيق
أن يذكر اسمك . وما روى لي كيف استقبلته
وطردته بازدراء الا وهو يتمرمر . ولذلك
رأيت من العبت ان اردته اليك بكلام يجعلك
أن تفهمي شيئاً لا يفهمه هو فجعلت اكتب
لك هذا الكتاب لكي أرسه اليك في البريد
أو مع رسول خاص غير جم . . . آه اني
شاعر بدنو النوبة واضطر أن أرجي . خاتمة
هذه الرسالة الى ما بعد انقضاء النوبة .
وسأخبرك أموراً أخرى . . . آه

وكانت مرغريت غريبة انما لما مات لم يكن
حجم عنده ، وأن محدثتها لما سمعت غطيظاً
غير معتاد دخلت لترى ما الخبر فاذا به يسلم
الروح . وقالت أنها تذكر أنها رأت ذلك
الكتاب على الخوان الى جنب سرير شندي لال
فرمته في الدرج حينئذ
وعادت مرغريت الى قصرها وهي في
هواجس ووساوس واشتد قلقها على الغلام
وعظم تملكيت ضميرها لها ، واحسنت أنها
مسؤولة عن حياة غلام كانت سبب وجوده
على وجه الارض وسبب شقائه أيضاً
وفكرت طويلاً في وسيلة للاهتمام اليه
فلم تجد أفضل من أن تكلف البواليس السري
» بافل « المشهور أن يبحث عنه ، ووعدته
بالمكافأة الحسنة ودفعت له مبلغاً من المال
وقدمت له معلومات قليلة هيئات أن تدل على
مصير الغلام الذي تعلقته أيدي المقادير وجعلت
تتقافه كما يتقافون اللاعبون الكرة

ومنذ ذلك الحين جعلت مرغريت تعيش
عيشة الزهاد الناسكين لأنها لم تعد تستطيع
اللهو والطرب والبدخ والترف . كأنها ارتوت
نفساً من أباطيل الحياة الدنيوية واحسنت
بفقر روحاني وتوافت الى الشيع من الحياة
ال عاطفية . رأت انه ليس الانسان الحقيقي

نصف بدر ويوماً هلالاً ويوماً أثراً بعد عين،
ولكنها لا ترى وجه هذا البدر في فلك
قصرها

آلت مرغريت على نفسها ألا تحضر
مجلس أنس الا بعد أن تمتع قلبها بطلعة ذلك
البدر فلذة كبدها

وبقي الناس حيارى لا يدرون سر انقلاب
مرغريت من الهرج والمرج الى الزهد والنسك
والورع . ولظالما تقولوا عليها في سبب ذلك
الانقلاب الفجائي الغريب ، ولكن ما من
قول دنا من الحقيقة كدنو القمر لعين
الطفل الرضيع ، لان الحقيقة خفية في
سر مكتوم

الا كتلة عواطف فان ضمرت هذه الكتلة
كان الانسان سقيماً تعساً

اجل لقد ملت مرغريت بهارج الدنيا
وزخارفها الكاذبة وشعرت أن نفسها ما زالت
ظائمة للحب الحقيقي وقلبها فارغ من حبيب
مائل ولكنه مملوء من حبيب غائب ، تسبح
نفسها اليه في أنير الحب ولكنها لا تدركه

كذا كانت مرغريت تمام وهي تعلم
بتعشق ذلك الابن الذي اشتق من قلبها
اشتقاق القمر من الارض، وافلت منها وجعل
يدور حولها ، وهي تدور مبتغية أن تضمه
الى صدرها فلا تصل اليه يدها . ثم تصحو
والآمال تريها هذا القمر يوماً بديراً ويوماً

الفصل السابع

افلت العصفور ثانية

تنسكك يا بنتي تجملك حديث الناس الدائم
ولو كان يفيدك في أميتك لما كان فيه بأس .
لقد فعلت كل ما يجب عليك نحو ابنك فان
توفقي « باقل » للاهتمام اليه أتممت الواجب ،
وان كنت لا تستطيعين أن تعلني الحقيقة
الفاضحة . وان لم يوفق فانت بريئة امام الله
فقلت مرغريت متعمرة : دعيني يا أماء
لقد كنت وابي سبب غمي هذا . لقد زوجت
زواجاً شرعياً وانا بالغة سن الرشد، فما كان

ورثي أصدقاء مرغريت المخلصون لحالها
وراموا أن يسروها فكانوا يدعونها لحفلاتهم
ومجالسهم بغية التسرية عن نفسها فتشكر لطفهم
وتعتذر بانها لم تعد تستلذ الطرب واللهو .
وقضت مرغريت نحو تسع سنين في هذا
الزهد . ولكنها في هذه السنين التسع لم تعثر
على أثر لا ينهها ولا ملت البحث عنه ولا قطعت
من لقاءه ولا ضمعت آمالها بالظفر بقبلة منه
وفي ذات يوم قالت لها أماء ان شدة

يكون عبداً لمن يقتصب تبعه مقابل رغيـف
يطعمه اياه . فدعيني من مجالس الانس فقد
أصبحت لي مجالس يؤس

— دعينا من مجالس الانس والطرب
فان هناك مجالس للعلم والادب . أفلا تريدان
أن نحضري بعضها ؟

— لا بأس . إن هذه المجالس غذاء
للنفس . فقد تطمئن نفسي النائرة ، وتسكن
روحي الفائرة

— حسناً . ان صديقتنا مسز جيروم
عقيلة الدكتور جون جيروم استاذ الفلسفة
في جامعة اكسفورد تدعونا لسهرة أدبية ، في
منزلها تحييها اكراماً لحصول بنتها على شهادة
البكالوريا . وسيكون الحاضرون كلهم من أهل
الأدب والعلم . فلا أظن من مانع لحضور
سهرة كهذه

— لا بأس . أود حضور سهرة أدبية
كهذه ولا سيما لأنه يغلب أن يكون
الحاضرون فيها غرباء عني . لا أظن أحداً
منهم يعرفنا أو يعرف عنا شيئاً . لأن أهل
العلم قلما يختلطون بطبقات الأعيان والاغنياء .
فهؤلاء طبقة قائمة بنفسها . يلذ لي أن أزعج
نفسي فيها ولا سيما لانني في الآونة الاخيرة
عكفت على المطالعة والدرس . اذن يسرني
أن نلبي دعوة مسز جيروم

في السهرة المعنية اجتمع نخبة من الادباء
والاديبات في منزل الاستاذ الدكتور جون

لكما حق ان تسعيا لنقض زواجي
— ولكنك يا بنتي لم تعلمي ان ذاك
الشاب المصري علي بك الربيعي كان متزوجاً
باخرى قبلك . فقد غشك و . . .

— لقد فعل ما يسوغه له دينه . وكان
يحيز له دينه أن يطلق زوجته الاولى ، ولا
سيما لانها لم ترزق اولاداً ، وانا رزقت ولداً
— ولكنك يا بنتي لا تجهلين أن أبويه
كانا يأتيان هذا الزواج ايضاً لانهما كانا
يدعيان النبل ويتمسكان بتقاليدهما الدينية
والوطنية

— وهو كان فوق سن الرشد وليس
لابويه سلطان قانوني عليه . ولو حافظت أنا
على عهده لحافظت على عهدي

— انت تعلمين يا بنتي اننا كنا نطمح
بزواج أشرف وأعظم لك . وكنت أنت في
سن ليس فيها للعقل ربع سيادة ما للقلب
على ارادتك

فسخّطت مرغريت وقالت : كفي كفي
يا اماه . لست تعزيني بهذا الحديث بل
تريدن آلامي

— لست أقصد يا بنتي أن اذكرك
بالماضي . وانما أردت أن أقول لك أنه يجب
عليك أن تحففي من غلوائك في الغم والنسك
فقلت مرغريت نازقة : لقد أفهمتك

قبل الآن أن مجالس الاهل والطرب ليس
انها لا تسرني فقط ، بل تؤمني اذا تصور
انني في وسط بواعث السرور ، وابني قد

في المدرسة مس دورا جيروم . فاعجب الحضور بالنظم واللحن والغناء وبصوت الفتاة وبما فيها من جاذبية الملامح ، وتهامس الحضور متسائلين عن اسمها وجنسيتها

وكانت مرغريت من المعجبين بها كل الاعجاب فتعرفت بها وجالستها برهة فاجبتها . وعلمت انها مصرية تدرس في لندن اسمها « جميلة » وقد تعرفت بالانسة دورا جيروم في الكلية واصبحتا صديقتين حميمتين . وكاتتا تزاوران . وان أباهما أودعها عند عائلة فاضلة تعني بها وتصونها .

ودعت مرغريت الفتاة لكي تقضي عندها بضعة أيام كضييفة . فاستأذنت « جميلة » مسز برون ربة المنزل الذي كانت تقطن فيه . فأذنت هذه لها . ونزلت جميلة ضيفة اسبوع عند اللايدي مرغريت فيفتر مسرورة

وكانت مرغريت تبالغ في اكرام جميلة والحفاوة بها والتودد اليها ، لأنها أحببتها فعلاً حباً جماً . ولعل صلة مرغريت القديمة بمصر كانت من جملة العوامل في حبها للفتاة المصرية والفتاة انست لها كثيراً . وكانت مرغريت تسألها عن أحوال مصر وتعمق معها في الحديث بأسلوب المتجاهل عسى أن تفهم منها أموراً جدت بعد تركها مصر . فظهر لها أن الفتاة لا تعرف الاشخاص الذين هي تود أن تعرفهم ، وانها لا تعرف شيئاً عن قصة الريبي ، كان القصة تنوسيت ، أو انها لم تشتهر قط

جيروم فتعرفت مرغريت بكثير منهم وكان جو ذلك المنزل جواً علمياً فلسفياً . فما من حديث الا حديث الاساذ فلان كتب في المجلة الفلانية مقالة رنانة بموضوع الاشعاع الكهربائي . والدكتور فلان ارتأى كذا في قضية اهتزازات الحرارة والنور . والاساذ فلان كتب كتاباً في تقسيم الجواهر الفرد ، والعالم فلان التي محاضرة شائعة في تطور الامم الخ

هذا ما كانت تسمعه مرغريت من الاحاديث فتطالت نفسها الى الاحاطة بهذه العلوم ووطنت النفس على انها في اليوم التالي ستقتني مكتبة جامعة لجميع العلوم والفاسفات المختلفة . ولذت لها المواضيع التي جرى الحديث فيها وشعرت ان في حفلات الأدب والعلم لذة لا تنتهي ولا عمل خلافاً للذات الطرب والاهو والرقص والغناء فانها مملولة منهكة للاعصاب

ثم وقف الاساذ العلامة السير اوليفر لودج والتي خطاباً عن علاقة النفس بالجسد وحياة الروح بعد الموت

ثم رنمت بعض الفتيات رفيفات مسز دورا جيروم ترنيمة الشهادة المدرسية وعزفت بمضهن على الآلات الموسيقية فابتهجت نفس مرغريت اي ابتهاج

ثم وقفت فتاة استأفت شكلها الانظار لأنها لأول نظرة ترى غريبة البلاد . ورنمت قصيدة من نظمها وتاجيتها قرطت بها رفيقتها

في ذات يوم من تلك الايام القليلة التي قضتها جميلة في ضيافة اللايدي مرغريت فيفر جاء رسول يقول أن ممة طرداً (بقجة) صغيراً من سيده معنون باسم الانسة « جميلة المصرية » (كذا كانت تعرف جميلة عند معارفها) فاستقبلته مس نلي وصيفة مرغريت . فقال لها : انه يود أن يقابل مس جميلة المصرية لكي يسلمها الطرد

فدخلت نلي الى سيدتها اللايدي مرغريت وابلغتها ذلك . فحفي غضب مرغريت كماداتها وقالت : ان هذا الرسول وقع . خذي منه الطرد وقولي له انه لا يقدر أن يرى الانسة « جميلة » هنا

فعمدت اليه نلي وقالت : ان اللايدي فيفر تقول أنه ليس يمكننا أن تقابل الانسة جميلة الان . فهات الطرد وأنا اسلمه اليها — بل اريد أن الانسة تمضي على الوصل — لا بأس هات الوصل فتمضي عاياه وأرده لك

فتردد الرسول وقال : عذراً يا سيدتي اني مأمور أن اسلم الطرد يدأ بيد وان استلم الوصل كذلك . فارجو منك أن تأذني للانسة جميلة أن تقابلني ، ولا بأس أن تكوني حضرتك معنا

فعمدت نلي الى اللايدي فيفر وأخبرتها ماكان من أمر الرسول وماذا يقول ، فاشتد غضبها جداً وقالت : انها لقجة لا مثيل لها

يأتيا هذا الرسول . ان أوامري في قصري لا تقض . لا يمكن أن يرى الفتاة أحد . دعيني أرى هذا الرسول الوقح

وكانت جميلة لا تزال منفردة في خدرها لا تدري بما هو حادث . وخرجت مرغريت من مجلسها الخاص الى رحبة القصر ، فرأت فتى في شرح الشباب تدل ظواهره على أنه من طبقة العمال أو من طبقة فقيرة ، ولكنه مصعر الحداشم الاتق ، كأنه من الاشتراكين الذين يكرهون النبلاء والاعيان ، وفي وجهه علائم الصحة والقوة معاً ، كأنه من الفتيان المعتدين بقوهم الذين يشاجرون خيالهم اذا لم يجدوا من يشاجرونه ، فتهيبته قليلا وقالت له بسخط : ماذا تريد يا هذا ؟

فاجاب متمعلا التلذف والركة متبسما : أريد أمراً غير منكر . أريد ان أرى صاحبة هذا الاسم الذي على الطرد (البقجة) — لا يمكن ان تراها . فلك ان تدع الطرد هنا أو تأخذه

— ان هذا استبداد يا مدام لا يجوز في عصرنا هذا ، الانسة جميلة ليست تحت سلطانك ، انبشها ان رسولا يريد مقابلةها . وهي وحدها ذات الحق في ان ترفض أو تقبل

فازداد سخط مرغريت وصاحت به : اني في بيتي صاحبة السلطان المطلق . ولا انتظر ان وقحاً مثلك يرسم لي قوانين سلوك . أن شئت ان تترك « الطرد » هنا وتدع

فتناولت جميلة الطرد وهي تقول : ممن هذا يا ترى ؟ يلوح لي ان فيه شكولاته

— يقول انه من سيدة ولم يقل من هي وكانت مرغريت تود أن تعلم ما في الطرد ومن هو شأن كل انسان يود استكشاف الاسرار وأما جميلة فكانت تتردد وهي تخشى ان تسيء الظن بها اللابدي مرغريت اذا لم تفتح « الطرد » امامها وشعرت أنها ملزمة ان تفتحه حتى ترى اللابدي ما فيه ولا يبقى عندها شكوك وشبهات . ففتحتها فادا فيه شكولاته كما ظنت وبين الشكولاته رسالة . وكانت اللابدي مرغريت تحاول أن تستطلع طلع الامر بواسطة التسال فقالت ، لعل الهدية من صديقتك الآمنة دورا جيروم . لا بد أن تتضح لك الحقيقة من الرسالة التي ضمن الطرد

فلم يسع جميلة حينئذ الا أن ترفض الرسالة حتى تدفع كل شبهة او مظنة . فرفضتها وهي تتورد وتمتقع كأنها تتوقع أمراً باعثاً على الشبهة . فاذا هي بضع صفحات ، فجلت تقلب الصفحات تارة وتقرأ أخرى ولون وجهها يتقلب مع تقلب الصفحات ، ومرغريت تقول لها ، اظن دورا نظمت لك قصيدة رداً على قصيدتك لها

فلمهت وجتتا جميلة وظهر عليها الارتباك ولم تعد تدري ماذا تقول . ولكنها كانت مضطرة ان تقول شيئاً فقالت : لا . ليس الخطاب من دورا يا سيدتي

الوصيفة تمضي لك الوصل كان خيراً والا اخذ طردك ووصلك وامضي

فكاد الشرر يتطاير من مقايي الفتى ولكنه عمالك عفوانه وقال للوصيفة : ارجو ان تسلمي هذا الطرد للآنسة جميلة ولست انتظر الى ان يمضي أحد منكم وصلاً ، اسعدتم صباحاً

وخرج الفتى متعجباً متعظاً . والظاهر ان جميلة سمعت لفظاً فخرجت من مخدعها الى البهو لترى ما الخبر فكان الفتى حينئذ سولياً ظهره . فبادرتها اللابدي مرغريت قائلة : عذراً يا عزيزتي . ان فتى وقحاً جاءك بهذا « الطرد » واصر على أن يقابلك لكي يراك تمضين الوصل بخط يدك . ولا يخفى عليك ما في هذا الاصرار من الفحمة .

فقالت جميلة متحيرة — لا ريب ان هذا التصرف قبيح لا تغفر لهم ما كان السبب فقالت اللابدي فيفر : واظني قد قمت بالواجب نحوك يا عزيزتي لان هذا الرسول تدل ظواهره على أنه من الطبقة المنحطة اللفظة التي تكره طبقة الاكابر والاعيان لانها تريد أن تشترك بحظ الاعيان ونصيبهم من غير سعي وكدح بحجة ان الثروات مشتركة بين الناس بقطع النظر عن درجاتهم وطبقاتهم .

ومن يدري ماذا يخفي هذا المنتشر من الشر . فلذلك اظنك تحبذين تصرفي معه وطرده من غير ان يراك . هذا هو الملف الذي أني به

استحضرت في ذهنها صورة جم الصغير الذي
ارسله لها شندي لال وقابلتها بصورة هذا
الرسول فوجدت تطابقاً كلياً ولا فرق الا
ما اوجبه كبر السن . فحارت لا تدري كيف
تفسر تلاعب الاقدار بها وانما لاحت في خاطرها
بارقة أمل وقالت في نفسها : اذا كان جم
يعرف جملة وهي تعرفه فقد سهل الاهتداء اليه
ثم جعلت تقرأ الرسالة مندهشة مما ورد
فيها : وهالك نصها —

« يا كوكب سعدي الطالع

« لقد ضل مرصد قلبي عنك

« طاف فؤادي الراصد بهاءك جميع
الافلاك التي يرسمها ضياؤك، وتفاغل بين جميع
الكواكب والنجوم التي في سمائك ، فاذا
بها حمراء أو قائمة لأن أشعة ضياؤك
احتجبت عنها

« فالى أي سماء برحت ؟ وفي أي فلك

تدورين ؟ وما الذي حجب أشعة ضياؤك
المتدفقة ؟

« ان الاجرام حسدت قلبي لانه لا

يزال يشع النور الذي اخترته من فيض نورك
وهي قد فقد نورها

« ان قلبي سابع في الفضاء وهو لا يزال

شديد الانجذاب اليك بجبل الحب

« فرحمة لا تطيلي خيط جاذبيتك له

لثلا ينقطع على تماديه فيصبح تائهاً في
اللانهاية ويعود أخيراً الى العدم الذي ابتدعه
حبك منه

— أظنه من احدى السيدات اللواتي

تعرفت عليهن في تلك السهرة الانيسة يا عزيزتي
فضاق ذرع جملة وكاد الارتباك يعمي
بصرها وقالت وهي تضطرب : لا أدري
يا سيدتي لا أدري لعل الطرد ليس لي

— بل هو معنون باسمك يا عزيزتي

— اذاً هو من شخص أحبه . ربما

كان ظنك في محله يا سيدتي . لا أعرف
أحداً يهديني هدية كهذه ويضمنها رسالة
كهذه . لا لا يا سيدتي ، ليست الرسالة لي
لاني لا أعرف كاتبها .

وتركت جملة الطرد والرسالة وولت
ظهرها تريد أن تعود الى حجرتها . فقالت
مرغريت : أظن أن حسابي قد صح . لا
بد أن يكون هذا الفتى متطاولاً وقحاً .

وتناولت مرغريت الرسالة وجعلت
تقرأها مستعربة . وبالطبع أول ما ينظر فيه
قاري أي رسالة هو الامضاء . فألقت
مرغريت نظرها على آخر الرسالة . وما كان

أشد دهشتها حين قرأت اسم «جم» . فانتفض
فؤادها في صدرها انتفاض المصفور بلله القطر
وقالت : ويحي . الارحج انه ابني . لقد

طردت ابني . هذه هي المرة الثانية ترميه
المقابر بين يدي فأطرده عني كما نبذته بعد
أن ولدته . فما أشقائي وأتعس حظي . ان
الله يعذب قلبي لاني كنت سبب محبي ابني
كفيلط الى عالم الشقاء

وبقيت مرغريت برهة كالجنونة وقد

أشعتك ، واخطرت الاجرام في أفلاكها
لفقدان التوازن بينها، وتمردت عناصر الطبيعة
لضعف نظامها ، فابرت البروق الخواطف ،
وأرعدت الرعود القواصف ، وزلزل الحيل
الواجب

« فبالله عودى الى عرشك الابهى الاعمجد
حتى تجمع هيبة جلالك ثورة العناصر المتمردة،
ويرد صولجان بهائك النظام الى نصابه ،
وتعود الطبيعة الى ربيعها ، والكواكب
الى مداراتها ، ويعود قطبا الحب والجمال
الى توازنهما

« اني أخاف أن يكون البرج الجديد
الذي جلت فيه كشمس دليمة الذي أوهن قوة
شمشون . فحاذري أن يسقط ملاك اقنومك
من مكائته التي اختصته القوة القصوى بها
« ان قدس فضائك يتلوث بسم حمة
برج العقرب الذي حلت فيه شمسك ، وبشرة
ذراعيك الناعمة تتجمد تحت ثقل تلك
الكهرباء التي تظلمت بها

صوني جمالك عنهم انهم بشر
من الزاب وهذا الحسن روحاني
« جم »

فما أتت مرغريت على آخر هذه الرسالة
الشمرية حتى وهنت قوتها سكرأ من خور
البيان والحب والاسى معاً

أما من خمر البيان فلان شعر الرسالة
الساحر ارقص لها في قلبها .

واما من خمر الحب فلان غزل هذه الرسالة

« ياراد يوم حي الحار . مهما أقصت
الاقدار عني أو حجبتني صروف الزمان عنك
فان أشعة راد يوم جمالك التي لا تفرغ تبلغ
الى فؤادي فتعمده بمدد الحياة . الراحمة
بهذا الفؤاد الذى نفخ فيه حبك نسمة الحياة
لكي يتمجد به . لا تقطعي أشعة راد يومك عنه
« يا معجزة الخلق النادرة ، أن القوة
القصوى اصطفقت لكي تكوني المثال الاعلى
لقطي الحب والجمال اللذين بينهما تتردد
تلك القوة العظمى ، وجعلت كيانتك صلة
الحب بين القوة المبدعة الفاعلة وبين الحياة
المبدعة المنفصلة ، ألا رحمة بالنفس التي ضمنت
كيانها لا تكفي فاعلية حبك عنها

« يا زهرة ربيعي الناضرة . لقد احتجت
أزاهر الارض الذابلة على خلود نضارتك
كما احتجت القلوب الشائخة على ربيع قلبي
الدائم لزوال ربيعها . وأما لا قبل لها على
مقاومة القضاء الازلي الذي قضى بالخلود
لنضارتك كما قضى بالدوام لحبي . ان الشمس
التي وظفتها القوة القصوى في مصنع الازاهر
لكي تدبجها بألوانها تستمد قوتها من القوة
القصوى باذنك ، وتتلون أشعة طيفها بألوان
جمالك . الا رافة بروحي التي جيلتها من
مادة اثيرك الذي يتموج بذبضات بهائك .
لا تكفي خيوط الاشعة الشمسية عن صنع
أزاهر ربيعي الدائم

« قد اتقت من سماء فضيلتك الرحيب
الى سماء آخر غريب ، فاكمد الفضاء لانسحاب

علاجاً لضعف الجسد لا انعاشاً للنفس . إن نفسي متعشة يا نلي وأما جسمي وأهي القوى وبعد أن شربت مرغريت الشاي والكنياك دخلت الى حجرة جميلة باشة متهلة باسمة فوجدتها مستغرقة في بحران ودلائل الكتابة بادية على محياها وقالت لها . عفواً وعذراً يا حبيبتى . لقد أسأت اليك . فصفحاً ومغفرة

فظرت جميلة فيها متمتعة وقالت : ماذا تعنين يا سيدتي الفيكوتس ؟

— لقد قرأت الرسالة وفهمت انها من صديق لك . وأظن أن الرسول نفسه الذي جاء بها هو الصديق بعينه . فأسفت عظيم الاسف لخاشتي أياه .

فقاطعتها جميلة قائلة : عذراً يا سيدتي لا اعرف صديقاً يرسل لي رسالة أو هدية على هذا النحو . فأنا بريئة من مثل هذا

فقالت مرغريت وهي تريد أن تفهم جميلة باطن كلامها كظاھرہ أي أنها تعني ما تقول : لاداعي يا عزيزتي أن تتبرئي من صداقة صديق له هذه العواطف وهذا الوداد الصادق كما يفهم من رسالته . ان فتاة مثلك لا تقدر ان تصد صديقاً نادر الاخلاص والود كهذا . وليس في الصداقة الطاهرة معرفة . كنا مثلك وكان لكل فتاة فتى يناجي فؤادها فؤاده . فلا تحسبي هذا عيباً أو معرفة . لقد أسفت أني خاشنته بالرغم من ان اللوم عليه لان اسلوبه كان مستهجنأ .

انار كل عواطف الخنو الوالدي في فؤادها فاصبح قلبها جمره حب

واما من خمر الاسى فلان التعريض الذي عرضه « جم » بها في العبارات الأخيرة من الرسالة اوقدت جمرات التبكيت في ضميرها . ان جم يحذر حبيته من المكث عند اللايدي مرغريت فيفر لانه لا يزال يتذكر مقابلته المهينة لها حين كان رسولا بينها وبين صديقها القديم شندي لال مع أن شندي لال اكده ان اللايدي مرغريت فيفر تحفل به حالما تسمع اسم شندي

فلذلك لم يبق ضئيد مرغريت شك بان جم هذا هو جم شندي لال نفسه وانه هو ابنها

بقيت مرغريت نحو ساعة وحدها في خدعها كأنها في بحران وبدنها يقشعر من لحظة لاخرى كلما لاح في مخيلتها طيف جم وهو غلام ، وطيفه أخيراً وهو يافع او في مطلع الشباب . وكانت تنقض كلما تذكرت كيف أهاته وطردته في المقاتلين

وقد قرأت الرسالة مرتين أخريين منقمة معانيها . وكانت كلما قرأتها مرة تجددت ثورة عواطفها . وأخيراً نادى وصيفتها نلي قائلة : هاتي كأس شاي وكأس كنياك

فظرت فيها نلي قائلة : سيدتي . لقد اقلعت عن الاشربة الروحية من زمان

— اجل . واما الآن فلا أريد أن أسكر بل أريد أن أتعش . واريد الوسكى

ولا فتى ذكياً ولا غير ذكى . فهل تريدني من هذا الحديث أن تستجوبيني بحق استضافتك لي ؟

فقطعت مرغريت الخطاب عليها قائلة :
عفواً ومعدرة يا حبيتي . لست اعني هذا قط . فاذا كنت توسعين في تأويل كلامي فاني « اسحب » كل كلامي واسكت عن هذا الموضوع نهائياً . وانما قادني لهذا الموضوع اضطراري ان اعتذر لك عن مخاشتي للفتى وعن قراءتي الرسالة الامر الذي سوغه لي سلوك الفتى نفسه وتصرفه المستهجن . فارجو منك الصفح لذين الذنين . واود منك أن تعلمي انك تزدادين كل يوم كرامة ووقاراً في نفسي . وقد انشأ وجودك عندي سروراً لي لا ينسى . فاشكر لك شكراً جزيلاً تفضلتك بضيافتي . أظن انك تحتاجين الان الى منعش . اناذي نلي لكي تأتيك بكأس منعش

والقت مرغريت الرسالة على المقعد الى جنب جميلة وادارت ظهرها لتخرج فقالت جميلة : ارجو منك ياسيدي ألا تدعي هذه الرسالة هنا

— ولكنها لك ومعنونة باسمك

— لا لا . لا اقبلها . ألا تأخذينها ؟

— يا عزيزتي لا حاجة لي بها

— اذاً

وجعلت جميلة تمزقها حتى جعلتها هباءً ورمتها في سلة المهملات

فعدراً يا عزيزتي ومغفرة . خذني الرسالة فهي لك

وقدمت مرغريت الرسالة لجميلة فردتها هذه قائلة : معدرة يا فيكونتس . لست اقبل رسالة ولا هدية من فتى مهما كان . ان عادات قومي ياسيدي تأبى علي أن تكون لي أقل صلة باي رجل مهما كانت احواله — وهل افهمت هذا الفتى عادات قومك حتى لا يزعجك بمثل هذا السلوك ؟

ف نظرت جميلة في مرغريت وفي نظرها شيء من الغضب وقالت : وهل رأيت حتى افهمه ذلك ؟

فانكشت مرغريت محاذرة التطوح في الحديث وقالت كأنها تهمس لنفسها : قلت لعله سعى اليك قبلاً كما سعى اليوم فابلغته

— فقالت جميلة وهي تكاد تسمخظ وتمزق : لا يامولائي . لم اقبله في حياتي ولا رأيت ولا عرفت من هو

فقالت مرغريت : وماذا يمنع ان يريه وتقابليه وتقابلي أي فتى متأدب ذكي رقيق المواطنف مثل « جيم » . أنت في بلاد راقية متمدنة ، المرأة فيها حرة كالرجل ، ويجوز لها كل ما يجوز للرجل . وما يستنكر منها يستنكر من الرجل ايضاً . فلا مانع يا عزيزتي أن . . .

فقاطعت جميلة كلامها وقد قطب حاجبها غضبا وقالت : عفواً وعدراً يا فيكونتس . قلت لك اني لا اعرف فتى متأدباً ولا غير متأدب

ولكن أما عرفت شيئاً من الطبيب الذي كان
يماجه ؟

— الطبيب يقول انه لم يعرفه الا في
المدة الاخيرة ولم يعرف عنه شيئاً

— وفي المدارس ؟ اما أهديت الى من
يعرف « جم »

— ما عثرت في المدارس على اسم جم
لال البنة . وانما عثرت على اسم جون دال

فقلت لعله هو يحرف اسمه وربما كان اياه
لانه ترك المدرسة منذ ذلك التاريخ أى منذ

تاريخ موت شندی لال . ولم يعد يعرف
أحد عنه شيئاً . ولذلك أهملت البحث عنه

لان معلوماتك يا سيدتي عنه عقيمة لا تؤدي
الى باب أو سبيل يولج منه للبحث المثمر

فابتسمت مرغريت وقالت : لقد وجدت
لك معلومات مثمرة وفي امكانك الان ان

تهتدي الى السبيل المؤدي للفتى بعينه على
ما أظن

— حسناً . هاتي معلوماتك

— في شارع هنري الثامن رقم ١٢
عائلة باسم برون . ومع هذه العائلة تعيش فتاة

مصرية في نحو السادسة عشرة من عمرها
اسمها جميلة المصرية . وهذه الفتاة تدرس

في مدرسة فكتوريا العليا . فعليك ان تراقب
هذه الفتاة

فقال بافل ضاحكاً : هل تحول فتاك الى
فتاة يا فيكونتس ؟

فابتسمت وقالت : لا . وانما اذا صحت

وحاولت مرغريت في ذلك اليوم أن
تستأنف الحديث مع جميلة بهذا الموضوع

عسى أن تفهم منها شيئاً عن جم فما استطاعت .
بل بالعكس لما أعادت الحديث في الموضوع

عادت جميلة تمتنع وتزمهر واستأذنت
اللايدي فيفر أن تعود الى منزلها . فبالفت

مرغريت بالاعتذار . وبالجمهد استطاعت أن
تقنعها بالبقاء حتى الصباح التالي حين ودعت

جميلة مرغريت وامها العجوز وشكرت لها
لطفهما العظيم وعادت الى منزلها

في ذلك اليوم استدعت مرغريت بافل
البوليس السري الذي كلفته أن يبحث عن

جم وسألته ان كان قد وقف على معلومات
جديدة

فقال : أن المعلومات التي أعطيتها
يا سيدتي لم تفدني شيئاً في التحقيق عن مصير

الغلام لانه لم يعد قط الى منزل السيدة شومان
حيث كان يقطن مع شندی لال . ثم استقصيت

كثيراً في حي الهنود عن اشخاص يعرفون
شندی لا علم بينهم ماذا يعرفون عن جم فما

وجدت أحداً يعرفه لانه لم يكن يختلط ببني
جنسه . ولم أعثر الا على واحد يعرف اسم

شندی لال وهو لا يدري انه مات . وقد
قال ان شندی لال كان في لندن منذ خمسة عشر

عاماً وانه عاد الى بومباي
— ذلك قبل أن يعود عودته الثانية .

ظنوني فقد أصبح مقود فتاي في يد هذه
الفناة . فهي الشمس التي يدور جم في فللكها .
وهي الريح الذي يتطال « جم » الى
أزاهره . فمالك أن رقب السيارات التي
تدور حول تلك الشمس
فتهد بأول الصعداء وقال : لا أسهل من
ذلك يا سيدي . وفي عهد قريب آتيك بالخبر
اليقين ان شاء الله

الفصل الثامن

كيف تشرى الثقة وتباع

نرجع بالتاريخ الى الوراء قليلا فنرى انه
في عصر أحد الايام كان الدكتور رولنسون
أستاذ الفلسفة في كلية سنت بول جالسا في
مكتبه يطالع تارة ويكتب أخرى حسب
عاداته . فجاءه الخادم يقول : هنا فتى يدعى
جايمس لام يريد أن يرى حضرة الأستاذ
— ماذا يريد ؟
— يقول أنه يريد مقابلة شخصية
ويدعي أنه يعرف جنابك
وجعل الأستاذ يفكر عسى أن يتذكر
فتى بهذا الاسم الى ان قال : لا أعرف شخصاً
بهذا الاسم . فدعه يدخل الى هنا لترى من
هو وماذا يريد
فخرج الخادم ودخل فتى طويل نحير
الطلعة سمحها أنوف أشم وبين شفتيه ابتسامة
خالدة وثوبه قديم فيه آثار الاهتراء ونحت
ابطه كتاب . وحيا الدكتور بتأدب
فرمقه الدكتور رولنسون مرتبكا بعض
الارتباك لانه لم يقدر ان يحكم على شخصية
هذا الفتى من مجرد رؤية ملامحه ، لان
ظواهره تدل على التشرذ وملامحه تنم عن
نبيل ، وعقليته غير مألوفا . ثم رد له التحية
بأحسن منها وقال : تفضل اجلس
فجلس الفتى وقال له الدكتور : اني
يا بني كثير النسيان فهل تذكرني أين التقينا ؟
— أي نعم يا سيدي الأستاذ . ان من
كان مثلك يستحيل عليه أن يعرف كل
معارفه ، حتى ولا جاههم لأنهم أكثر من
أن يحصيهم عد . واما أين التقينا أنت وأنا
ففي هذا : - (وأشار الفتى الى الكتاب) .
فقال الأستاذ : ما هذا ؟
— هذا كتاب الفلسفة الادبية تأليف
الدكتور رولنسون . ومنه استقيت روح
الدكتور وتطبعتم بمبادئه ولا سيما في باب
الحق والواجب . هنا تعرفت بحضرتكم وجئت
لكي أعرفكم بنفسي .

خدمة ولا صدقة حتى ولا مساعدة . ولست أرجو منك أن تخسر لاجلي الا نصف ساعة من وقتك . وبهذا النصف الساعة تكون قد اغدقت علي فضلاً عظيماً

فاستغرب الاستاذ وقال : لك يا بني ما تشاء . فإذا تريد أن تقول وماذا تحتاج ؟ — احتاج ياسيدي الى ثقة . عندي قوة ونشاط واجتهاد فوق معدل البشر . وعندي معرفة وإرادة وصبر فوق معدل البشر . وعندي أمانة واستقامة واخلاص ومحبة فوق كل البشر . وأما احتاج الى ثقة فحئت لكي أنا لها منك . .

فقاطعه الدكتور قائلاً ماذا تعني . . فقاطعه الفتى قائلاً : قد تسأل لماذا تطلب هذا مني خاصة لا من غيري ؟ فأقول لك يا سيدي اني عجمت عود كل صنف من الناس ، وقدمت نفسي لكل فئة من اصحاب الاعمال فقبلوا مني قولي ، وأما كان يقف في سبيلهم عدم ثقتهم بي وأنا اجد نفسي اهلاً لان اكون محل ثقة جلاله الملك نفسه . فاحترت في اجماع الناس على عدم الثقة بي لاني لم اجد في نفسي علامة خاصة تدل على الخيانة . فحئت لكي استفتيك يا سيدي في الوسيلة التي اتوسل بها الى ثقة الناس بي ، ولكي ارجو منك ان تضيف الى كتابك هذا فضلاً عن هذه الوسيلة لانه بدونها يبقى الانسان ناقصاً

فكان الدكتور الفيلسوف يسمع كلام

فأعجب الدكتور بحديث الفتى وجعل يستأنس به وبدأ يغير ظنه فيه ويصرف نظره عن زي التشرد الذي يظهر فيه وقال : على الرحب والسعة يا بني . .

— حلماً ياسيدي . اي شاعر بالثقيل على جنابكم تمام الشعور بهذه الزيارة ، لانه لو كان كل شخص مثلي درس كتبكم الثمينة بخول نفسه الحق بأن يمر فكم بنفسه كما أقول انا الآن لكان على الله تعالى ان يجعل عمركم ألف أو ألفي سنة على الأقل حتى تستطيعوا استقبال أمتالي . ليت الله يطيل عمركم هكذا حتى تصبح زيارتكم حق لكل مطاع على تآليفكم

فابتسم الدكتور رولنسون رداً على تقرير الفتى له وبقي ساكناً فاستمر الفتى يقول : أما أنا يا مولاي فما جئت لأزعجكم بمقتضى هذا الحق بل بمقتضى حق آخر نوهتم عليه في كتابكم في باب الحق والواجب وجعل الفتى يروي ماخص الباب بكل اختصار وبكل لباقة كأنه يقدم امتحاناً في الموضوع لاستاذة . وكان الدكتور رولنسون يعجب أتما عجب بكلامه الى أن قال : وقد برهنتم في فصل التعاون الانساني على ان مساعدة القوى للضعيف دين عليه . فإذا لم يف هذا الدين كان من فئة مقوضي أركان العمران . . فقال الدكتور باسمياً مقاطعاً : ماذا

استطيع ان اخدمك يا عزيزي — عفواً ياسيدي الاستاذ . لست اريد

— ولا هذا تستطيع ان تلومه
— حسنا فذهبت الى جزار وانا أقول
في نفسي ان الجزار لا يسأل عن شهادات
ولا عن شهود لان شغله بسيط واسكنه كان
اقل ثقة من الآخرين . فقال هل من ضمنك
فقلت : لا . ولماذا الضمانة ؟

قال : سأكلفك ان تجمع من الزبائن
في آخر الاسبوع ديوني عندهم . فلا بد من
احد يضمن انك تدفع لي المال . فتركته من
غير أن اجابوه لان جوابي له قد يفضي الى
معرفة بيننا

— حاملاً يا بني . انه معذور . فلطالما
كان حياة الاموال خونة . وهو لا يعرفك
ولم يجربك بعد

— حسنا . اخيراً قصدت الى ادارة
جريدة مشهورة وقلت في نفسي : هنا
وظائف كثيرة متنوعة لا تحتاج الى ضمانات
ولا الى شهادات . فقدم لي مدير الاشغال
ورقة طلب وظيفة مطبوعة وقال : املاً كل
فراغ فيها هكذا

اسمي — جايس لام

عمري — ١٣ سنة

شهادتي المدرسية — لاشهادة عندي وانما
اعرف كذا وكذا وكذا

اشخاص يعرفونني — لا احد

أين اشتغلت سابقاً — لم اشتغل بعد

شهادة ممن اشتغلت عنده قبلاً — ليس
عندي

الفتى مستغرباً وهو يتفرس فيه كأنه يخشى أن
يكون مخادعاً له . وشعر حينئذ ان محادثة
هذا الفتى خير درس له . فقال . اني افتيك
يا بني واخيف الى كتابي الفصل الذي تقول
عنه بعد ان استفيد من امرك ما استفيد .
فهل في امكانك ان تقص علي كيف لا يثق
الناس بك ؟

— نعم يا مولاي . قصدت الى محام
اطلب منه ان يجعاني كاتباً صغيراً عنده . فبعد
ان امتحني اعتذر بانه ليس عندي شهادة
مدرسية . فقلت الشهادة لا تضمن معرفة
واهلية . فقال : صدقت ولكنك لا تعرف
الكتابة على الالة الكتابة . فقلت في برهة
اسبوع احسن الكتابة عليها . فقال . ليس
مكتبنا مدرسة . وهكذا صرفني من عنده
من غير ان يقبل مزيداً من رجائي ان يجربني
— لا تلمه يا عزيزي . ولو كانت قاعدة
الاشغال هكذا كما تبتغي أنت امكان كل
يوم يأتي الى ذلك المحامي الف فتى مثلك
يقولون مثل هذا القول

— حسناً . ثم قصدت الى مكتب تاجر
بسيط (كوميونيستي) فقال اين أوراقك
فقلت ماذا تعني ؟ قال شهادتك . فقلت
ليس عندي شهادة الا العمل والامتحان .
قال : هل تعرف احداً ؟ قلت لا اعرف
احداً ذا شأن . قال : في اي مدرسة تعلمت .
قلت في بيتي . قال : بكل اسف لست الشخص
الذي ينفعنا

شهادة سلوك — ليس عندي

ضمانة — ليس عندي

فلما أطلع مدير الأشغال على هذا الطلب ابتسم وقال : بكل أسف أقول لك يا بني اني لا أقدر أن أقدم هذا الطالب الى المدير . فالأفضل أن تأخذ ورقة أخرى ونجتهد أن نملأها بالإيجاب لا بالسلب . ثم اعتذر مني وقال أنه مشغول

فاجاب الدكتور رولنسون : وتريد أن نملأ هذه الورقة ؟

— لا يا سيدي . فقد تركتها في ادارة الجريدة وخرجت الى معمل حديد وقلت أن الله أعطاني عافية وقوة فلا اشتغل الشغل الشاق بالحديد وان كان يقف الشغل البدني في سبيل الرقي العقلي . فسألني مدير المعمل كم عمرك . فقلت ١٣ سنة فاستغرب وقال .

تكذب ونحن لا نستخدم الكاذبين
فقلت : عفواً يا مولاي . انك لا تكذبني
أنا بل تكذب الله الذي يده الاعمار ، وقد رام أن يفهمك أن في مقدوره أن يجعل في ١٣ سنة رجلاً بل كهلاً بل شيخاً أن شاء فما ذنبي اذا كان الله أنماني جميعاً . فقال : ليس في الامكان قبول أحد عندنا بهذه السن لان قانون الحكومة يحظر ذلك

فقال الدكتور رولنسون وقد لد له

حديث الغلام

— وهذا معذور يا بني

— نعم يا سيدي وقد طفت على آخرين

فيكان عدم ثقتهم بي سبباً كبيراً في رفض خدمتي . فهل الثقة أمر يباع ويشترى أو هو درس يدرس في المدارس . فبالله قل لي يا سيدي كيف انال هذه الثقة من الناس وكيف يثق الناس بعضهم ببعض من دوني وأنا أرى نفسي أعظم أمانة واستقامة حتي من المطران والاسقف

فضحك الاستاذ وقال . لا تلم الناس يا بني لأن الثقة قليلة في الدنيا وغالية ، والناس الخونة كثيرون ، وبجبريتهم يضام الامناء . يلوح لي أنك حديث العهد في العالم وكثير العلم وقليل الخبرة بالناس فقل لي الآن في اي مدرسة تعلمت ؟

— درست في المدرسة اليومية ٣ سنين

حتى بلغت التاسعة . ثم درست في بيت مسز طمسن ٣ سنين ونصف سنة

— هل بيتها مدرسة ؟

— كلا وانما كنت في خدمتها وهي

سيدة فاضلة وعالمة فدرستني بعض بسائط العلوم

— الا يمكن أن تعطيك مسز طمسن

شهادة ؟

— كلا لأنها ماتت

— الا يمكن أن يشهد على صحة قولك هذا أحد من أهل منزلها ؟

— لم يكن في منزلها غيري ، لان لها ابناً مزوجاً منفصلاً عنها . ولها بنتاً مزوجة ايضاً . وكان بينهما وبينهما جفاء لأنها لم تشأ أن تشركهما بعقارها في حياتها بل حفظته لنفسها حتي مماتها لأنها كانت آية النفس ، وخافت أنها اذا سلمت عقارها لابنها وسكنت معه أصبحت تحت رحمة كسنتها . وكذلك خافت أن تكون العاقبة اذا سلمت العقار لبنتها . فبقيت في منزلها وحدها تستغل ريع عقارها وهو كان كافياً بسبب تدبيرها واقتصادها . لهذا السبب كان ابنها وبنتها مجافين لها حتي أنها كانا بمقتاني لانها استغنت بعنايتي في خدمتها عن عناية ابنها وبنتها الى أن ماتت

— وهل من قرابة بينك وبينها

— كلا وإنما كنت اعرف القسيس فرغوسن في مدرسة الأحد . فلما قصدت اليه أن يجد لي شغلاً ارسلني الى مسز طمسن بكتاب توصية فقبلتني في خدمتها وكانت تعاملني كابنها وتعلمني ، وعليها درست كل علمي

— أما كافأتك مسز طمسن لخدمتك

لها ؟

— لم يكن عندها نقد . ورامت أن تخصني بقمم من عقارها فقلت لها اني لا اقبله لئلا تكون هذه الهبة سبب نقمة ابنها وبنتها عليها وعلي

— اما كانت تدفع لك راتباً ؟

— معاذ الله أن أقبل منها راتباً . اما كفي انها علمتني علماً يساوي مال بنك انجلترا : وإنما كانت تدس في يدي في بعض الاحيان شلنات وتلزميني أن آخذها . فكنت احتفظ بها اذ لم تكن لي حاجة بها وكنت آكل معها واسكن عندها . وكانت في كل عيد ميلاد تفتني لي بعض الملابس . ولم يكن ريع عقارها ليربو على نفقاتها . ولما مرضت واشتد مرضها كنت مضطراً أن أدفع اجرة الطبيب ونمن الأدوية من الشلنات التي استفضلتها

وكان الدكتور رولنسون يسمع كلام الفتى وهو يتأثر من جودة اخلاقه وطيب نفسه حتي كاد الدمع يطفر من عينيه . فقال ولماذا لا تعود الى القسيس فرغوسن فتسأله توصية ؟ فان توصيته وحدها كافية لرد الثقة العمومية لك

— رحمه الله

— أو ما تعرفت بغيره ؟

— في مدة وجودي عند مسز طمسن

— شندي لال اسم غريب
— نعم ياسيدي . كان شندي لال
هندياً
— هندياً ؟ .. ولكن اذاً
انت هندي ... وانما ...
فازداد تردد الفتى وظهرت عليه أدلة
الارتباك وقال : نعم انا هندي ...
وحضرتك تشبه في انتسابي اليه وملاحي
ليست هندية البتة
— عفواً يا بني . نعم من يسمع مقالك
هذا يشبه هذه الشبهة
— لذلك لا اريد أن تبقى مخدوعاً
ياسيدي الدكتور . فإني كان يقول لي ان
امي كانت انكليزية وماتت اذ كنت
طفلاً . ثم اني مشبه بمولدي لما فيه من
الغموض
— كيف ذلك ؟
— لا أزال أذكر ان شندي لال ظهر
في بدء صحوي من غفلة الطفولية ظهوراً
جديداً . أي أذكر اني كنت قبلاً مع
آخرين . لا اقدر الان ان اتذكر ذلك
الا كحلم ضعيف جداً . وكنت اذا ذكرت
هذا لابي شندي كان يقول لي انه كان
متقياً مدة بعد وفاة امي وكان مودعاً اباي
في عهدة اناس ثم استلني منهم . وبعد حين

لم أكن اذهب الى مدرسة الاحد بل كنا
هي وانا دائماً نقصر على الحادثة في
الكتاب المقدس يوم الاحد ، واحياناً كنا
نحضر صلاة الاحد . ولم يكن لها من اتصال
كثير بقسيس كنيسة ، ولم يزرها في
مدة وجودي عندها سوى مرتين
— الا يمكن أن تستصدر من ابنا أو
بنها شهادة بحسن خدمتك لها و ...
— لا . لا . يا سيدي لا اطلب منهما
هذا الطلب لاني اعلم انهما يمتقاني ولعلمهما
يمتقدان اني سلبت من امهما نقوداً
فتحير الدكتور رولنسن في أمر الغلام
وقال : من تعرف غير مسز طمس ؟
— لا احد
— أين كنت قبل سكنك معها ؟
فارتبك الفتى قليلاً وقال : كنت مع
ابي ولما مات جئت الى مسز طمس
— أليس لايبك معارف واصدقاء ؟
— فتردد الفتى قليلاً وقال : لا . ربما
كان له اصدقاء فلا اعرفهم
— عجباً من كان ابوك ؟
— كان يدعى شندي لال
— وانت تدعى ؟
— جم لال . وانما مسز طمس فضلت أن
يكون اسمي جايس لام فاراحت لهذه التسمية

المعرفة وارادة عظيمة للعمل . ولا أريد
منك الا ان تقنع من يستخدمني انى فتي
أمين

فابتسم الدكتور رولنسون فانه يقول
في نفسه : هذا ما يحتاج الى برهان . ثم
قال له : حسناً! هذا ما اعني به مساعدة لك
- شكراً يا استاذي

انا اثق بك . ولكنى لا اقدر ان
اشهد لغيري الا اذا كنت ابني شهادتي
على اختبار

واردف الاستاذ كلامه قائلاً : اذا
شئت عملاً فاني اكلفك بعض اشغال تقضيها
لي لا تستغرق اكثر من نصف يوم وفي
مقابلها ادفع لك عشرة شلنات في الاسبوع .
ومن حيث ان عندي غرفة منفردة فارغة
اسمح لك ان تسكن فيها بلا اجرة . هل
عندك لوازم غرفة ؟

- لا وانما عندي بعض الشلنات قادر
بها امري ربما تتحسن حالي
- حسن . ونصف النهار الاخر تجد
فيه شغلاً آخر

- شكراً جزيلاً لك يا سيدي . متى
تريد منى وقتي ؟

- لك الخيار . قبل الظهر او بعده .
وانما بعد الظهر افيد لي
- حسناً وهو افيد لي ايضاً

جاء بي الى لندن
- اينما كنما قبل
- في الهند في بمباي . ولكن لا اذكر
بمباي جيداً

- وما الذي يحملك على الشبهة بقول
ايك ؟

- هو اني صرت الان افكر انه ليس
في من ملامح الهندو شيء . فلعل شندي
كان يكتم عني اسراراً لا ازال اجهاها
- ولماذا لم تدقق في شأنك حينئذ

- كنت صغيراً لا يتسرب الى ذهني
شك ولا سيما لان شندي كان يعاملني افضل
جداً مما يعامل اي اب ابنه
- اما ترك لك شيئاً ؟

- كان على شيء من المال . فكان يتاجر
ببعض بضائع هندية ثم صار يشتغل اشغالا
مالية اضاع فيها رأس ماله . ولهذا كان
في اواخر حياته منقطعاً عن الناس كزاهد
وبقي الدكتور رولنسون يفكر في
حديث هذا الفتى مستغرباً حكايته . ثم قال
اني أود يا بني ان اساعدك

- عفواً يا سيدي الاستاذ لست أرجو
مساعدة ولا احساناً . أود ان اقدم عملاً
مضاعف الجزاء الذي انتقاضه لاجله .
وعندي والحمد لله صبر وقوة وشيء من

الفصل التاسع

بزوغ زهرة الحب منه برعمة القلب

فتعود اليه بعد العشاء
- شكراً عظيماً لتساهلك معي يا سيدي
الاستاذ اني ضمنت رزقي ودرسي بفضل
مساعدتك العظمى لي
- اني مسروراً جداً يا بني من شممك
حيث يحسن الشمم ومن عدم تكبرك على
نوع الشغل هذا
وكان الاستاذ يجتهد يوماً بعد يوم ذكاء
هذا الفتى ونجابه واجتهاده في تحصيل العلم
وأمانته ووداده ، ولا سيما ان كان يحسن
القيام بكل عمل يكلفه به الى ان صار أخيراً
يكتب رسائله العمومية ويساعده في البحث
في الكتب عن المواضيع التي يريد التنقيب
عنها . وشعر أنه نابغة
ثم نصح له ان يستعد لامتحان للدخول
في جامعة اكس العالية . وتوسط له عند
الدكتور جون جيروم ان يساعده في ذلك :
فلما اطلع هذا الفيلسوف على شهادة
الدكتور رولنسون فيه ووقف على ذكائه
النادر ادخله في الجامعة واستخدمه لبعض
اشغاله الكتابية في اوقات الفراغ

وكان جم اوجاميس ينسخ للاستاذ بعض
مقالاته وفصول كتاب كان يؤلفه وبعض
رسائل وبعض محاضراته التي يلقيها على
طلبة ونحو ذلك . وكان يقضي بعض اشغال
أخرى منزلية
وبعد بضعة ايام سأل الدكتور رولنسون :
هل وجدت شغلاً لنصف النهار الاول
يا جيمس ؟
- لا يا سيدي وانما اشتغل نصف نهاري
بالدرس في المكتبة العمومية
فتملأ الاستاذ وقال : اخاف يا بني ان
ما تقاضاه مني لا يكفي نفقة معيشتك
- لا تخف يا سيدي . ان ما تجود به
من الاجر يكفي وزيادة . لاني انفقت
مع مطعم ان اخدم بعض الموائد فيه عند
الظهر حين يكثرفيه الزبائن مدة ساعة وثم
اتقدي فيه مقابل هذه الخدمة . ثم طلب
مني صاحب المطعم ان افعل كذلك مساء
فاعتذرت لثلا اقصر في خدمتي لك - كلا
لا تعتذر . يمكنك ان تخرج من عندي في
الميعاد المعين واذا بقي عليك شغل في مكتبتي

كما تقول انت . وانا اقول ان علم الاشعاع مقصور على الراديووم : يلوح لي انك قرأت الكتاب يا مستر لام

نعم قرأت وانتهيت من قرائته أمس وفهمت منه هكذا . وها هو فتفضلي خذيه - شكراً لك

وخرجت الفتاتان وجائيس يحسن أن نظرات الفتاة الضيفة لا تزال سهاماً متتابعة الى صدره

رأى ألوفاً من الفتيات الى ذلك العهد فلم تحرك نظراتهن ضلوعه فوق قلبه ، ولا جعلت فؤاده ينتفض تحت تلك الضلوع قبل ذلك الحين

ولكنه لما وقع نظره على عيني سوداوين دعجائين تحت حاجبين كقوسين ملتقيين على قاب واحد فوق وجنتين سمرايين كان بشرتهما من الحرير الهندي وبينهما ثغر لؤلؤي بين شفتين حمراوين تهما أن تنقلبا فوق ذقن صغيرة كأنها بقية كثرى ناضجة تكاد تعصر قطراً - وكل ذلك تحت اكليل من الشعر الحالك السواد كأنه بدر يطلع من تحت أفق داج - لما وقع نظره على هذه الملامح الغريبة التي لم ير مثلاً من قبل تحرك في صدره فؤاده كتحرك العصفور الصغير في جوف عشه وأحس بخفقان لم يحس بمثله قبلاً واضطرب

واستتب الامر لحج اوجائيس لام كما قدم اسمه للجامعة ولاستاذه الجديد الدكتور جيروم . فكان يشغل لهذا الاستاذ بعض الاشغال الكتابية ونحوها فيدفع الاستاذ له اجرة وكان يخدم على موائد أحد المطاعم فيتغذى فيه . وقد سر بهذا الترتيب لانه مبلغه امنيته من العلم

وفي ذات يوم اذ كان في مكتبة الدكتور جيروم يكتب ويحبر كالعادة دخلت دورا بنت الدكتور وممها فتاة صديقة زائرة الى المكتبة وسألت جاييس : هل عندك كتاب في علم الاشعاع يا مستر لام ؟

فقال : أجل . بالامس جاء الدكتور بهذا الكتاب وهو جديد في الموضوع - فقلت دورا : انه لموضوع جديد ايضاً .

- نعم . لقد اصبح الاشعاع علماً قائماً بذاته يا سيدتي

فقلت دورا : اليس المراد به الراديووم فقال جاييس : بل الراديووم من جملة مباحثه لان المراد بالاشعاع البحث في كل ما يشع أو يتموج تموجاً شعاعياً من مركز الى محيط أو في حيز كروي كامواج الكهرباء والحرارة ايضاً

فقلت دورا : اذاً الحق في جانب الانسة جميلة فقد كنا الان نتناقش وهي تقول

وعاد جايمس وهو يحس أن نظرات تلك الفتاة ترمي على قلبه نبالا متتابعة. وعاد الى المكتبة وجلس وهو يقول في نفسه : لا ريب أن هذه الفتاة من أسرة سحرة . أن في عينيها لسحراً . وبلي لقد رمتني بدائها وانسلت

ونهض ثانية وجعل يتمشى في المكتبة بل كان يخطر فيها كالجنون وهو لا يدري ماذا اصابه لانه لم يصب بمثله في ماضي حياته وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره

بعد هزيمة عادت دورا بالكتاب وفيه ورقة اعلان من الناشر يشتمل على ذكر مطبوعات جديدة وقالت : لعل الورقة التي تبحث عنها هذه يا مستر لام

فقال : لا يا سيدي . اشكرك

ورأت دورا جايمس متاهب الحدين فقالت : أراك مضطرباً . لعل الورقة ذات اهمية عظمى

- لا . لا . لا . سيدي الدكتور البتة . أخاف أن تكون صديقتك قد استاءت من تسالي عن الورقة والكتاب في يدها . لا داعي لاستيائها وهي فتاة كريمة الخلق جداً

- نعم اسمع أن الاسبانيات رفيقات لطيفات

مجموعه العصبي كان زلزالا غير منتظر فاجأه . ولم يفهم سر ما طرأ عليه قط . بقي برهة في بحران أو مثل ذهول وهو لا يدري لماذا يعطل هذا العارض الجديد الذي عرض له . لعل هذه الفتاة الغريبة ساحرة ؟ لم يفهم معنى لاسمها الغريب ولا تذكره وإنما من لفظ دورا له فهم أنها غريبة - ليست انكليزية فهل هي فرنساوية أو المانية أو روسية ؟ رأى من هذه الجنسيات نساء ولكنه لم ير واحدة منهن كهذه الفتاة ملامح ونظرات . العالما اسبانية ؟ فقد تذكر انه رأى فتاة تقارب هذه بعض المقاربة في ملامحها وقيل له انها اسبانية

ما شعر جايمس الا انه وقف وتوجه الى الباب يريد الخروج ولكن الى أين ؟ فتردد ثم مشى الى أن بلغ شرفة واسعة فاذا هناك دورا والفتاة فقال مختلفاً حيلة : عفواً يا سيدي الآتية دورا . اظن في الكتاب ورقة لا تهلك

وكان الكتاب في يد الفتاة جميلة فجملت جميلة تغلب أوراقه وألوان وجهها تغلب من الاحمر الى الاصفر الى الالبيض . ثم دفعت الكتاب الى دورا . فقلبت دورا الكتاب وهي تقول : لا أرى فيه ورقة

- لا بأس يا سيدي : سأبحث عنها في المكتب . لا تهتم بها

- من قال لك أنها اسبانية

- كذا ظننتها لان ملاحها ..

- كلا بل هي مصرية واسمها جميلة

المصرية وهي في مدرستنا وقد كسبت مودتها

- يلوح لي أنها ذكية

- أي نعم: يقولون أن في مصر ذكاء

كثيراً

ثم خرجت دورا باسمه وبقي جايمس

يفكر في ما سمع من حديث دورا ويجدده

في ذهنه الى أن سمع زقزقة كرزقة العصافير

فاطل من الشباك فاذا جميلة تودع دورا في

خارج باب المنزل ثم مضت

ذلك كان أول عهد جايمس بجميلة ،

وما لبث طويلاً أن فهم أنه أصبح محباً لجميلة

بل عاشقاً لها . ولكنه لم يجسر أن يسأل

دورا عنها بعد ذلك اللقاء، اذاً كيف يتمتع

برؤيتها؟ أين تسكن؟ أين يمكنه أن يجدها؟

أصبحت تخيلاته بجميلة شغله الشاغل في

أوقات الفراغ وجعل يقيم لاقفومها تمناً

في ذهنه وكل يوم يزيد هذا التمثال جمالا

حتى أصبحت جميلة في ذهنه المثل الاعلى

للجمال الجسماني والروحاني معاً

بعد نحو شهر عرف أن جميلة كانت

زائرة لدورا بعد ظهر السبت وهو لا يكون

يوم السبت في منزل الدكتور جيروم عادة

فادرك أنها وهي تلميذة لا تقدر ان تزور

دورا الا يوم السبت . فتمرمر من جراء

ذلك واحتار كيف يدبر الامر لكي يوجد

في مكتبة الدكتور يوم السبت . فقدح زناد

الفكرة حتى اوجد لنفسه شاغلاً يشغله يوم

الجمعة واستأذن الدكتور ان يعيظه يوم

السبت بدل الجمعة . فاذن له في ذلك؛ ولكن

مرت السبوت وجميلة لم تلح في بيت الدكتور

وهو كان يحجل ان يسأل دورا عنها . وهكذا

كان كصاحب السنارة ينتظر السمك في البحر

في ذات يوم صادف دورا وجميلة

تمشيان في احد الشوارع فرقص فؤاده

في صدره وحاول أن يتعرض لهما لكي يغنم

فرصة الحديث واللقاء . ولكن الحجل

والخوف صداه صداً منيعاً : هذا القوي

المتكبر الانوف الذكي اللبيب الحاذق حين

عن مقابلة فتاة

وما زال يتمشى وراءهما من بعيد حتى

رأى دورا تودع جميلة عند أحد الابواب

وهذه تدخل ودورا تستألف المسير الى

الترام لتعود الى منزلها

فعلم أن جميلة تقطن هناك وجعل يرصد

تلك الجهة ولكن حين تكون جميلة عائدة من

المدرسة يكون جايمس مشغولاً . فعاد يرصد

المسكان في اوقات غير اوقات المدرسة كيوم

السبت ويوم الأحد . فكان في بعض

- لا شيء غير هذا . وقد حسبته
مسيئاً لك

- هذا امر اعتيادي لا يسيء

- اذا لم تستائي مني حينئذ ؟

- كلا البتة . ما الذي فيه يسيء ؟

- هو جسارتي التي احسبها امرأ مسيئاً

- ولكنني لم استأ قط . فهل بدت مني

امارة استياء حينئذ ؟

وشمر جايمس انه متشجع في مخاطبتها

والفرصة سانحة فاسترسل في الحديث قائلاً .

نعم رأيت في وجنتيك تورداً

- لم أشعر بشيء من هذا

- اذن هذا التوردد خلقة يا سيدي وقد

اخطأت ظناً . وكان هذا الظن يوقد ناراً

في ضميري كل هذه المدة . ولهذا مجاسرت

مرة ثانية على التعرض لك لكي استغفر

فتغفري فتبرد نار ضميري ؛

- لقد بالغت يا سيدي في الاعتذار

لغير ما ذنب . واتأسف أن امرأ كهذا

أقلق نفسك كل هذه المدة .

- اخاف من أن اكون وانا اعتذر

عن جسارتي الأولى قد اسأت في جسارتي

الثانية .

- كلا البتة .

وتظاهرت جميلة بمحاولة التلمص فقال

نجايمس : اذاً لست مستاءة مني بشيء

الاحيان يصادفها ولكنه كان يحجم عن
التعرض لها مخافة نفورها . ولا سيما اذ تقادم

عهد لقائهما الأول . ولكن قبض الله له لقاء

آخر كاللقاء الأول . وبالرغم من شدة

تجربته لنفسه لم يتيسر له اللقاء بضع

دقائق ، ذلك انهما تصادما نظراً لنظر

وابتسامه لا ابتسامه وتورد وجنتين لتورد

وجنتين ، ثم اغضاء لاغضاء . ولكنه لما صار

على قيد ذراع منها رفع نظره متواقحاً وقال :

اظن ان حضرة الانسة جميلة تذكرني

في بيت الدكتور جيروم وهي مع صديقتها

الانسة دورا

فتوقفت الفتاة لتعابيد الصدام وقالت :

نعم اذكرك

- وددت لقاءك لكي اعتذر عن ذنب

جنيته

فقال الفتاة مبغوتة : ماذا ؟ لا ادري

- انه لطف عظيم منك ان تتناسى

ذنبي لكي تخففي وقره عن ضميري

- لست اتناسى ولكي لا ادري شيئاً

مما تقول . فماذا تعني ؟

- استوقفتك لكي ابحت في كتاب

« علم الاشماع » الذي كان في يدك عن

ورقة لي ظننتها فيه . فما صدق ظني

- اذكر ذلك جيداً . ثم ماذا ؟

- كلا كلا .

- اشكر لك صفحك وتنازلك لقبول

اعتذاري .

- لا داعي للشكر ولا للاعتذار

- يهمني جداً ياسيدي أن تكوني راضية

عني . وهذا الرضى يستحق كل شكر

وامتنان . سأمحني لتعرضي لك وإضاعة

دقائق من وقتك الثمين

- ولا هذا يستوجب الاستسماح

- ما أعظم حلمك . اني مقبض عظيم

الاغتراب في هذه المقابلة . هي أسعد أيام

حياتي . ليت في وسعي أن أكفي هذه

السعادة

- أرجو لك اغتراباً لانهائية له

- ما زلت تغدقين علي نعمة الاغتراب

فما أكرم خلقك ؟

فازداد تورّد الفتاة بقدر ازدياد جرأة

تجائس وقالت : شكراً لثنائك

ومدت يد المصافحة ومديده وتصافحا وهو

لا يكاد يشعر بكفها . وهل يشعر الانسان

بالاثير ؟ بلى يشعر بالكهرباء التي يتموج بها

الاثير . فقد شعر تجائس بخليجة كهربائية

عبرت في كل أسلاكه العصبية .

وانطلقت الفتاة في سبيلها وهو واقف

ينظر اليها ولا يدري أنه واقف . نسي

نفسه في وقفته الى أن انعطفت في طريق

آخر فتراءى له انها رأتها واقفاً قتلها

وجهه خجلاً

توارت وبقي واقفاً يستعيد في ذهنه

ثواني ذلك اللقاء وفي ذاكرته نغمات ذلك

الصوت الرخيم وفي مخيلته ذلك اللطف

الملائكي . ثم تمشى الهويناء وهويتأوه ويقول

في نفسه : ترى هل يستحيل لقاء آخر ؟

آه ما أجبني ! لم تنفر مني . فلماذا لم

استرسل في الحديث ! ترى هل سمعت

خفقات فؤادي وهل احسست بخطرات

افكاري المكنونة ؟

ومضى وهو يسترسل في هذه الافكار

ويطمع النفس ثم يهاجمه اسد اليباس

بعد ذلك تسنى له أن يلاقها مثل هذا اللقاء

فكان يحسها ويخلق سبباً للحديث فلا يجد

منها نفوراً وإنما يتراءى له كأنها متململة

قليلاً ، وهو لا يستطيع إلا أن يؤول هذا

التأمل بالوجل وخشية التماذي في الحديث .

وما درى أن الفتاة المصرية شديدة الحياء

وليست جريئة كالفتاة الانكليزية . ولذلك

كان يقتصر على الحديث في امور مختلفة

بعيدة عما في نفسه

وفي لقاء ثالث او رابع ازدادت

جرأتها وماشاها قليلاً وهو يخاطبها بحجة أنه

يسألها بعض كلمات عربية فاجابته عليها

وقالت : لماذا تسأل عن كلمات عربية ؟

— لاني شرعت أدرس هذه اللغة

في جامعتنا

— عجباً . وماذا يهلك من دراستها ؟

— أود أن اطلع على آداب العرب فيها

— ولماذا يدرسون هذه اللغة في جامعتكم

— يدرسها المستشرقون والاشخاص

الذين يتفنون التوظيف في مصر

— ولماذا تدرسها أنت ؟ . هل تريد أن

تتوظف في مصر ؟

— لا قصد خاص لي الآن . فان الغاية

متعلقة بالمستقبل . وانما يقولون انها لغة

قديمة وجميلة وشعرية ، ويمكن الانسان أن

يعبر فيها عن عواطفه أكثر من كل لغة

وكان جايمس يتورد وجميلة يتلهب خذاها

أيضاً فقالت : عفواً ومعدرة لسؤالي عما

لا يعنيني . وانما سألت سؤالي لان درس

العربية بغية التوظيف في وظائف الحكومة

يختلف عنه لاجل درس آداب العرب وعلومهم .

فهي لغة واسعة والعامي منها يختلف عن

الفصيح

— اذا سأدرسها درساً لغوياً علمياً حتى

يتيسر لي أن أعبر عن أدق عواطفني

— عجباً أن تختار العربية لهذا الغرض

وهي غريبة عنك

— لان عندي عواطف عجزت عن

التعبير عنها في لغتي فأود أن الجأ الى العربية

وجعل صوت جميلة يهتز اهتزاز الور

كأنها كانت تحس بمعان وراء معاني هذا

الكلام فقالت : اني أستغرب أمرك يا مستر

لام . هل جربت ذلك في لغتك ؟

— جربته ففشلت ولكني سأجربه مرة

أخرى وأعرضه عليك لارى رأيك فيه .

فهل يمكنني أن ألاقيك هنا أو في أي

مكان تريدين ؟

عذراً اذا لم نلتق مصادفة فلا أقدر

أن اعين موعداً للقاء . واعذرني لاني لا

أستطيع أن ادعوك الى حيث انا مقيمة كضييفة

هناك . ناهيك عن ان عاداتنا تختلف جداً

عن عاداتكم وأريد أن أحافظ عليها ايها كنت

— ليكن يا سيدتي ما تشائين . أترك

أمر تتمعي بشرف لقائك لرحمة المقادير .

واظنها لا تبخل بها كثيراً على صديق

صادق مثلي

وعند ذلك قالت له « جود باي »

اخاف أن تستبطني مسز برون

عقدت الحفلة التي رويناه خبرها في الفصل

الاسبق في بيت الدكتور جيروم لاجل بنته

بعد نياها الشهادة المدرسية ودعي لها جايمس

ولكن جايمس لم يحضر لانه لم يكن عنده

الثوب الرسمي اللائق للحفلة . وما ندم على

ذلك الا بعد ان علم أن جميلة كانت مدعوة

وحضرت ورنمت قصيدة من نظمها . فلحن

واجتهد ان يخاطبها فأسرعت كالغزال
النافر ودخلت الى منزلها . فارتد عائداً من
حيث اتى . فالتقى برجل ذي لحية صغيرة
تذكر انه كان يراه في اليومين الاخيرين
كأنه يترصده . فحسبه رقيقاً من قبل ذويها
عليها . وخاف ان يكونوا قد شعروا بالتقائها
به فراموا ان يحولوا دون لقائهما

فكاد جم يلتهب غيظاً من هذه
المعاكسات . فغار في امره وجعل يتلظى شوقاً
الى وسيلة للتفاهم مع جميلة . ففدح زناد
فكره الى ان توفق لحاظر ظنه بديعاً فكتب
اليها الرسالة التالية :

« يا علة حياتي . لم أعد احتمل أن
أكظم حيي بل عبادتي لك . فان كنت
راضية غني فضعي رداً لهذه الرسالة كلمة
مختصرة واخبريني اين يمكن أن نلتقي
لحظة واحدة ولو مرة لكي نتفاهم .
وبعد ذلك نعتصم بحبل الآمال الذهبية
الى أن يتيح لنا الحظ باللقاء الدائم
السعيد الشريف »

ثم طوى هذه الورقة ووضعها في وكر
صغير في زاوية جدار منزلها . ومضى
الى حيث ترصدها في الميعاد المعين . فلما
رأته عدلت الى طريق آخر . فضاقت ذرعاً

الظروف والاحوال التي حرمتها حضور
الحفلة . ولعن التقاليد التي توجب لبس
الملابس الرسمية

ثم علم ايضاً أن الفيكونتس مرغريت
يفر كانت في جملة المعجبين بذكاء جميلة
وشعرها وصوتها الرخيم فدعتها لقضاء
اسبوع عندها في قصرها . فخمى غضبه
وهاج سيخطه لانه حسب خيلاء مرغريت
مهانة لجميلة . فلذلك رام أن يقابل جميلة
ويحذرهما من عواقب وجودها عند
الفيكونتس . فكتب لها تلك الرسالة التي
وردت في فصل سابق وتذرع لتسليمها
بالوسيلة التي عرفها القاري . وعرف نتائجها
بعد ذلك جعل جم يراقب جميلة لكي
يجتمع بها ويستفهم منها عما كان من أمرها
مع الفيكونتس . وبالطبع كان يترصدها في
المكان الذي اعتاد أن يراها فيه وهي
عائدة الى منزلها . فلمحها مرة من بعيد
فأسرع لكي يدركها فاذا بها تعجل كأنها
تهرب منه . وتوارت قبل أن يدركها

وفي اليوم التالي صادفها ايضاً وأسرع
ليدركها ففعلت نفس الامر . فضاقت ذرعاً .

وفي اليوم الثالث ترصدها في السبيل الذي
لا بد ان تسير فيها أي قبيل منزلها فلما التقي
بها احجمت واعرضت وقالت : بربك دعني
لا تحاول لقائي بعد

- لا بأس ارشدني الى النادي الموسيقي

- لا أعرفه

- ارشدني الى جامعة الفنون فهي على

مقربة منهما

- تبا لك من ثقيل . ألا تفهم اني

مشغول وأنت بارد . فدعني

وأسرع جيم فاذا جميلة قد توارت .

ثم ذهب الى وكر الجدار فلم يجد الرسالة

فسر وابتهج اذ اعتقد انها اخذتها

وعاد بعد ذلك الى ذاك الوكر مراراً

لكي يأخذ الرد . وكان يستغرب انه رأى

الرجل ذا اللحية بعد ذلك مراراً كأنه

الشیطان الحاضر في كل مكان

وأسرع لكي يدركها في الطريق الآخر

فاذا به يلتقي بالرجل ذي اللحية . فقال

كأنه يخاطب الفضاء : « لغة الله على وجه

الشؤم » وما زال يسرع الخطى حتى

ادرکها وسار الى جنبها وهو يقول على

مسمع منها . « لك رسالة في الوكر الذي

في زاوية جدار منزلكم . اعذري ثقاتي »

وبقي سائراً في سبيله حتى انعطفت في

طريق آخر فعاد ليراقبها . فاذا به يلتقي

بذي اللحية وقد استوقفه سائلاً . عفواً

ومعذرة ياسيدي الفتي . أرجو منك ان

ترشدني الى دار الفنون الجميلة

- لا أدري أين هي

الفصل العاشر

نبضات القلوب أصرو لغة

في ذات يوم كان علي بك يتقدي في

مطعم ، وكان الخادم الذي يخدمه في المطعم

مشرق الحيا صبح الوجه بشوشاً . فلما

انتهى علي من الغداء وهبه شلناً لسروره

بحسن خدمته . فردده له الخادم قائلاً .

شكراً جزيلاً ياسيدي . لست اقبل « بنخشيشاً »

- عجباً ألا انه قليل أم كثير ؟

- انه لكثير جداً . ولكن لست لهذا

نعود الآن الى أحد افراد حكايتنا الذين

في مصر واهمهم من سياق الحديث كما

لا يخفى على القاريء علي بك سيف . وقد

حزر القاريء ، ان جميلة بنته . وانه اخذها

الى لندن لكي تدرس في إحدى الكليات

وتتلمع تعليمًا عاليًا . فصار في كل صيف يرحل

الى اوروبا بغية الزهه والاصطياف والاجتماع

ببنته في لندن

- السبب ارفضه ، بل لاني لا أقبل جزاء
بلا عمل مقابله
- ولكنك عملت . فقد احسنت خدمتي
- انها لواجبة علي لاني آخذ اجري
من المطعم
- عجباً . كل خدمة الموائد يتقاضون
اجراً ومع ذلك يقبلون بخشيشاً
- اما أنا فاستقبح هذه العادة جداً
- كم تأخذ أجرة عملك هنا ؟
- اخدم ساعة فاتعدى في مقابل عملي
فاستغرب علي بك ذلك كل الاستغراب
وقال : وماذا تفعل في بقية النهار ؟
- ادرس في جامعة اكس واشتغل
بعض ساعة او ساعتين عند الاساتذة
فدهش علي بك . وقال : لله درك !
تدرس في جامعة وتشتغل في مطعم . هو أمر
لا يكاد يصدق
فضحك الفتى وقال : ان لهجة جنابك
تدل على انك غريب . فمن اي البلاد
حضرتك ؟
- من مصر
فأجاب الفتى بعربية مكسرة : اذاً
تتكلم العربية التي ادرسها في جامعتنا
فاستغرب علي بك وقال : انك يا هذا
لجدير بأن تكون رجلاً عظيماً يوماً ما .
لأنك تفعل مالا يستطيعه أي انسان . وهل
- انت مضطر أن تشتغل ؟
- نعم اذ ليس لي من ملاذ غير نفسي
- ابواك ؟
- لا أبوين لي
- واقارب
- ولا اقارب البتة
- عجباً . كيف ذلك ! أليس لك
اهل هنا ؟
- كلا ياسيدي . لاني هندي الاصل
- عجباً . ليس فيك ملامح الهندو بتاناً
- امي انكليزية
- واسم جنابك ؟
- اسمي جايمس لام
- ولا في اسمك حرف من حروف
الهنود
- اسمي الاصيلي جم لال . فقيره بعض
اصدقائي لكي لا يكون غريباً مستهجنأ
فدهش علي بك اذ سمع لفظ لال
وخامرته الظنون فقال : ماذا كان اسم ابيك
- شندي لال
فاختلج بدن علي وقال في نفسه :
شندي لال الساحر الذي لعب دوراً على
الصنوبري عمدة طنوف وسرق الطفل جميلاً .
هل يمكن ان تكون المقادير عاقلة فتجمعني
بجميل . هل يمكن ان يكون هذا جميلاً بعينه ؟
ورأى جم لال ان الرجل المصري قد

اضطرب قليلا وتقلبت الوان وجهه وقال
هل تعرف شندي لال ؟
فتردد علي بك ثم قال : يمكنني ان
اقول اني اعرفه أو أعرف عنه أموراً تهلك
فاصبح الفتى قلقاً يود ان يعلم ما يعلمه
هذا المصري عن شندي لال . فقال : هل
يمكنك ان تخبرني ماذا تعرفه عنه ؟
- بلا شك . فهل يمكنك ان تمشي
معي الى أي مكان بعد انتهائك من الشغل
هنا فتحدث ؟
فالتفت جم الى الساعة وقال : لقد
انتهى شغلي هنا . تمشي الان الى الحديقة
العمومية القريبة
- حسناً . هلم
ومضيا معاً وعلي بك مضطرب البال
تجول في نفسه الافكار والهواجس، الى ان
بلغا الى الحديقة العمومية فجلسا على مقعد
وقال علي بك : هل شندي لال يقول لك
انه ابوك ؟
- كذا كان يقول وكان يعاملني كاب
شديد الحنان
- شكراً له ورحمة عليه . وهل كنت
مقتنعاً انه ابوك ؟
- كان يخامرني الشك بذلك
- لماذا ؟
لاني اتذكر اني كنت مع أناس

آخرين قبله . أما هو فكان يقول ان
امي ماتت وانا طفل رضيع ، فاضطر ان
يودعني مع آخرين لكي يربوني ربها اكبر
قليلا . ثم اخذني منهم
وكان علي بك يسمع هذا الكلام
ويدهش اذ لم يبق عنده ريب ان هذا الفتى
هو جميل . فقال : وهل تذكر احداً من
الناس الذين كنت معهم قبلاً ؟
- كلا البتة . ان تلك التذكريات كالاحلام
الضعيفة الخافتة
فهز علي بك رأسه وقال : ارد ان
اعلم منك أمراً اللهم تصدقني الخبر
- يستحيل ان اكذبك في خبر
- هل عندك في ايسر صدرك وشم
كهذا ؟
ورسم علي بك على ورقة رسماً
فدهش جم كل الدهشة وقال : اجل
في صدري الايمن هذا الوشم . ولم افهم سره .
وكان شندي يقول لي انه طبيعي . ولكنني
اخيراً صرت أغالط نفسي ولما صرت اعلم
عملية الوشم فهمت انه غير طبيعي . كيف
كنت جنابك تعرف ان في ايسر صدري
وشماً كهذا ؟
- لانك قبل ان يسرقك شندي لال
كنت عندي في منزلي وبناتي
فازداد جم حيرة ودهشة وقال : لماذا

ويكفر تارة ويمتقع اخري وقال : ولكن الى الان لم تقل لي ابن من أنا وكيف كنت في ظل عنايتك ؟

فابتسم علي بك مكفهرأ وقال : أحسبك قد علمت من نفسك ان اباك هو الجالس الى جنبك الان ولا تبقى في حاجة الى برهان آخر

ووضع علي بك كفه على كتفه يربته ويقول له : نعم انت الى جنب ابيك الان الذي ذاب حسرة عليك

فوجه جم واجفل ونقر ثم وقف . فقال له علي بك : وانه ليعز علي يا بني ان اراك تخدم في مطعم لكي تعيش وتعلم . وفي وسعي ان انفق عليك مائشاء من المال لكي تتعلم مائشاء وتعيش منذ الان سعيداً . وفي وسعي ان أزوجه اجمل فتاة وافضل الفتيات ادباً واخلاقاً وفضلاً وعلماً . اني والحمد لله في بسر وعندي ثروة ليست بصغيرة .

فتعجبهم جم حين قال له انه سيزوجه أجمل بنت في العالم اذ خطرت له في الحال جميلة وهو لا يدري انها بنته فأثار خاطرها شجونه . ثم مشى فتمشى معه علي . وفي الحال اجفلته رؤية ذي اللحية وهو يمشي في نفس الطريق على مقربة منه . وقال في نفسه : اعوذ بالله العلي العظيم . ما بال هذا

كنت عندك في عنايتك ؟ ولماذا سرقني شندي لال ؟

فتردد علي بك في الكلام وقال : ان تاريخ مولدك يا بني مخفوف بالحوادث الجسام فقد كنت انا في ذلك الحين قائداً في جيش عرابي باشا التائر الذي كان الانجليز يقيمون ثورته حينئذ . وقد خفت على حياتك في غيابي من اعدائنا . فأودعتك عند شخص يحتفظ بك الى ان اعود من الحرب ، أو ان يريك اذا مت . فسرقك شندي لال وكان معه زنجي حينئذ يدعى غمبر .

فصفق جم كفأ على كيف وقال : وبلي . لقد تذكرت الزنجي غمبر الان فانه سكن معنا مدة ثم فارقنا قبل ان نأتي الى لندن .

- اذا لم يبق عندك شك في صحة كلامي

- كلا . وانما لماذا سرقني شندي لال ؟

- هذا هو السر الذي لم افهمه ولم أتحمقه حتى الان . وانما رجحت ان اعدائي دسوا ذلك الهندي شندي لال لكي يسرقك نكاية بي . فلعب على ذلك الشخص الذي أودعتك عنده دور شعوذة غريب حتى أنامه أو اسكره وسرق منه وتركه نائماً وكان جم يسمع هذا الكلام ويدهش

رواية من عرابي الى زغلول

٦٥

— حاكم يا بني لست أريد أن أسيطر عليك وأنت في هذه الاخلاق الذبيلة وهذه الفضائل السامية وأنت في غنى عن كل من يرشدك . واذا قدمت لك نفقة من المال الذي يستحق لك بعدي فلست أمنتك أو أسرك بما انفقته عليك

— لا . لا . لا تصدق اني اقبل أبوتك واقدم لك بنوتي لمجرد أنك تنفق علي . لست في حاجة الى نفقة . فقد عشت عشر سنين وأنا غلام قاصر على حساب نفسي وقد ربيت نفسي واستغنيت عن أي صدقة أو احسان . فما أنا في حاجة الى مال ولا الى نفقة ولا أنا عاجز عن أن أعيش بقية حياتي في يسر وسعادة ومكانة سامية

— اذا الى ماذا أنت في حاجة ؟

— اني في حاجة الى عواطف . الى الان لم أر فيك عواطف الاب . عذراً . لست أشعر أن لي بك اقل صلة من صلات الدم . لا أحس أن دمي يذبض لكلمة من كلماتك . ان قلبي كان ينتفض عطفاً على شدي لال الهندي يوم كان يحضر ولا ملاذ له ولي ، اكثر جداً مما ينتفض لحكايتك الان . فدعني ياسيدي . لا ارتاح الى هذه البؤة لا ارتاح . قد تكون أبي حقيقة وقد يكون دمي مشتقاً من دمك .

الشیطان قد أصبح لي كظلي . يرافقني في هوى جميلة حتى صار يترصد طيفها اذ يلوح في مخيلتي . تباً له

كانت هذه الافكار تلوح في بال جم وهو يتمشي وعلي بك الى جنبه حائر في تفهم سرائره وما يحول في خاطره حينئذ فقال : ماذا تقول يا بني ؟

فقال جم : ومن هي أمي ؟

— سأطلعك على اسرار مولدك بعد حين يا بني . يكفي ان تطمئن لايك وتعلم انه يضحي بالغالي والرخيص لاجلك . اني مستعد لتقديم كل نفقاتك مهما بلغت بحيث تعيش عيشة تليق بنسبك وذكاك ومكانتك الاجتماعية . منذ الان تغير اسلوب معيشتك فتسكن في غرفة حسنة لا تفتك بك وتقتني الملابس الفاخرة . هذه الان عشرون جنيهاً . تشرع باقتناء لوازمك الاولى وغداً نلتقي فتخبرني كم يلزمك من النفقات لعام فأقدمها لك

فامتنع جم عن أن يمس اوراق النقد التي قدمها له علي بك وقال : معذرة . رد نقودك ياسيدي الى جيبك . فلست في حاجة الى معونة احد . اني انفق من اجرة عملي على نفسي واعيش حراً كما اريد . واتعلم ما أريد ولا أكون تحت سيطرة أحد

— فتململ علي بك وقال : الامور

مرهونة باوقاتها يا بني

— اذن دعها مرهونة . اسمع لي

الان ان اودعك لان علي واجباً في هذا
الميعاد يجب أن اقضيه

— اذاً متى نلتقي ؟

— متى قضت المنادير

وأفلت جهم من يد علي بك وعدادو

الغزال النافر

وبقي علي بك يفكر في هذا الدور

الذي لعبته الاقدار وهو كانه في حلم حتي

كاد يغالط نفسه فقد لا يكون هذا الفتى

جميلاً بعينه . ولكن ذكره اسم شندي لال

وتذكره الزنجبي واعترافه بالوشم — كل

ذلك برهن على أنه هو جميل . ثم جعل

علي بك يلوم نفسه لأنه لم يخبره بالحوادث

الخطيرة التي اكتتفت بدء حياته وعهد

طفولته . وبعد تفكير طويل عقد النية

على ان يجتمع به مرة أخرى ويروي له

الحقيقة بالتفصيل

وفيما هو يتمشى ساجحاً في بحر من

الخيال لاح أمامه في تلك الحديقة الاخوان

حسن وحامد بك المهندي . فاجفل وقال

في نفسه : بالله كيف حضر هذان الرجلان

الى هنا الان ؟ ومتى جاء الى لندن وماذا

يتغيان ؟ هل يمكن انهما يعلمان ان الغلام

ولكن قد انقطع جبل القربي بيننا منذ

فصلني عنك شندي لال وما سمعت لاستردادتي

منه .

— فكشف بال علي بك وشعر أن

حربة طعنت عزه نفسه وقال : صدقتي

يا بني اني بحثت عنك جهد طاقتي . فما

استطعت اليك سبيلاً

— يستحيل . لو كان ذلك الدم النابض

في عروقي مشتقاً من دم عروقتك لكان

دمك العطوف يسمع دمي الصارخ ايما

ذهب به شندي لال ، ولا سيما وانت في

محبوحة من المال ، وفي امكان مالك أن

يصنع جناحين لعواطفتك . لقد اهملتي

يا هذا صغيراً فلا تجدني كبيراً

— وربك اني لم اهملك . قضيت كل هذه

السنين ابحت عنك وابتهج الان اذ وجدتك

— لقد وجدتني مصادفة فدعني يا هذا

ما انا ابنتك ولا أنت ابني

— بربك يا ولدي . قل لي كيف استطع

أن أبرهن لك ابوتي ؟

— مازلت الى الان تمكر علي . اسألك

عن أمي فتراوغ

— أما قلت لك أن المستقبل يكشف

لك الحجابات

— المستقبل غير محدود ياسيدي فقد

تمضي ايام العمر كلها ونحن ننتظر المستقبل

فلا يحضر . فالمستقبل موجود الان

جميلاً هنا فقصداه لكي يفعلوا فعلتهما
الحبيشة ؟ بل اظنهما علما اني جئت الى لندن
فظنا اني اعرف مقر جميل واني اجتمع
به سرّاً فجاءا بترصداني . ان هذين
الشقيقين الشريرين يتغيان ان يحصدا من
غير زرع وان يحلبا من غير تربية ضرع .
فلن ادعهما ينالان مأرباً . اني لهما بالمرصاد
ولا يخفى على القاريء ان علي بك سيف
يملك الحقيقة التي فيها وصية علي باشا الريدبي
ابي جميل او جم . وبموجها يستحوز جميل
على تركة الريدبي . وكانت بغية علي بك

سيف ان يزوج بنته لجميل لتتمتع معه بتلك
الثروة الطائلة . وكان آل المهدي يحاولون
قتل جميل او اغتياله لكي تأول الثروة اليهم
في اليوم التالي قصد علي بك سيف
الى المطعم لكي يلتقي بجم هناك فلم يأت جم
فسأل عنه صاحب المطعم : فقال : انه
لا يدري سبباً لغيابه اذ لم يرسل خبراً قط
في اليوم التالي سأل عنه أيضاً في المطعم
فقال صاحب المطعم انه جاء أمس واعتذر
لغيابه واستعفى من المجيء فيما بعد .
فلن يأتى

الفصل الحادي عشر

مكيدة غامضة

في تلك الاثناء وردت الى جم رسالتان
التاليتان :

الاولى : « جامعة اكس ، مستر جايمس
لام . أو جم لال
« أرجو منك أن تقابلي في الموعد الذي
تعيينه . لكي أكشف لك الاسرار الحقيقية
وأؤيدها لك بالبراهين الدامغة . ولا تتأخر
لانه قد يكون في التأخر ضرر لك . اكتب
لي الى نزل « بريستون شارع فولر »
على سيف

ففهم جم ان هذه الرسالة من الرجل
الذي تعرف به في المطعم وماشاه الى الحديقة
وادعى أنه ابوه
والرسالة الثانية هي هذه :

« جامعة اكس
« حضرة المستر جايمس لام أو بالاحرى
جم لال المحترم . بعد السلام نرجو منكم
ان تشرفونا غداً الساعة العاشرة مساء الى
منزلنا في حي الهنود في شارع غندى نمرة
٢٣ لان لايسكم المرحوم شندي لال في ذمتنا

ذاك المدعي الابوة لي فيلوح لي أنه أفاك
في الساعة المعينة كان جم في حي الهنود
يبحث عن رقم ٢٣ في شارع غندي فوجد
هناك منزلاً قديماً تحته لوحة باسم سنغ فند.
عطار . - دكان لبيع الافاويه - والباب
الذي تحت اللوحة مقفل لانه ليل . ففهم
ان سنغ صاحب هذه الدكان ، وانه تاجر
الافاويه التي ترد من البلاد الحارة ، وان
منزله فوق دكانه . ولكن أين الباب ؟

فحام حول الدكان فوجد مدخلا بين
بنايتين وعلى المدخل مرة ٢٣ ، وكان ذلك
الشارع الصغير الضيق قليل الانوار ،
ولا تزال زباله النهار اكواماً فيه والرائحة
الكريهة تنبعث منه . فقال في نفسه :
لا ريب أن هؤلاء الهنود يعيشون عيشة
الحنافس والالما طاقوا السكنى بين هذه
الافاساخ . وكان الشارع هادئاً لا نسمة
حياة فيه كأنه حي الأموات اللهم الا حانة
في آخر الشارع لا تزال مضاءة . ولما مر
جم بها شم رائحة الافاويه ممزوجة بريح
دخان كرية

فدخل جم في ذلك المعمر . وما مشى
خطوتين حتى وجد باباً . فنقر عليه . وفي
دقيقة انفتح الباب لنفسه لان مصراعه
مرتبط بحبل ممتد الى الطبقة الثانية . فيكفي
شد الحبل حتى يفتح الباب

نحو ستة عشر جنباً نود أن ندفعها لكم
ونبريء ذمتنا . ولكم علينا بيان سري
يختص بأبويكم فنود أن نبسطه لكم
« المرجو ان تأتوا بهذه الرسالة معكم
وبما عندكم من الاوراق الرسمية التي تثبت
شخصيتكم . واقبلوا فائق الاحترام - سنغ فند »
فاستغرب جم هذا الخطاب ايضاً . وقال
في نفسه : أن الاسرار المحيطة بجم
طفولتي تكاد تشغل لي وقلبي مملاً .
لا ريب أن شندي لال لم يكن أبي فمن هو
أبي . هل يمكن أن يكون هذا الرجل
المصري الذي ادعى الابوة لي ابي حقيقية ؟
وهل يمكن أن تكون أمي قد ماتت حقيقة ؟
وان لم تكن قد ماتت فمن هي ؟ ومن هم
أهل أمي على كل حال ؟

أصبح جم شغوفاً بمعرفة أسرار مولده
وقال : لا يهمني الستة عشر جنباً التي
يذكرها « سنغ فند » وإنما يهمني بيانه
السري . فلا ذهب اليه أولاً . اذا لم أكن
مخطئاً فسنغ فند هذا هو الذي كان شندي
يشارك معه في حانة اللالى التي لم يطل
عهدها حتى أفلاست . فلعل سنغ بقي مديوناً
لشندي بهذا المبالغ ولم يتيسر له دفعه حينئذ
فراهم أن يدفعه الان . ولعل شندي أطاع
سنغ فند على أسرار طفولتي والان يروم
أن يبسطها لي . فلا ذهب اذاً الى سنغ . أما

فلماذا لا تطالبون من مصلحة الكنس ان
تنظفه دائماً

فضحك سنغ وقال : المصلحة تفعل
اكثر من الواجب عليها ولكن السكان
لا يفعلون شيئاً من الواجب عليهم . فهي
تنظف وهم يوسخون اكثر مما تنظف
— ولكن كيف يطبقون هذه الروائح
الحيثية .

فضحك سنغ وقال : لقد تعودوها حتى
صاروا يشكون بوجودها اذا لم يشموها .
ويخافون من اعتلال صحتهم اذا شموا
غيرها
— أما أنا فلا أظن اني استطيع تعود
هذه الروائح

— سأقدم لك نقيماً بهارياً مغلياً زكي
الرائحة شهى الطعم . فيزيل هذه الرائحة
الكرهة من انفك

وصفني تصفيقاً خفيفاً . فدخل غلام
هندي فقال له : هات النقيع حالا

وعاد الغلام وعاد سنغ يقول : لا يخفى
عليك اني اتجر بجميع أصناف البهارات
والإفاويه كالقرفة وحب الهان وجوز الطيب
وخشب الصندل وجميع أنواع البخور الخ
نما يصدر من البلاد الحارة كجنوبي الهند
وجزر مالقا وجاوه وسنجاپور ومدغسقر
الخ . وأصنع منها نقيماً لا مثيل له في النكهة

ولاحظ جم أن الباب ثقيل كأنه محدد
من قفاه . فقال في نفسه : « ما كأنه الا
باب سجن »

ثم رأى نوراً لمع ، فابصر سائماً . وسمع
صوتاً رناناً يقول : تفضل اصعد
فصعد حتى دخل الى ردهة منزل
مفروش بالطنافس والسجاد واستقبله رجل
لا شبهة في هنديته يتجاوز الحسين عمراً
وعلى عينية نظارتان وقال : أظن جنابك ..
نعم أنا — جم لال

— على الرحب والسعة . لطالما بحثت
عنك فلم اهتد اليك الا اخيراً مصادفة .
وسأروي لك حكاية ذلك . تفضل ادخل
الى حجرتي الخاصة

ودخلا الى غرفة انيقة الرياش وجلسا
وجم يحيل نظره في العرفة ويستغرب
ما فيها من ابهة ونفاسة وقال في نفسه :
عجباً ، أمن هذا الدكان الحقير يجمع
« سنغ فند » روث ووسكن بيتاً فاخراً كهذا ،
ثم قال : ان بيتك يا سيدي « سنغ فند »
للحيل وانيق . ولكن هذا الشارع لا يليق
له . فلماذا لا تسكن في حي آخر ؟

فضحك سنغ وقال : ان هذا البيت
ملكي وهو قرب دكاني ولا أود أن اسكن
بيتاً بالأجرة

— ولكن الشارع وسخ يا سيدي سنغ

والرائحة ، يقوي المعدة والقلب والعصب .
وسترى تأثيره العظيم حالما تذوقه
وعند ذلك دخل الغلام بكأسين ككأسي
الشاي مملوءتين بمادة لزجة كالعصيدة والبخار
يتصاعد منها ومعه رائحة عطرة شهية حقيقية
أسالت لعاب جم . فناول سنغ جم كأساً
وأخذ لنفسه الاخرى ومع كل كأس ملعقة
صغيرة من خشب الصندل وجعلا يلعقان .
وقال سنغ : هل جئت جنابك بالرسالة
التي أرسلتها لك ؟

نعم ها هي . وها بعض أوراق المدرسية
الرسمية

— غفواً ومعدرة يا عزيزي جم .
لم أعرفك قبل الآن وانا ملزم أن اتحقق
شخصية من اود أن ابري له ذمتي
— معاذ الله أن الومك ياسيدي على
ذلك . بل كنت الومك وأرتاب بصدتك
لو لم تحتط هذه الاحتياطات

وتناول سنغ من جم الاوراق وفيها
الرسالة وقلبها قليلاً ثم ردها له وهو يقول :
أرجو أن تمضي لي هذا الوصل اشعاراً
باستلامك المبلغ . وها الستة عشر جنبهاً
نقدأ ورقياً

فقال : جم الحق أقول لك اني لم آت
لاجل الستة عشر جنبهاً بل لاجل البيان

السري الذي وعدتني به

— أما الستة عشر جنبها فلا بد لي أن
أدفعها لاني اود ان ابري له ذمتي ولذلك
أرجو منك أن تمضي لي وصلاً بها . وأما
البيان فلا أطلب وصلاً به وسأشرع في
أن اروي به بعد انتهائنا من النقيع

وقدم سنغ الوصل فامضاه جم ثم دفع
سنغ الستة عشر جنبها فاودعها جم في حبيه
وجعلا يلعقان النقيع اللذيذ وسنغ بشرح لجم
بعض خواص البهارات التي في النقيع الى
أن انتهى جم من كأسه فردها الى خوان
صغير الى جنبه وهو يقول : الحق ان هذا
النقيع لذيد وشهي ومبهج في الوقت نفسه
لاني شاعر باتعاش

فقال سنغ : ان أبي عاش مئة وخمس
سنين لانه كان يشرب هذا النقيع القوي
مرتين في اليوم كل حياته . وعمي تجاوز
المئة ولا يزال حياً

— فكم عمرك ياسيدي سنغ

— تجاوزت الثمانين يا بني

— يا لله . لا يصدق ذلك من رآك

— ان هذا النقيع يجعل الشباب اطول

مراحل العمر كلها بل يجعل كل الحياة
شباباً .

— اني شاعر بترنج في رأسي ولكن

المرور مفعم فؤادي

بكل صدق وشرف اذا انجزتما وعدكما له
- ولكنه لم يأت حتى الان
- هذا شغلكما . أما اتفقما معه على
ميعاد ؟

- نعم . الساعة الحادية عشرة تماماً
- اذاً بعد خمس دقائق . . . صه اني
اسمع دوى الاوتوموبيل . فمجدلاً بدفع
بقية الحساب . ييتي لي ثلاثون جنيهاً و١٦
دفتها للغلام وهي لا تزال في جيبه فافحصا
جيبه . ادفعما حالا ولا تجملا الاوتوموبيل
ينتظر اكثر من دقيقة تحت بيتي

فاسرع الرجلان ودفعما لسنغ ٤٦
جنيهاً واحتملا جثة الغلام جم وخرجا بها
والقيامدا في الاوتوموبيل وهما يقولان على
مسمع الحوذي لكي يوهماه : ان فتانا
هذا فاسد الاخلاق وكل يوم نبحت عنه
وناخذه من حانة سكران لا يعي . يستعمل
كل المكيفات كالخشيش والافيون
والكوكايين الخ

ثم دخلا الى الاوتوموبيل والحوذي
سامع لا ينبس بينت شقة . ثم ساق الاوتوموبيل
بمنتهى السرعة القانونية . وما ان انعطف
في شارع آخر حتى بدا اوتوموبيل آخر
وجرى وراه على بعد مئة متر تقريباً

فأوجس الرجلان شراً وقالا للحوذي

- وستعلم الليلة احلاماً ذهبية
فجعل جم يضحك نحو دقيقة ثم انتهى
ضحكه باستلقائه على المقعد وغاص في بحر
من النوم وكان ذلك آخر عهده

فد سنغ يده الى جيب جم وتناول
أوراقه وأخذ الرسالة التي ارسلها اليه
واحرقها بعود ثقاب حتى صارت رماداً
وسحقها بين كفيه ثم خرج وغسل كفيه
وعاد الى الحجرة ومعه شخصان يهامسانه
قائلين . متى يصحو بعد الان ؟

- لا يصحو حتى مطالع الفجر
- هل أنت واثق أنه لا يصحو في
الاوتوموبيل متى استنشق الهواء التي
- بلا شك . حركاه وامتحنا ثمل نومه
فدنا احدهما وهز جم فاذا هو كالجثة
التي لاحياة فيها لولا انه يتنفس تنفساً
ضعيفاً . وهزه الاخر أيضاً قائلاً : أخاف
أن يصحو بعد ساعة أو اكثر قليلاً ونحن
نريد ان يبتى في سباته حتى الصباح فهل
لك يا شيخ سنغ ان تحفنه حقنة أو ...

فاجفل سنغ وقال : لا لا . الشرط ان
اسلمكما اياه جثة حية ولكنها لا تتحرك
مهما كانت الحركات . وها قد انفذت الشرط
- والاوتوموبيل ؟

- لقد عرفتما بحوذي أمين يخدمكما

وسال الدم منها وفي الحال تهدهما قائلاً :
اذا اتيتما امرأ إداً بالفتي سحقت رأسيكما .
وأصبح دوي الاوتوموبيل الذي يتعقب
اوتومبياهما مسموعاً . فلم يجد الرجلان
امامهما سبيلاً للنجاة الا الفرار فوثبا من
الاوتوموبيل وغفل كل منهما في ناحية .
اما الحوذي فماد واطلق لاوتوموبيله العنان
بملء سرعته الى أن وقف لدى باب منزل
فنزول وقرع الباب فخرج رجل فقال : له

احمل هذا الفتى واصعد به الى فوق

فتقدم الرجل في الحال فرفع الحوذي
الفتى الى ظهر الرجل وهذا صعد به وبقي
الحوذي هنيهة . فاذا الحوذي الذي يتعقبه
قد قارب اليه وصار يدرج على مهل كأنه
يراقب أو يتجسس . فلم يجد فيه سوى شخص
واحد مخفي وجهه حتى لا يرى تحت نور
الشارع . ثم تجاوزه هذا الاوتوموبيل
وسار بسرعة

عند ذلك نزل الرجل الذي صعد
بالغلام . فقال له سائق السيارة خذ
الاوتوموبيل الى اسطبله وعد الى عاجلاً فقد
أكون في حاجة اليك

فصعد الرجل بالامر وصعد السائق
الى المنزل فوجد الفتى ملقى على مقعد وهو
لا يزال في سبات وفحصه فاذا به لا يزال
سليماً . وانما كان تنفسه ضعيفاً

هل أنت عالم الى أين تأخذنا !

فقال - طبعاً الى شارع البرت

- حسناً . وانما الان غير الطريق ...

وسار الحوذي على هواه وهما يظنان

انه يضل الاوتوموبيل الذي وراءهما

ولكنهما ما لبثا ان شعرا انهما اصبحا

بعيدين جداً عن الجهة التي يقصدانها . فقالا

له : عجباً . لقد بعدت بنا كثيراً

- ذلك امر كما

- ولكن الاوتوموبيل الذي يتعقبنا

لا يزال يتعقبنا . فلماذا لا تسرع حتى
تضله .

- لم تقولوا لي هذا

- اسرع فضله

فاسرع حتى تتجاوز سرعته القانونية

وهو لا يزال يشرد عن الجهة التي يقصدانها

وقد اصبح الاوتوموبيل الذي وراءهم بعيداً

جداً : فجملوا يوعزان اليه ان يعطف من

شارع آخر ويعود الى الحلي الذي يقصدانه

ولكنه لم يذعن لقولهما . فاجسا شراً

منه وخافا ان يكون ذا مكيدة لهما . فانتبرا

ان يقف فها بالي . فشدا عليه التكبر

وتهدهاه من خلفه بمسدس

فتوقف حالا والتفت اليهما وفي يده

مسدس (بلا صوت) فابصر احدهما وفي

يده حقنة يريد ان يحقن بها الغلام فاطلق

رصاصة على ذراعه فوقعت الحقنة من يده

فحاول ان يوقظه فلم يستيقظ وانما ادرك
من حالته انه في سبات غير خطير كانه سكران
من احد المخدرات
وبعد دقائق عاد الرجل الذي اخذ
الايوتومويل الى الاصطبل وفي يده حقنة
ذات ابرة مكسورة . فقال ذاك نعم نعم
نسيته مع انها ذات اهمية عندي . ثم جل
يفحص الفتى ثانية وقال . نعم نعم هذه
آثار الدم من تلك اليد التي كانت تمسك
هذه الحفنة . اعددي يا جاك كاساً من
الشاي أو كاسين . وسأحاول انعاش
هذا الفتى

الفصل الثاني عشر

احلام في اليقظة

صباح جم لال اوجايمس لام من سباته
أو من نومه كما كان يتوهم وهو يستغرب
كيف انه كان نائماً لأن آخر عهده بنفسه
انه كان يلحق النقيع الهندي السخن البهاري
الطيب عند سنغ فند . فكيف نام عنده .
استغرب ذلك جداً وصار يفكر في سبب
هذا النعاس الذي سطا عليه . وفتح عينيه
فاذا به ملقى على سرير ناعم لم يشعر في
حياته براحة الاضطجاع كما شعر براحته
عليه وهو في غرفة فيها نور كهربائي ضعيف .
وعنده أن حجرة سنغ فند ليس فيها نور
كهربائي بل فيها مصباح هندي قائم على عمود
مزخرف والمصباح في مثل فانوس مزخرف
ايضاً . ترى هل نقله سنغ فند الى غرفة
اخرى ؟ ثم اجال نظره في الغرفة فاذا هي
على غاية من الاناقة والزخرف والجمال .
لم ير في حياته مخدعاً للنوم مثل ذاك . ورأى
رياشها فاخراً ثميناً . فتعجب كل العجب .
لا يمكن أن يكون في منزل سنغ فند الحفير
القديم في حي الهنود غرفة كهذه .
اصفى فاذا المكان هاديء تام الهدوء .
حاول أن ينادي فاحس أن صوته ضعيف
كانه لا يستطيع أن ينادي أو يتكلم . ورام
أن يجلس في السرير فشر أن قواه منحلة .
فازداد استغراباً . عجباً هل انتقل من عالم
الارض الى عالم آخر . كاد عقله يوهمه انه
مات في الارض وصعدت روحه الى السماء .
ولكن لا . لا يزال في جسده وشعوره
واقكاره
ثم شعر بوني كثير فاسترخت عضلاته

واستعاد جفناه النعاس فعاد الى سباته ثانية. ولكنه كان سباتاً خفيفاً فلما لبث ان تنبه لمثل همس أو كلام حوله فاصغى فاذا به يسمع كلاماً حقيقياً . فانصت وسمع — هل صحا ؟

— لا لم يزل في نومه . فقد فحصته منذ هنيهة فاذا هو لا يستيقظ . وانما حالته حسنة جداً . لا بد أن يصحو بعد بعض الساعة .

— لقد تأخرت كثيراً يا بافل —
— لاني قصدت أن اكتشف مقر الشخصين اللذين كانا في الاونوموبيل وهربا — ولكن كيف اكتشفت مكيدتهما — مصادفة . اشتبهت في انهما يترصدانه فراقبتهما جيداً ولاحظت انهما يهاامسان احياناً سائق اوتوموبيل اعرف انه من ذوي الجرائم وانه يقصد الى حي الهنود . فلما تسنى لي أن اخلو به قلت له : انك مساوم على مكيدة لك منها أجر . فهل تريد أن تقبض الربح وتتجو من جريمة أو أن تقع في شهمة فظيمة وتخسر الاجر ؟ فقال : بل أفضل الأمر الأول اذا صح ما تقول ولكنني لست مساوماً

فقلت : أنت حر أن تصدق أو تكذب كما انك حر أن تختار الوجه الرابع الامين فتردد وقال : ولكن لا أعرف كيف

أجوابك ما لم اعلم من انت فقلت : الأمر بسيط لا يهمك أن تعلم من انا فانت تطمع بأجر لعمل منكرا اذا أمسكت به وقعت تحت طائلة العقاب . واذا شئت أن تبيعني مركزك فادفع لك المبلغ الذي تطمع فيه فاحل في مركزك وأتدارك الجريمة التي تخاطر بنفسك فيها . فما رأيك ؟ فتردد متحيراً وقال : لا بأس . ما هو المركز الذي تريد أن تشتريه مني

فقلت أن تدعني أقوم مقامك في تلبية طلب الشخصين الغربيين اللذين كانا يهاامسانك اليوم صباحاً فقال : لا بأس

— قلت : اذاً على ماذا اتفقنا ؟

فقال : الاجرة اولا

فقلت : كم ؟

فقال : ١٥ جنيهاً

فقلت : هاكها . ولكن اذا كذبت

عليّ قبضت على روحك ١٥ مرة

فقال : ولماذا اكذب : انت توفي

بعمدي للشخصين وانا اقبض الاجرة

— اذاً ماذا طلبا منك ؟

— طلبا أن الاقيهما الساعة الحادية عشرة

في شارع غندي في حي الهنود امام رقم ٢٣

قلت : حسناً وماذا طلبا أن تفعل لهما

هناك ؟

فقلت : الى شارع البرت

ودرجت بهما وعيني عليهما مخافة أن
يجترما أمراً غير منتظر أو أن يقتلا الغلام .
ولكن ظهر لي أن هناك عيناً أخرى تحرس
الغلام . فقد طارد اوتوموبيلي اوتوموبيل
آخر لا علم لي بأمره . فكانت مطاردته
تمنع الرجلين من اتيان شر بالفتي . أو أن
الرجلين لم يجسرا أن يغتالا الفتى قبل أن
يضمننا لنفسهما السلامة فلم تتج لهما الفرصة
المناسبة لذلك . بل خافا عظيم الخوف اذ
رأيا اوتوموبيلاً من ورائهما يطاردنا ، وأني
أنا أسير بهم في شوارع لا يجسر أحد أن
يرتكب فيها جنائية . وأخيراً اتهراني لكي
اقف . فوقفت وأدرت وجهي مهدداً لهما
بمسدسي الصامت . فاذا أحدهما ينوي أن
يخز الفتى بارة حقنة مميتة طبعاً . فاطلقت
مسدسي الذي لا صوت له ، فاصاب كفه .
فسقطت الحقنة من يده . وكاد اوتوموبيل
الآخر يباغتهما . فقفزا من اوتوموبيلي
وتغلغلا هنا وهناك . وتم استأنفت السير
الى منزلي . وأما اوتوموبيل الآخر
الجهول أمره فبقي يتعقب اوتوموبيلي حتى
ادركه واقفاً لدى منزلي وصار يسير الهوينا
فتجاوزته ولم أعد ادري بأمره .

(انتهت حكاية بافل)

قال : أن انتظرهما ربما ينزلان بشخص
سكران الى اوتوموبيل وتم آتي بهم جميعاً
الى شارع البرت . وبعد ذلك يأخذان
الشخص من اوتوموبيل

قلت : او ما خفت أن يكون الشخص
قتيلاً ويركا جثته في اوتوموبيلك ؟

قال : كلا لأنني تهددتهم اذا فعلا
كذلك استصرخ البوليس الا اذا راماني
أن آخذ جثته الى اي مكان فاخذها في
مقابل مئة جنيه . وماذا يهمني أن التي من
اوتوموبيلي اي جثة وامضي ما دمت
لست القتيل

فقلت وما هي علامة السر بينكم ؟

فقال : لفظة البرت

فقلت : هات معطفك وقبعتك ايضاً
وغداً تجدني في هذا المكان فارد هما لك
(وهنا سمع جم تهدداً من أعماق صدر
وصوتاً خافتاً يقول : ثم ماذا ؟ هل . .)

— نعم ركبت اوتوموبيلي في نفس
هذا الميعاد ووفيت عهد ذلك الحوذي
للرجلين ولم يعرفا أن حوذيهما تغير . وفي
الميعاد نزلا من منزل ٢٣ بالغلام كأنه جثة
بلا حراك ووضعاه في اوتوموبيل
وجلسا الى جنبه وسألني أحدهما : هل
تعلم الى اين تذهب بنا ؟

مرة واحدة فقط مع الفتى . ولا أدري ماذا كان قصده ، وهل يعرف الرجلين اولا يعرفهما ، وهل هو عدو أو صديق للفتى ؟ سأعلم كل شيء .

— اذاً تظن انهما كانا يريدان أن يغتالا الفتى ؟

— كذا ظهر لي . ولا أدري السبب . والظاهر انهما يمتقان حياة الفتى

— شكراً شكراً والف شكر يا سيدي . هلمّ نرتاح في البهو . لعلك تريد أن تنام قليلاً وعند ذلك تحرك جايس في سريره قليلاً فسمع وقع الأقدام الخفيفة والصوت الخافت يقول : اظنه قارب يصحو . الافضل أن نخلي الغرفة

واحس جم أن الغرفة خلت فعلاً . وما بقي فيها الا همس أفكاره في لبه عن الحكاية التي سمعها وهو يغالط نفسه ويقول « لعلني كنت أحلم حلماً » فحاول النهوض ليتحقق ان كان يحلم أو انه صاح . فنهض وجلس في السرير حتى سمع حفيف الفراش تحته والاحاف من فوقه وتأكد انه صاح حقيقة لا يحلم . ولكنه ما لبث أن شعر بوني ووهن : فعاد واضطجع وارتاح لاغماض جفنيه . وعادت الهواجس تتحاور في ضميره وهو يقول لنفسه : يا لله . احقيقة اني كنت

وكان جم بسمع هذه الحكاية بكل وضوح لان الحديث كان قرب سريره . وعند ذلك سمع التنهد ثانية وسمع الصوت الخافت يقول : شكراً جزيلاً لك والف شكر يا مستر بافل . وهل استطعت أن تعلم مقر الشخصين !

— لما خرجت بالفتى من منزلي لكي آتي به الى هنا رأيت الرجلين واقفين عند زاوية ، ورأيت أحدهما رابطاً كفه بمنديل ، والظاهر أن رصاصتي الصغيرة اللطيفة اخترقت كفه . ولا أدري في أي نقطة اخترقتها ، حتى بقي مجالداً وهو ورفيقه لا يزالان يترقبان . فقلت في نفسي لا بد أن يتبعاني ليملأ أين أنا ماض بالفتى . ولهذا بعد أن جئت به الى هنا ورجعت حالا رأيتهما قد أتيا باوتوموبيل آخر الى هذا الشارع وتركاه وصارا يتمشيان حول الدار وكنت قد غيرت زني في الحال ، فما زلت اترصدهما حتى علمت انهما أتيا الى منزل معين . فعدت من غير أن يشعراني اكتشفت محالهما

— برافو يا بافل ! والشخص الآخر الذي كان في الاوتوموبيل يتعقب اوتوموبيلك ؟

— رجحت انه شخص ثالث رأيته

تحت خطر الاغتيال ؟ ولماذا ؟ ماذا فعلت
من السيئات للناس ؟ وأي انسان اذيت ؟
ولمن اذيت ؟ وأي مطمع بي للطامعين
والأشرار ؟ لا أظن أحداً في الدنيا أفقر
مني الا بالحب فانا اغنى الناس » وليس
أحد مثلي عديم الاذى الا اذا كان حبي
هذا اذى لاحد. فما فائدة الناس من موتي ؟
وماذا تضر الناس حياتي ؟ رباه هل يمكن
ان حب « جميلة » يعرضني للخطر ؟ ان
كان أحد يحسبني منازعاً له في هواها فاجعل
ارادتها حكماً بيننا وانا أرضى بحكمها حتى
ولو كان البذل لي . وان كان في وجودي
ضرر لها فلينجح المغتالون

واستغرق جم في هذه التخيلات
والتصورات حتى أصبح كالنائم الحالم .
وما استيقظ الا بمجفلا فازعاً اذا أحس بكف
على جبهته . فارتعش . فارتفعت الكف
عن جبهته ورأى في الحال أمامه وجهاً
باشاً وثوراً باسمه وعينين زرقاوين كأنهما
حجرا فيروز في بيضة صغيرة من عاج ،
واكليلا من شعر ذهبي يحيق بذلك الوجه
البدرى . فاستغرب ثم سمع ذلك القم العنومي
يقول بهمس ناعم : كيف حالك الان .
هل صحوت ؟

فلم يجب . فعاد القم يقول : هل تشعر

بالم أو بانزعاج ؟

فقال متكلفاً : اشعر بوني ووهي .
أين أنا الان

فقامت تلك السيدة وضغطت على زر
كهربائي فضاءت عدة مصابيح أخرى
وشممع النور في المكان وعادت اليه :
فقال : أين أنا يا سيدة ؟

— في منزل موقوف على خدمتك
— هل نقلت حقيقة من منزل سنغ فند ؟
— اظنك لم تمكث هناك الا هنيهات
— كيف جيء بي الى هنا ؟ ومن
جاء بي ولماذا ؟

— المقادير التي تتلاعب بك منذ الفطام
— عجباً . هل حقيقة انا في بقعة :
هل كنت عند سنغ فند ؟

— لا أدري تمام الحقيقة يا عزيزي
— اظنني لم أزل لابساً ثوبي . اني
اشعر بثقله على صدري . اذكر اني
أخذت من سنغ فند ١٦ جنيهاً فهل لم تنزل
معي ؟

ودس يده في جيبه واستخرج محفظة
وخصها فاذا الورق النقدي لا يزال فيها
فقال : يا لله . هذه هي . اذاً كنت عند
سنغ فند حقيقة فاذا جرى لي ؟

— لا تخف يا عزيزي . لقد كنت
تحت خطر فسلمت منه والحمد لله

سأفسر لك كل شيء . والافضل ان تهدأ
الآن وترتاح والا لأضررت بنفسك

ورام جم أن ينهض وينزل من السرير
ولكنه لم يستطع لان الخدر الذي اخذه
عند « سنغ فند » في النقيع هدم جانباً من
عافيته وشل قوته . فجلت مرغريت تنزع
اليه ان يضطجع في السرير . وعند ذلك
اشغل بالها لفظ وضوء في قصر الفيكونتس
فقالت : حلمك مهلاً . دعني ارى ماذا
حدث في القصر

وخرجت الى ردهة القصر فاذا هناك
شرطيان ورجل غريب وبافل البوليس
السري يحيط على استئثارهم . فقالت مرغريت
موجهة السؤال الى احد الشرطيين .
ما الخبر ؟

فقال : هذا الرجل (يشير الى الغريب)
يدعى أن هذا الرجل (مشيراً الى بافل)
جاء الى هنا بجثة فتى قد ارتكبت فيه جناية .
وأن الفتى يخصه فنريد أن نتحقق جلية
الامر . فاسمحي لنا يا سيدتي أن نقوم
بالواجب

فهزت مرغريت رأسها مستشبهة (وهي
تستشيط لافل سبب) وقالت : لا أسمح
فقال الشرطي . ولكنك تعلمين ياسيديتي
انا موفدان من قبل دائرة البوليس ومعنا

— عجباً . لماذا يريد بعض الناس ان
يقتلوني ؟

— ستعلم كل ذلك فاطمئن يا حبيبي .
الان انت في حاجة الى الراحة فهل تريد
كأس لبن ينعشك ؟

— شكراً لك يا سيدتي . وانما قبل كل
شيء أود أن أعلم أين أنا ؟

« وشد حيلة » ونهض وجلس في السرير
وكانت السيدة قد وقفت ووقع نور الكهرباء
على وجهها فحلق فيها جم ثم ادلهم وجهه
وازمهرت عيناه وصاح : من أنت يا امرأة
فاجفت المرأة ولم تجب فقال : ويك .
اليكونتس فيفر المتكبرة الثقيلة التي تحتقر
الناس الذين ليس عندهم ما ؟ السليطة
التي تحول دون القلوب المتحابة كما تحول
ابليس بين الابرار . ويحك بل ويحك من
جاء بي الى منزلك

وهم جم ان ينزل من السرير ساخطاً :
فتضرعت اليه قائلة : حلمك وعفوك
ياعزيزي لا يثر غضبك لئلا ترهق قلبك .
ستحاسب . واستغفر منك . ارتح الآن
ريها تستعيد عافيتك

— تبارك لك ولقصرك وتبارك لمن حملني
اليك . لقد كنت سبب تماسي . لقد سحقت
قلبي . لقد قتلت حبي لقد سفكت دم سعادي
— حلماً ياعزيزي ومغفرة وصفحاً .

بهما . وقامت عندي ظنون بأنهما ينويان اغتيال الفتى ، فصرت اراقبهما وهما يذهبان الى منزل هندي في شارع غندي . ثم رأيت الفتى دخل الى المنزل نفسه ولم يخرج منه الا محمولا على ايدي ذينك الرجلين الى اوتوموبيلك

فقال بافل : حسناً جداً . لقد صدقت في كل ما قلته حتى الآن . ولكن لم تقل من هما هذان الرجلان اللذان اشتبهت بهما ؟ فتردد الرجل في الجواب ثم قال : لا اعرفهما وانما رأيتهما يحومان حول الفتى فاشتبهت بهما

- من هو الفتى ؟

- هو تلميذ يدعى جايمس لام

- وما شأنك به ؟

- لي به شأن يخصني . هو قريب لي

يبدو ذلك برزجم من الداخل . مستشيطاً وهو يقول : خسئت . لست قربي ولا اعرفك ولا أريد أن تتداخل بشؤوني ، لانه منذ جعلت تتداخل بدأت المصائب تتوالى . فلا اسمح لك ان تنوء باسمي . انك لافاك إنك لمسكار انك لمحتال . ماذا تريد مني ايها العليج ؟

فاكفهر الرجل وقال : حلمك يا بني .

احمد الله على سلامتك . كنت اخشى ان

أوامر علينا أن نتفدها . فهل جيء باحد اليك في غلس هذا الليل فتناول بافل الحديث عنها : وقال حليماً يا سيدتي . اسمحي لي ان اواجه القضية بنفسي

والثقت الى الشرطيين والرجل المبالغ وقال : نعم اما جئت بفتى الى هنا . وانما اود أن اعلم ما شأن هذا الرجل ؟ فقال الرجل الغريب : اولاً اني مبالغ عن جنائية حصلت وانا شاهد فيها . وثانياً لي صلة بالفتى نفسه

- ما هي صلتك بالفتى ؟

- لست مكلفاً أن أحييك الآن

- حسناً . وما هي شهادتك

- اذا كنت الذي جاء بالفتى الى هنا حقيقة كما اعترفت ، افما انت الذي كان يسوق الاوتوموبيل الى حي الهنود حتى شارع غندي وقد وقفت به امام منزل ٢٣ ثم عدت به تحمل رجلين بينهما جثة فتى ، وما زلت تراوغ في الطريق حتى وصلت الى شارع البرت فانزلت الجثة وادخلتها الى منزل ٣٣ . وبعد نحو ساعة جئت بها الى هنا ؟ - برافو . كل شهادتك هذه صادقة

ولكن كيف عرفت ذلك ؟

- كنت مراقباً للرجلين اللذين اشتبهت

— تعال يا حبيبي لنسمع تفصيل الحكاية

من السكتن بافل

وأشارت الى بافل وهو متمكر بلحيته

المهودة. فنظر اليه جم نظرة غضب وعيناه

تقدحان شرراً وقال : ويحك يا لحيه النحس

حتى متى انت أمامي : يا واقفاً في سبيل

مستقبل سعادتي ، يا مقاطع فلك كوكب

حظي ، يا معكر صفائي : ماذا تريد مني ؟

فابتسم بافل وقال : اني العناية التي

ترقب حيائك وتردالكيد عنك ولسوف..

فقاطعه جم متغيظاً وقال : خست يا نذل

الانذال لقد قتلت جنين سعدي في رحمي .

واهلك جرثومة سروري . انك لتقيل

فضولي طفيلي . كفي كفي

وهم جم أن يخرج فامسكت مرغريت

به وقالت : بربك يا هذا مهلاً . دعنا تفاهم

فسخط بها جم وقال : عني يا كبرياء !

قصياً يا خيلاء ! بعيداً يأتيه ، ويا عظمة ،

ويا جبروت . تباً لك من مغرورة . لقد

سلبت روح هنائي وفورت دم غضبي .

دعيني . ما الذي جعلك تقفين في سبيل

غبطتي يا مغرورة

— ويحك ! الا تسمع حتى نفسرك ؟

فازداد غضب جم وقال . ماذا اسمع ؟

اسمع ماذا ؟ اسمع انغام كبرياؤك ؟ اسمع

مواعظ انايتك ؟ اسمع اخبار تدخلك

يفتلك اعداء ، ولهذا كنت اسهر على

سلامتك سهري على الابن العزيز الحبيب

— تباً لك . ما انا ابنك ولا أريد أن

اتمي اليك . من انت حتى تدعى الابوة

لي ؟ وانت لا تدري اي المصائب جلبت علي

وأي حماة افضى تداخلك الى طرحي فيها .

انصرف يا وجه الشؤم

فاستغرب الجميع سخط جم . وقال أحد

الشرطيين للرجل الغريب . هل هذا هو

الفتي الذي ظننته . . . ؟

— نعم . نعم . انه لسام . والحمد لله .

— وهذا الرجل الذي تهمه بالاشتراك

بالجريمة هو البوليس السري السكتن بافل

الذي لا يساء الظن به . فنحن وانت لم يبق

لنا شغل هنا . فلنعد ، وكفانا ان نسمع

سخطاً ونرى نزقاً

فقال الرجل الغريب : أجل لقد انقلب

الخير شراً . بالضيعة الامل بهذا الفتى . ما

كنت اظن اني اضع عواطفي في غير

محلها . لا ريب اني قد اخطأت نية . هلم

يا سيدي

وخرج الشرطيان يتبعهما الرجل الغريب

وقد فهم القاريء انه هو علي بك سيف

وعند ذلك امسكت مرغريت بيد جم

باسمة وجذبه تريد أن تدخله الى حجرتها

فزق قائلاً : دعيني يا امرأة

رواية من عرابي الى زغلول

٨١

انه يظن ان لنا غرضاً في الحيلولة بينه وبينها .
أو اننا نريد ان نفرق بينهما الى الابد باية
الوسائل . ولهذا هو غاضب شديد الغضب
يجب ان نتفاهم معه ونغير ظنه هذا . بربك
اجتهد ان تقابله ثانية وتقنعه بحسن قصدي

واعل القاري يستغرب كيف اهتدى
البوابس السري بافل اليه واكتشف المكيدة
ضده . عرف بافل شخصه من لقائه
المتواتر بالفتاة التي داته عليها الفيكوتس .
ومن ثمة جعل يراقبه لكي يعلم مقره
واحواله ويدبر وسيلة للاتصال به
واستدراجه لمقابلة الكونتس . ولكنه
ما كاد يتحقق بعض اموره حتى اكتشف
تلك المكيدة المدبرة ضده . فبذل جهده
لانقاذه منها كما علم القاري .

بقي ان القاري . يود ان يعلم كيف اهتدى
اليه المهنديان اللذان ينويان اغتياله لكي لا
يبقى حائلاً دون استيلائهما على ثروة
نسيبهما الباشا الربيعي

فلا يخفى على القاري . انها كانا دائماً
يراقبان حركات علي بك سيف ويوجسان
منها ويعتقدان انه يعلم مقر الغلام غريمها .
ولكنه يترث في اظهاره الى ان يبلغ
رشدده ويستطيع المطالبة بميراث ابيه
الحقيقي علي باشا الربيعي . فلما علما ان
علي بك سيف صار يسافر الى لندن قام
في ذهنهما انه مودع الفتى في لندن واعلمه

بشؤون غيرك ! ماذا تريد ان تخبرني !
اتريد ان تموت عليّ انك لم تتفق مع
ذي الحية النحس هذا على مؤامرة ضد
سعادتي . لقد هصرت غصن سروري .
لقد قصفت شبابي . كفى كفى ايها الاشرار
واندفع جم كلاس الضاري المفزع
وانطلق من باب الردهة الى السلم فوثب
فيه وثبات الظبي النافر حتى وصل الى اسفل
الدار وخرج لا يدري الى اين

وكانت مرغريت مبهوتة من كلامه .
وكان بافل منصتاً يسمع ويستوعب ويفسر .
فلما خفت دوي وثباته في السلم نظرت
مرغريت الى بافل متجهمه وقالت : ما هذا
الجنون ما هذا الهيجان ؟ ما سمعت ولا
لا رأيت ولا خطر لي

فقال بافل : اظن هذا فعل المخدر الذي
جرعه اياه « سنغ فند » الشرير

— ولكن اما فهمت ماذا يعني وماذا
في قلبه من الحقد

— فهمت فهمت جيداً . ولكنه في
غير ظرف التنبيه من المخدر لا يثور هذه
الثورة

— يظهر ان مسألة المصرية أثرت
في نفسه كثيراً

— اجل ظهر انه يحبها حباً فوق العبادة
سنرى كيف ترقع المسألة يافيكوتس

— يلوح لي انه يعتقد اننا نراقبه ونتجسس
عليه لكي نحول بينه وبين الفتاة . والارجح

لاح في ظنهما انه اودعه في احدى المدارس لكي يتعلم . ولذلك قصدوا الى لندن خفية حيث كانا يراقبان حركات علي بك ليستدلا منها عن مقر الفتى الى ان شاهداه مع جم لام حين كان يحادثه ويتعرف



الفصل الثالث عشر

فراق يكون فيه دواء أو فراق يكون فيه الداء

وعاد جيمس في ذلك الفجر الى غرفته وهو كمن لا يزال تحت فعل السكر . واضطجع في سريره وجعل يفكر فيما حدث له من غرائب اعمال البشر الشريرة . هل كان هؤلاء الناس يمثلون دور مزاح حتى ينتهي الدور بتمنين الكونتس مرغريت لانهما انقذت حياتها لكي يحق لها ان تهيمن عليه ؟ ولماذا ؟

هذا ما خطر على باله . ولكن ماذا كان غرض الكونتس من ذلك ؟ هل تعشقه حتى تقول له يا حبيبي ويا عزيزي فعلت كيت وكيت لاجلك . لم تجد في الناس شاباً اجمل واكثر « قيافة » واناقة منه ؟ وهل لاجل هذا الغرض جعلت تحول دونه وجميلة حتى تفسد الحب بينهما ؟

احتار جيمس كيف يعمل هذه الالاعيب ولم يجد وجهاً معقولاً لتعليلها غير هذا التعليل فاعتقد ان الرجل الغريب المدعي الابوة

مأجور يمثل دوراً « وسنغ فند » يمثل أيضاً مأجوراً ، والرجلين اللذين قيل على مسمعه انهما قد أخذاه من عند « سنغ فند » ان كانا قد وجدا حقيقة ، يمثلان دوراً باجرة ايضاً ، والمسمى باقل يمثل ايضاً . هل هؤلاء يمثلون ويقبضون اجرهم من الفيكوتس فيقر لاجل الحيلولة بينه وبين جميلة المصرية ؟ هذا ما تجسم في ذهن جيمس اذ لا يعرف سببا لكل ذلك غير هذا السبب

وخطرت له حيلة سنغ فند ونقيمه الذي دس له المخدر فيه . ثم خطرت له الستة عشر جنيتها . فنهض حالا من سريره وكتب لسنغ :

« يا سنغ الساحر : لقد ظننت انك قد تني اليك بستة عشر جنيتها لكي تسامني كما سلم يهوذا المسيح . ولكن

الى المنزل فلم تبدو شيئاً . مدة الدراسة في المدرسة انقضت وحلت العطلة المدرسية . ولم تعد جميلة تخرج وتعود في اوقات منظمة . فانتحل سبباً للسؤال عنها عند مسز برون . فعلم ان أباهما جاء من لندن واخذها . فكاد يحزن من مقاومة المقادير حاول ان يعرف شيئاً من دورا ابنة الدكتور جيروم . فقرأ نفسه على الحديث معها عنها . فعلم منها انها وأباهما زارا بيت الدكتور منذ يومين . فتغيظ جداً لانه تخلف عن الحجيء الى بيت الدكتور كل ذلك الاسبوع . سأل دورا عن الفندق الذي ينزلان فيه فلم تتذكره . فكاد يحزن من هذه الحبيبة

وجلس الى المكتب الذي يقضي عليه اشغال الدكتور ، فوجد خطاباً معنوناً باسمه بالآلة الكاتبة وليس عليه طابع البريد ففضه فاذا فيه ورقة عليها هذه الكتابة

«الشخص الذي اشغلت قلبه وخلبت لبه ثم جافيته وتركته معلقاً بخيط من الأمل أوهى من خيط العنكبوت سيقاضيك يوم الدينونة . ولكنه سيق لك ويشنع بك غافراً جفائك . وداعاً الى يوم الدين »

وكانت الكتابة بلا تاريخ ولا امضاء ولا عنوان غير عنوان الطرف . فاستغرب

لقد سئلت ظناً . ما قادي اليك الا حسن ظني بكل الناس . ولذلك أردت اليك الثمن الذي ظننت انك اشتريت به ارادتي مني . ففي هذا الخطاب تجد الستة عشر جنيهاً التي اخذتها منك . لاني اجل نفسي عن الشهوة للمال »
(الامضاء) جم لال

وبالطبع ارسل الخطاب حالما خرج من منزله . ومما عظم الامر عنده جداً انه لم يجد رداً لتلك الرسالة التي اودعها في الوكر الصغير في جدار زاوية المنزل الذي تقطن فيه جميلة ، وقد نبهها اليها لكي تأخذها . فخص الوكر فوجده خالياً من الرسالة . وخصه بعد ذلك مرراً فوجده خالياً من رد . ففهم ان جميلة جافته . ولم تحدث هذه المفاجأة الا بعد اجتماعها بالفيكونتس . فلا بد ان تكون الفيكونتس قد اوغرت صدرها عليه . او انها توعدتها لكي تكف عن مقابله . والا فلماذا جفته بعد ان كانت عطوفه انيسة ودلائل الحب ظاهرة في ملامحها ؟

لذلك عظم الخطب عنده جداً وراح في ماذا يفعل حتى يجتمع بجميلة ويتفاهم معها

حاول بعد ذلك أن يراها في طريقها

والأخرى بلاغ لك . وكلاهما ارسلتا اليك في نفس البريد الذي ارسلت فيه رسالتك الاولى . وانما انت قليل الحرص لا تسمى الى رسائلك . وربما نسيت نص رسالتك الاولى فاكتبه لك هنا وهو :

« يا علة حياتي . لم اعد احتمل ان اكتبكم حي بل عبادتي لك . فان كنت راضية فضعي رداً لهذه الرسالة كلمة مختصرة واخبريني أين يمكن أن نلتقي لحظة واحدة ولو مرة لكي نتفاهم . وبعد ذلك نعتصم بحبل الآمال الذهبي الى ان يتيح لنا الحظ باللقاء الدائم السعيد الشريف »

وفي الحال قرأ الورقة الاولى هكذا :
« يمكن ان نلتقي حينما التقينا اول مرة
لاجل كتاب الاشعاع »

فما أتى « جم » على آخر الجملة حتى لطم خديه وصاح : ياويلي . لقد زارت جميلة دورا خصيصاً لكي تراني . فما اسوأ حظي ؟ يا للمقادير المعاكسة . ربه ماذا اذنبت اليك حتى استحق هذا العقاب الاليم فتشغلني بشيء غير شاغل فؤادي ؟

هذه الرسالة كل الاستغراب . ومن كتبها ومن اودعها على المكتب . رام ان يسأل الدكتور نخاف ألا يكون له علم بها . لم يستطع ان يعزو هذه الرسالة الى كاتب غير جميلة . ولا سيما لانها كانت في منزل الدكتور جيروم امس . نوى أن يسأل دورا نخاف أن يذبه غافلة تكون جاهلة امر الرسالة فتعلم امرها وتشبهه بامور اخرى وتظن ظنوناً مختلفة

عاد يقرأ الرسالة وهو يرى من خلال سطورها يد جميلة المبدعة الحياة الغرامية في قلبه . فكاد يحن بل كاد ينشق غيضاً من عتابها القاسي . كيف جفهاها وهو لم يعد يجد سروراً بغير التفكير فيها فهم في ذلك اليوم كالجنون لا يدري ماذا يفعل حتى انهكه التعب . فأوى الى غرفته واهي القوى

وبعد بضعة ايام ورد اليه خطاب في البريد ففضه فاذا فيه ورقتان صغيرتان ورسالة . فقرأ الرسالة اولا كأنه يظنها من جميلة وهذا نصها ..

« جم لال .

« سلاماً . ان عفريتك الذي تداخل في شؤونك الغرامية وافسد خططك يكفر عن ذنبه بان يرسل اليك هاتين الورقتين : الاولى رد على رسالة منك

الحب وحده الاله المشتق من الالوهية العليا التي تجعل عبادة المال أثماً .

الحب وحده قوة . فان كنت احب جميلة حقيقة فاطير اليها لا على اجنحة المال بل على اجنحة الحب . فالى الغد والغد يهتم بما لنفسه ثم عاد جم يفكر في من ارسل اليه هذه الرسالة وضمنها الورقتان . وكيف اطلع على رسالته وكيف حصل على رسالتها دونه مع انه كان كل يوم يزور ذلك الوكر في الجدار . هذا سر آخر من الاسرار التي تحف به . فكاد عقله يختل من توالي هذه الاسرار الغريبة

وفهم جم ان جميلة لما زارت بيت الدكتور جيروم كانت تحسب حساب ألا ترى « جم » هناك فاستعدت للرسالة التي اودعتها له في المكتب مكتوبة بالالة الكاتبة من قبيل الاحتياط . ولما صح حسابها كتبت آخر رسالة له واودعتها في الوكر . ولكن هناك بدأ تمتد الى الوكر قبل يده فيد من هي ؟

في صباح السبت كان جم في المحطة التي يودع منها الراحلون من لندن الى اوروبا . وهو يرقب القطارات التي ترحل واحداً بعد الآخر ونظره شائع هنا وهناك بين الناس مخافة ان ثقلت جميلة من قيد بصره كان يطوف من هنا الى هناك حتى كاد عمال المحطة والشرطة يشتبهون به . واخيراً صح يقينه ولمح جميلة ويدها في يد رجل

اظن كان ذلك يوم اجتمعت بذلك المصري الافاك الذي لفق تلك الحكاية الخداعة لي لعنة الله عليه . ولكن كيف عرف ان في صدري هذا الوشم المجهول الرمز . ليس على الابالسة يبعد ان تكشف المستتر وتستظهر المضمير ثم قرأ الورقة الثانية هكذا .

« لقد قطعت حبل الامل . يوم السبت يوم وداع محطة لندن الى سويسرا . الف سلام »

فما شعر « جم » الا وقلبه يثب بين جنبيه وهو يثب في غرفته كالجنون : وبلى . لقد مات فؤادي وهلكت حياة سعادي . تباً للمقادير . تباً للبشر ما اشرهم . لقد نغصوا عيشي من غير ان أضراحداً . الى المحطة غداً . وبعد المحطة الى سويسرا الى مصر . ولكن من اين النفقات ؟

في الحال خطرت له الستة عشر جنيهها التي اخذها من سنغ فند ثم ردها له . وكاد يندم على ردها . ولكنه ما لبث ان قال في نفسه : لا . لا . اني اجل نفسي عن الشهوة للمال : ولكن يلوح لي ان الانسان بلا مال حيوان بلا قوة . هل يكون الاله المال اقوى من الاله الحب فيذل هذا له ؟

كلا كلا وحاشا ، بل الناس يتفانون في تنازع المال لاجل الحب . لا لا . معاذ الله ان يقبل الحب تأليه المال لاجله . ان

وعاد يحوم حولها من بعيد حتى وقع نظره على نظرها وأبوها لا يلاحظ لانه منهمك بالسفر . فوضع جم يده على ايسر صدره وهو يقول : لا ريب انها تفهم واما هي فما وقع نظرها عليه حتى تراءت له وجنتاها كأنها جمرتان . واطرقت كأنها لا تستطيع أن تحتمل النظر اليه . وهو يكاد يختطف قلبها او كأنها خافت ان يفضحها الوجوف واصططك القدامين . وحار جم ماذا يفعل حتى يبالغ اليها وأى كلمة يستطيع أن يبلغها .

ولكن الحب يفتق الحيلة . فاسرع في الحال الى كتي المحطة واشترى كتابا - أي كتاب - وكتب عليه « هدية من دورا جيروم الى صديقتها جميلة المصرية » . ثم كتب تحت الكلام : « الجامعة ج . ل . » ثم استدعى أحد عمال المحطة وقال له : خذ هذا شلناً . وقدم هذا الكتاب الى تلك الفتاة التي تتمشى الى جنب ذلك الرجل وقل : هذا الكتاب من الآنسة دورا بنت الدكتور جيروم . اسرع قبل أن يدخل الى القطار

وبقي جم ينتظر مراقباً من بعيد حتى رأى الرجل بلغ اليها وقدم الكتاب . وانما راعه ان أبا جميلة تناول الكتاب أولاً وجعل يقلبه ثم ظهر أنه يقرأ . فهل كان يفحص ما كتبه جم ؟

ثم صعدا الى القطار وتواريا فيه وجم

الى جنبها فاسرع وواجهها من بعيد . وما كان اعظم جزعه ان رأى ان الرجل الذي يمسك بيدها هو نفس الرجل المصري الغريب الذي رآه في المطعم ثم حاول ان يقنعه انه ابوه ، وكان آخر عهده به ان رآه لدى قصر الفيكو تنس فيفرو وقد اوسعه هو شتما وسباً واهانة . فارتد جازعاً وذاب فؤاده في صدره فرقاً . وقال في نفسه : ويلاه ! الى هنا بلغت مشاكسات المقادير ان تجعلني عدواً لدوداً لأبيها . لقد اصبحت لي امنع من عقاب الجو . ويلي كيف ذلك . ان كان هذا الرجل أبي حقيقة فهي اختي . ويلاه ان هذا التصور لهائل مخيف . رباه . انر بصيرتي . اكشف الحقائق لي . لقد ضل قلبي وتضعضع عقلي وتزلزل ضميري

اني أحب هذه المعبودة حب البدر للشمس لاحبه الارض التي هو شقيقها . فهل أنا آثم . ولكن لا . . . ليس في رسالة الرجل التي لم أجابه عليها ما يشتم منه رائحة الأبوة لي . لا ينبض قلبي لهذا الرجل نبض قلب الابن الاب . فعسى أن يصدق حدسي .

وكان وهو يفكر هكذا قد رجع حتى توارى . ثم هاجت بلبله وقال : ويحي تكاد تتركب القطار . بعد دقائق يرحل القطار . فكيف نفتق من غير أن نتفاهم ولو بالنظرات

منهلع الفؤاد متخوف من الرجل يلوح
امام القطار لينال آخر نظرة منها . ولكنه
شدد قلبه ومشى لدى القطار وهو لا يلتفت
خافة أن يراه أبوها فيشتبه به . وربما كان
اشتباها مصيبة عليها فرذاها بأواباً وهو
لا يلتفت ، وانما خيل اليه أن جميلة واقفة
في الشباك تنظر اليه . ولما تحرك القطار

التفت فاذا جميلة في الشباك شائحة النظر
هل حدث النفاخ في النظر أو في
الروح ؟ الله أعلم
وعاد جم كاسف البال مسحوق الفؤاد
معلق الآمال في حبال الهواء
وعقد النية على اتقان اللغة العربية في
جامعته ونفسه تسمج في اوقيا نوس الآمال

الفصل الرابع عشر

شمر من جهة ونفاض من جهة

نعود الآن بالقاريء الى مصر حيث
الالف والياء من تاريخ هذا الحادث
الذي تلاعبت فيه المقادير
كان المستر دانلوب مدير المعارف
لعهد اللورد كرومر مطلق التصرف يفعل
ما يشاء بلا حساب . كان نموذج الاستبداد
وكانت « المعارف » في يده آلة ميكانيكية
يديرها كما يدير الطفل الالعوبة . وليس
لادارة المعارف غرض تعليم او تثقيف بل
كان غرضها وضع حد له حتى لا تتجاوزه
الناشئة وهو اعداد موظفين صغار للحكومة
في أوائل الصيف والمدارس على اهبة
الارضااض كان المستر دانلوب آنياً الى
احدى المدارس العليا في القاهرة للتحقيق
في قضية تمرد بين الطلبة بلغته بالامس . فلما
ترجل من مركبته أمام باب المدرسة حدث

دوي هائل كأنه دوي مدفع من مدافع
الميدان . فاجفل المستر دانلوب وانهلع فؤاده
وارتد الى المركبة كأنه يريد أن يحتتمي
بها ولكن جوادي المركبة كانا يثنان من
شدة روعهما والسائق يبذل جهده في
كبح جماحهما وهو لا يدري الى أين
يتجه بهما تحامياً للخطر . ورأى دانلوب
بعض الغلمان والسابلة يتراكضون من
هنا وهناك كالاغنام التي باغتتها الذئاب
حتى فرغ الشارع ولم يبق الا هو
والخوذي وهذا يكبح جماح الجوادين
مخافة جموحهما وانفلات قيادهما من يده .
ورأى دانلوب الدم يسيل قليلا من جبين
الخوذي فجعل يفحص نفسه ليعلم هل
هو سليم . فاذا به سليم والحمد لله . واما
الخوذي فلم يشعر بعد أنه أصيب بشظية
صغيرة في جبينه

— قنبلة انفجرت أمام باب المدرسة
حال وصولي ونزولي من المركبة. والظاهر
أنها انفجرت في الجهة التي لم أترجل إليها
من المركبة فسلمت ؟ وأصيب الحوذي

بجرح خفيف في جبهته

— فذاك الحوذي . غريب ما تقول .

هل قبض على الجاني

— لم يعرف الجاني أذ لا بد أن يكون

قد فر مع الناس الذين هرعوا عن مكان

الحادثة . فقد أفلت

— وماذا فعلت ؟

— أمرت بحراسة المكان ومنع السابلة

من المرور أمام المدرسة ريثما يأتي المحققون

للتحقيق

— لا . لا . اذا كان الجاني قد فر — ولا

ريب أنه فر ولا أمل بالقبض عليه .

قالغ أوامرك هذه حالا بعد أن تجمع

شظايا القنبلة وتعاين جيداً كيفية انفجارها

ومكانه .. واطلق السبيل للسابلة ولا

تدع أحداً يفهم أنك تعلق أهمية على هذا

الامر . ولا تبلغ النيابة . ثم اقض المهمة

التي ذهبت لاجلها

— الدكتور لام المفتش لم يأت الى

المدرسة بعد مع اني خاطبته تلفونياً اني

ذهاب اليها واوعزت اليه أن يلاقيني فيها

قبل هذا الميعاد

— ماذا تعني ؟

— اعني أن الدكتور لام يقع تحت

الشبهة

في نصف دقيقة كان الشارع أمام
المدرسة خالياً من الناس وفي نصف دقيقة
أخرى كثر فيه الناس وتراكم طلبة
المدرسة ليروا ما الخبر

أما دانلوب فلما علم انه سليم وان

الحادث انقضى على سلامة أسرع ودخل

الى المدرسة وأشار الى الطلبة ان يرتدوا .

فارتدوا لان اسم دانلوب وحده كان مدفعاً

يدوخ كل مدارس القطر

واستقبله ناظر المدرسة وبعض

أساتذتها وسألوه : ما الخبر ؟ وماذا

حدث ؟ ما هذا الصوت ؟

وكان جبينه مقطباً وقد أشد تجهمه

فلم يجب على اسئلتهم ا بل سأهم : هل

جاء الدكتور لام ؟

فاجابه الناظر ؟ كلا ياسيدي . لم يأت

بعد . ينتظر ان يأتي بعد هنيهة

— يجب أن يقف الاساتذة وضابط

المدرسة أمام الباب ويمنعوا مرور أحد .

نفذ أمري حالا

وأسرع دانلوب الى غرفة الناظر كما

أسرع هذا لتنفيذ امر دانلوب . ثم

أقبل دانلوب الباب وتقدم تواء الى التلفون

وطلب مخاطبة الوكالة البريطانية وجرى

على سلك التلفون الحديث التالي :

— نخامة اللورد كرومر . أنا دانلوب

— ماذا رأيت في المدرسة ا

— مكيدة هائلة

— ماذا ؟

— هذه منوط بنتيجة التحقيق الخاص

— اذاً . ماذا تأمر ان أفعل ؟

— افض شغلك في المدرسة وتحقق

ما أمكنك سبب التمرد وتوعد الطلبة

بشدة والى شيئاً من المسؤولية على الاساتذة

ثم تعال الى هنا

— سمعاً

— مهلاً .

— نعم سيدي

— متى جاء المفتش لامدعه يكلمني تلفونياً

وخرج المستر دانلوب من غرفة الناظر

وأسرع حالا الى أمام باب المدرسة فرأى

ضابط المدرسة وأساتذتها والحوذي

يجمعون الناس المتجمعين وقد انضم اليهم

بعض الشرطة . وتقدم الى حيث ارشده

الحوذي الى مكان اتجار القبلة ، فرأى

آثار اضطدامها وبعض شظاياها فلم يفهم

اتجاه نزولها . وجمع ما تيسر من شظاياها

وأوعز لحوذيه أن ينتظر أمام باب المدرسة

والى الاساتذة ان يعودوا والى الشرطين

اللذين كانا هناك ان يمتعا تجمهر السابلة

ويؤذنا بمرور الناس .

ثم امر باجتماع الطلبة في رحبة المدرسة

الكبرى واجتمع الناظر والاساتذة من

حوله . وقال : لا تنتظروا أن تسمعوا

مني أكثر من بضع كلمات : من لا يدخل

الى قاعة الامتحان الشفهي الآن يكون

مطروداً من جميع مدارس الحكومة

ويخضع لقانون التحقيق ويكون عرضة

للعقاب اذا ثبتت عليه تهمة التحريض

على التمرد أو الاشتراك به

ثم ادار ظهره واتجه الى غرفة الناظر

فسمع صوتاً يقول عريضتنا . عريضتنا

قالتفت وقال : لا أقبل عرائض ولا

ارد على عرائض . اني أعرف الناس

بصلاحية النظامات المفروضة ولا أقبل

مناقشة باوامري

ودخل الى غرفة الناظر وتبعه هذا .

فقال دانلوب : ابحث عن الطالب الذي تكلم

الآن وذكر العريضة . وقدم لي تقريراً

عن تفاصيل سلوكه . وجاوبني بعد ربع ساعة

ماذا كانت نتيجة انذاري

بعد عشر دقائق عاد الناظر وابلغ المستر

دانلوب ان جميع الطلبة دخلوا الى بهو

الامتحان صاغرين ولم يتخلف احد منهم

وانه عرف الطالب الذي تكلم وسيقدم

تقريراً عنه

— اذاً بعد ربع ساعة تعود الى وتخبرني

ماذا كان من سلوك الطلبة . كن شديداً

عنيفاً . لا تساهل البتة بشيء . شدد التفكير

على الاساتذة

بعد ربع ساعة عاد الناظر وابلغ دانلوب

ان كل شيء جار في مجراه الطبيعي . لقد

قمع التمرد

وعند ذلك اوصى دانلوب ناظر

المدرسة ان يقول للمفتش الدكتور لام

منها شيئاً فلم ينجح . هالك التليفون يرن
وضع كرومر سماعة التليفون على اذنه
وتكلم : من ؟ الدكتور لام ؟ ...

اني انتظرك هنا . تعال بلا ابطاء
ورد كرومر السماعة الى مكانها وقال
لدانلوب : ارو الحديث من اوله الى آخره
وجعل دانلوب يروي حكايته وكرومر
يسمعها الى ان انتهت . فوصلها دانلوب
بالتفسير قائلاً : عندي ظن تسعين في
المئة ان الدكتور لام شريك الجاني او
الجناة بالجناية ، لان تأخره عن الميعاد اكثر
من ثلثي الساعة بل نحو الساعة تقريباً
يدل على انه عالم بالاستعداد لحدوث
الجريمة

فابتسم كرومر وقال : ذلك ممكن
عشرة بالمئة فقط . فهل عندك ادلة اخرى ؟
— لم يبق شك ولا ريب في ان الدكتور
لام يحض الطلبة على التمرد

— ليس اكثر من عشرين او ثلاثين
بالمئة من صحة هذه الادلة على هذا القول
— بل مئة في المئة لان ثلاثة من
الطلبة الذين نثق بهم لحسن سلوكهم اتفقت
اقوالهم على ان الدكتور لام كان يقول
للمتدربين : « امامكم باب الاحتجاج
فاحتجوا وايدوا احتجاجكم باتحادكم »

فتبسم كرومر وقال : ان هؤلاء الثلاثة
الذين تستشهد بهم اكذب الطلبة
— عجباً يا جناب اللورد

متى جاء ان يلتفتن لسعادة اللورد كرومر .
ثم خرج وركب مركبته واسرع الى قصر
الدوارة ودخل توأ الى مكتب اللورد
كرومر فاستقبله هذا باسمها وقال : صار
المصريون يحسنون تقديم الهدايا يا دانلوب
فان خدمة بضعة عشر عاماً في المعارف
تستحق قنبلة . فهل ترفض هدية كهذه
— لا اهاب يا جناب اللورد القنابل
حتى القتالة ...

— اذاً ابقى مديراً للمعارف الى ان تحصل
على وسام القنبلة الثانية . يزداد معاشك
عشرين جنيتها في الشهر فضلاً عن زيادة
العلاوات ايضاً . فهل تلعن القنابل
فضحك دانلوب - (وما رأى احد
دانلوب يضحك غير اللورد كرومر) :
بل اباركها . ان قنابل المصريين ذهب
مصطفى

— اخبرني الآن ماذا حدث في
المدرسة منذ وصلت اليها الى ان اتيت منها
— قبل كل شيء أقول لم يصل الدكتور
لام الى المدرسة حتى الآن
— لا بد ان يصل الآن او قارب ان
يصل

— يلوح لي ان عند سعادتك علماً عنه
— نعم منذ عشر دقائق تلقن لي ناظر
المدرسة ان سيدة ، لا يدري ان كانت
انكليزية او غير انكليزية ، تلفنت له
ان الدكتور لام تأخر قليلاً ولكنه
سيصل قريباً . وحاول الناظر ان يستفهم

« يكرس » كل يوم الف وطني ويزود

الف وطني بالجرأة والحماسة

فدهش دالوب لحديث كرومر هذا

وقال : يا لله اهذه عقيدتك بمصطفى كامل

— نعم . وهي عقيدتي بالشعب المصري .

تباً لمصطفى من محرض على الفتنة . من

ابن نبت هذا الثقيل ؟

— نحن انبتناه وانت اول من سقى

غرسه

— كيف ؟

— شدة ضغطنا فجرت عواطفه

وعواطف امثاله . فتكوّن الحزب الوطني

في معملنا السياسي

— عجباً اذاً لقد اخطأنا في سياستنا

الماضية

— كلا . لم يكن في الامكان ابدع

مما كان

— ان كلامك يا جناب اللورد متناقض

يحتاج الى تفسير . ماذا كان يجب ان

نفعل في الماضي وما علينا ان نفعل الان ؟

— لم يكن في وسعنا ان نفعل غير ما

فعلنا وايس علينا ان نفعل غير ما نحن فاعلون

— اتنا نضغط ونشدد النكير . وتقول

جنابك ان الضغط يفجر العواطف . فهل

نتراخي

— كلا بل نستمر في خطتنا . فما نحن

الا كسد اصوان ، نصد السيول العزيمة من

عواطف الشعب المصري ما استطعنا ان

نصدها ، حتى متى امتلأ الخزان تدفقت

— لا تعجب . قد يكون هؤلاء الوشاة

في مقدمة المحرضين

— غريب ظنك ياسيدي

— بل غريب ان لا تفهم الى الآن اخلاق

الشعب المصري . فانه اكظم الناس للالم .

واكثرهم صبراً واحتمالاً . فاذا آلمته وسأله

هل انت متألم ؟ ابتم وقال : لا . . ان

ظهور الرضى ممن يخفون حولنا من المصريين

يخدعنا . نحن لا نرى الا الرضى . ولكن

السيخط ومرارة النفس لا نراها ، لان

هذا الشعب كثير الاحتمال قليل التذمر

فهؤلاء الذين تثق بهم وبشهاداتهم يضلونك .

اذا شئت ان تعرف الحقيقة فاسمعها من

فم ذلك الجريء الذي قال « عريضتنا .

عريضتنا » . لست اعبأ بوشايات الواشين

وسعاياتهم لانها مضللة وانما احسب حسابا

لصراحة الجريئين

— اذا يجب ان نكم افواه هؤلاء

الجريئين ونضرب على رؤوسهم

— بالعكس يجب ان تعلم الحقائق من

من هؤلاء . ان نفسية الشعب المصري

الآن تبرز في سلوك هؤلاء الذين نقول

انهم وقحون

— ان هؤلاء نادرون جداً ياسيدي

اللورد فاذا ضربنا على رؤوسهم تلافينا

فتنتهم

فضحك كرومر وقال : لا لا . لا

تظنهم قلالا . ان مصطفى كامل (باشا)

— عجباً

— ليس من عجب. لو قبضنا على الجاني
لشنقناه في الحال عبرة لغيره. وانما اذا كنا
نحقق ونبحث عنه ونملاً الدنيا طنطنة
واخيراً لا نجده فنكون قد انكسرنا امام
الحادث. كذلك اذا امسكنا شخصاً أو
اشخاصاً يخلون بالنظام فعلاً عاقبتهم
وجعلناهم عبرة. ولكن الحزب الوطني
يصيح ويصخب فندعه غير مكترئين به
ولا معترفين بوجوده. هل رأيت في
تقرير السنوي ذكراً للحزب الوطني؟

— لا

— ولكن لو ذكرت الحزب الوطني
مرة واحدة اشعر الشعب المصري باهمية
وجوده. فالتجاهله حتى أوهمه انه عديم
الاهمية والتأثير

— ولكني أرى ان الحزب الوطني
بقيادة مصطفى باشا كامل يكاد يصبح قوة
يا سمادة اللورد. واخاف ان نندم اخيراً
على سكوتنا عنه

— ماذا ترى ان تفعل به

— نأمر بحله واذا بقي مصطفى كامل
يحض امته للانضمام تحت لوائه ننفيه.
فضحك اللورد كرومر وقال: لو فعلنا
كما تقول لكان الذين لا يزالون الى الآن
يحسبون الحزب الوطني كلاماً فارغاً يهينون
من رقادهم ويقولون في انفسهم: «اي والله
لو لم يكن الحزب الوطني شيئاً مذكوراً

تلك السيول ولا حيلة لنا. فوظيفتنا الآن
ان نرفع هذا السد ثم ان نفتح من بواباته
ما لا يضرنا فيضان الجرى بعده. والغرض
ان نؤجل ما استطعنا فيضان الجرى. واعني
يجري العواطف. ولكن لا بد ان يأتي
يوم لا نعود فيه نستطيع ان نصد السيول
ولا بد ان تتدفق من فوق سدنا ويفيض
الجرى ويجرف كل ما في سبيله. فوظيفتنا
اصبحت تأجيل ذلك اليوم ما امكنا تأجيله
ففكر دالوب هنية ثم قال: اذا رأيك
ان تنساهل قليلاً لكي تخفف ضغط سيل
العواطف على سدنا

— كلا كلا البتة. لا تنساهل بل بالعكس
يجب ان نستعمل الشدة كلما رأينا تمرداً
كما اننا بنى الثلمة في السد بناء متيناً كلما
تلم فيه الضغط الثمة. وانما نفتح البوابة
لنخفف الضغط. الا ترى الفرق بين ان
ندع الماء يتدفق من الثلمة التي ثلمها وبين
ان ندعه يتدفق من البوابة التي فتحناها
نحن باختيارنا؟

— ما الفرق

— الفرق ان الماء الذي يتدفق من
الثلمة يزيد اتساعاً ولكن الماء المتدفق
من البوابة لا يوسعها

— اذا رأيك

— رأيي مثلاً ان نشدد النكير على
الطلبة حتى يرضخوا لاوامرنا. وانما
لا نبالي في حادثة القنبلة

وقوة لا يستهان بها لما كان الانكليز يحلونهم
وينفون زعيمه. اذاً فلتتحد بالحزب الوطني»
وفي الاسبوع الذي يبرح فيه مصطفى باشا
كامل منفياً من مصر يتضخم الحزب
الوطني ويكبر ويعظم عشرين ضعفاً فيما
لو تركناه ينمو بنفسه. ان اضطررنا للحزب
الوطني كالحامض الذي تعصره في الحليب
فيخثر الحليب به في لحظة. فدع الحليب
يخثر بالخمر على مهله. ان وظيفتنا اتخاذ كل
الوسائل لتكوين الحزب الوطني بكل
ما يمكن من الابطاء، لان هذا الحزب
متكون على كل حال لا محالة، وليس
من قوة تستطيع قتله وكل مقاومة له
بالقوة تعجل تكويته

فذهل دانيالوب لحديث اللورد كرومر
هذا وامتنع لونه كانه انذار بمصيبة وقال:
اذاً نحن مقبلون على ...

... على صدام مع المصريين؟ نعم
نعم وبراعتنا تكون في تأجيل هذا الصدام
ما أمكن. كذا يجب أن تكون قاعدة
سياستنا. الشدة حيث لا بد منها والتجاهل
والتغاضي حيث لا ضرر منهما

— ولكن الا ترى ان حرية الجرائد...
فرفع كرومر يده وقال: لا. لا تجيء
الى جهة الجرائد. هي اللسان الوحيد الذي
يفصح لنا عن مبالغ استعداد الامة الوطني
والكاشف الذي يكشف لنا مبالغ قوتها.

فدع الجرائد تتكلم ما تشاء. ودعنا نوهما
ان كلامهما كالرياح على الصخر. ولكن
متى جعلنا نكم افواهها اخذ المصريون
يستضعفوننا ويفهمون اننا نحسب لصخبهم
حساباً فيزيدون الصخب والصراخ
والضجيج في كل مكان

فتنهذ دانيالوب وقال عجيبة هي أفكارك
يا جناب اللورد

— ليست عجيبة يا مستر دانيالوب.
الاحتمال والصبر والجلد ادخار للقوة أي
هي عدم اسراف في القوة. فالامة الصبور
خزان للقوة فاذا أخرجتها أصدرت قوة
عظيمة طويلة المدد. وكل امة فيها حياة
وقوة. فاذا جعلت تنازعها حياتها استخدمت
قوتها للحرص على بقائها. ولذلك أحسب
حساباً لقوة الامة المصرية أكثر مما
أحسب لقوة أي أمة اوربية لان الامة
الاوربية كثيرة الاسراف بقوتها. وهذه
كثيرة الاحتفاظ بها

عند ذلك أقبل الخادم يقول: قدم
الدكتور لام

فقال اللورد كرومر: دعني الان اقابل
هذا الشاب الالهوج اعلي أصلح من أمره
وأما انت فاستمر في سياستك مشدداً من
جهة ومتساهلاً من جهة
وخرج دانيالوب. ثم دخل لام

الفصل الثامن عشر

الكتاب القديم صار جديداً

— لقد ابغني اياه ناظر المدرسة فلعله اختلقه

— لا اعتقد ان الناظر يحسر ان يبلغ جناب اللورد حكاية هو اختلقها .
فالحكاية في ظني صحيحة . ولكني لا اعرف سيدة تجسر ان تتكلم بلساني أو تنوب عني

— لا ادري . هذا ما حدث . وانت تستطيع ان تتحقق حقيقة الحادثة . وما قولك بحادثة القنبلة ؟

فازداد الدكتور استغراباً وقال : ماهي حادثة القنبلة ؟

— اما دخلت الى المدرسة ؟

— أنا آت من هناك الان

— اما ابغك احد حكاية القنبلة ؟

— لا . دخلت فقابلني الناظر وقال لي ان جناب اللورد يريد ان تكلمه بالتليفون فتكلمت في الحال ثم اتيت توأ

وروى له اللورد حكاية القنبلة كما سمعها من لسان المستر دانلوب والدكتور لام يستغرب ويدهش ويقول : لم أعلم بها ولا كانت لي فرصة حتى اسمعها من أحد في المدرسة

— ما رأيك في سببها ؟ وهل تنهم أحداً ؟

وجلس الدكتور لام مفتش المعارف لدى اللورد كرومر وهو يتفرس في وجهه كأنه يستجلي بواطنه . ولكن رجلاً مثل كرومر لا يستطيع لام ولا ميم ولا كل حروف الهجاء ان تستجلي شيئاً من بواطنه

ثم نظر فيه كرومر نظرة ساذجة وهي نظرة الدهاء عند الساسة وسأله : لقد تأخرت عن الميعاد الذي ضربته المستر دانلوب للقاء في المدرسة

— اضطررت لذلك اضطراراً

— لعل السيدة التي اعتذرت عن تأخرك آخر دقيقة كانت سببه ؟

فاختلج الدكتور لام وقال : لم اجتمع بسيدة اليوم قط

— عجباً ! اذاً كيف تعلم احدي السيدات انك تأخرت عن موعدك وتخبر ناظر المدرسة تليفونياً معذرة عنك وتقول انك قادم . وبعد عشر دقائق تدخل المدرسة

فاندهش الدكتور لام وما خفيت دهشته على اللورد كرومر النقاد وقال : لو كان احد غير جناب اللورد يقول هذا القول لكنت احسبه مختلقاً

بارغامهم على الرضوخ الامتحان مها
كان صعباً

— ولو لم تحضهم على تقديم عريضة
الاحتجاج ما افضي الامر الى تمردهم
فانت مسؤول عنه. هل من وظيفتك أن
تقول لهم ما قلت ؟

— كذا رأيت لانهم تدمروا من عقم
اسئلة الامتحان لي وتشكوا منها فسمعت
شكواهم ووجدتها حقاً. فعرضت الامر
على المستر دانلوب بيبي وبينه فلم يشأ أن
يسمع. ولما عادوا يشكون لي قلت لهم
قدموا عريضة احتجاج

— لا أرى سبباً يسوغ لك هذا القول
ولا أجد لك فيه عذراً

— عجباً يا جناب اللورد. لقد فحصت
اسئلة الامتحان جيداً. فإذا هي معجزات
كانه يراد بها اسقاط الطلبة في الامتحان
حتماً. انها اسئلة ما انزل الله بها من سلطان.
لو سألتها وأنا دكتور في الفلسفة واعرف
كل العلوم التي تدرس في مدارس الحكومة
عشرة اضعاف المعرفة المطلوبة من طلبة
المدارس واعرف العربية الآن كاساتذها
— لو سألتني تلك الاسئلة المختلفة من علمية
واعرفية لاستحال علي ان أجاب عليها
ما لم تضعني في مكتبة مستوفية وتسمح
لي أن أراجع الى كل كتاب اريده —
فلما اطلع الطلبة على أول قسم منها تدمروا
وشكوا. وضميري لم يسمح ان أرد

ففكر الدكتور لام برهة ثم قال :
لا أقدر ان اتهم أحداً يا جناب اللورد.
ولكن هل تعتقد جنابك ان المقصود منها
اغتيال جناب المستر دانلوب

— كذا تدل الظواهر. وكذا نظن
الى ان تبدو دلائل أخرى تغير هذا
الظن ؟ هل تعرف أحداً من الطلبة يمكن
أن يكون شريكاً بهذه الجناية أو صاحبها
— لا أعرف كل الطلبة يا جناب اللورد
والذين أعرفهم لا أقدر أن اتهم أحداً
منهم

— ألا تظن أن سبب هذه الجناية متصل
بسبب تمرد الطلبة

— ربما كان الامر كذلك. لا اجزم
— ألا تظن ان الطلبة تمردوا لانك
سوغت لهم تمردهم

فاجفل الدكتور لام وقال: انا ؟ كيف
ذلك يا سيدي

— أما قلت لهم. اذ كنتم تستصعبون
الامتحان فاحتجوا

— قلت لهم ذلك وزدت عليه. ويجب
ان تتحدوا في الاحتجاج

— حسناً أني شاكر صراحتك. الا
تعلم أن هذا القول يفضي الى التمرد

— لا لم يتمردوا لهذا القول يا جناب
اللورد بل تمردوا لانهم قدموا عريضة
يتظلمون فيها. فبدلاً من أن تقبل
عريضتهم ويجاوبوا عليها وردت الاوامر

شكاويهم لان الامتحان على هذا النحو لا يمكن أن يبرهن على استحقاق المستحق منهم بتاتاً فما هو الا تعجيز لهم فتجهم اللورد كرومر وقال : ولكن ضميرك ليس مسؤولاً عن صواب اسئلة الامتحان وعدمه . ولا عن الغرض المقصود من الامتحان — ولكن وظيفتي التفتيش في مدارس الحكومة ومن حقي ان انظر في كيفية التدريس والامتحان للتوصل الى النتيجة المقصودة من التعليم في القطر المصري — لا . لا است مسئولاً عن نتيجة التعليم في القطر المصري بل عن تنفيذ قوانين التعليم الموضوعة له — ولكن هذه القوانين عسوفة — ليس هذا شأنك — تعني يا جناب اللورد انك عالم ان اسلوب التعليم في مصر عقيم جداً — ليس شأنك ماذا اعلم — فتجهم الدكتور لام وقال : بلى هو شأني . لاني لا أريد ان اكون آلة لتنفيذ قوانين جائرة . انتم تريدون أن تحاربوا التعليم في مصر فلا أريد ان اكون الجندي القاتل الذي تدفعونه لساحة القتال فنظر فيه اللورد كرومر نظرة غيظ وقال : ويلك ما أحد قبلك جسر أن يقول مثل هذا الكلام أمامي . جميع الموظفين البريطانيين هنا يتولون وظائفهم حسب

تعليماني من غير اعتراض — لانهم يستسلمون ان يكونوا آلات في معمل السياسة البريطانية المصرية . أما أنا فلا ولا سيما اذا كانت هذه السياسة غير حق . اني اسمع تدمراً كثيراً في مصالح الحكومة . فلا بد ان كلها تكون جارية على نفس الخطة الاستبدادية التي أراها في مصلحة المعارف العمومية . ان هذه الخطة يا جناب اللورد تخالف روح العدل البريطانية وهي استبداد بامة لها جميع حقوق البشر الطبيعية فازداد اللورد تجهماً وقال : انك لاجهل كثيراً من أن تستطيع تفسير العدل البريطاني . خفي لك ان تقصر عن هذا الحديث بتاتاً . ولولم اكن موثى بك من قبل مقام عال لكنت الآن آمرُك ان تركب أول باخرة عائدة الى انكلترا . فاحتراماً للمقام السامي الذي اوصاني بك انصح لك ان تستمر في عملك بلا اعتراض وان تقنع عن هذه الاقوال المهيجّة الضارة لانك لا تفهم شيئاً من عقلية الشعب الذي تقم بينه وتشتغل معه . فاذا كنت تحترم المقام الموصي بك فاسمع نصحي وارضخ لامري فاستغرب الدكتور لام هذا الكلام وقال : اني احترم كل مقام سام ولكني لا اعرف مقاماً سامياً اوصى بي ولا انا في حاجة الى توصية أحد لان معارفي ومبادئ القومية كفيلة بكفائي لوظيفتي .

رواية من عرابي الى زغلول

٩٧

فلا أستطيع أن أحترم مقاماً سامياً واحترق ضميري .

فاستغرب اللورد كرومر أيضاً كلامه وسأله : أما انت الدكتور ... جايمس لام ؟
— بلى أنا هو واستاذي الدكتور جيروم و ...

— اذاً أما سمعت لدى سمو الدوق ...
— كلام أسع لدى أحد . واني استغرب أن تقول لي أنك عينتي في وظيفتي بناء على توصية من مقام عال

فازداد اللورد استغراباً ثم قال : لملي أنا مخطيء سأراجع أوراقاً ... ومهما يكن الامر فاني أنصح لك أن تصمت صمتاً تاماً عن كل ما تظنه مخالفاً لرأيك لأن الادارة البريطانية هنا ليست متوقفة على أفكار موظفين مثلك

— وأنا أقول لك بكل صراحة يا جناب اللورد اني لا أستطيع الصمت حيث يحرجني ضميري للكلام

— اذا كنت لا تعدل رأيك هذا ولا تعدل عن عنادك في برهة أسبوع فاستعد للرحيل من مصر

فغطيظ الدكتور لام وقال : تستطيع أن تعزلي من وظيفتي ولكن بأي سلطان تكلمني هكذا وبأي قانون تلزميني أن أرحل من مصر ؟

— بسلطاني وقانوني

— ليس في انجلترا سلطة لفرد ولا قانون يصدر من فرد

— اعلم انك انت في انكلترا
— أعلم اني في مصر وأنت فيها أيضاً
والكنك تستمد سلطتك من انكلترا أيضاً فوقفت كرومر متغيظاً شديد التغيط وقال : الزم بيتك الآن وانتظر أوامري وخرج كرومر لسكي يختصر هذا الجدل الذي حسبته افتشاشاً على سلطته .
وأما الدكتور لام فخرج متهيجاً شديد التهيج الى حيث لا يدري .

بالطبع فهم القاريء ان الدكتور (في الفلسفة) لام هو جايمس لام أو جميل الذي قذفه المقادير الى انكلترا ثم ردت منه من انكلترا الى مصر بعد أن درس العربية جيداً . وطالب وظيفة في مصر فتعين في بدء الامر ناظراً لمدرسة فيها . ثم مالبث أن ترقى الى وظيفة مفتش . بقي للقاريء أن يعرف ما حدث له قبل مناقشة اللورد كرومر

وفي ذلك النهار جرى حديث تلفوني بينه وبين المستر دانلوب مدير المعارف وسيدها وأميرها يلحاً كما المطلق بشأن تمرد الطلبة الذي تقدم ذكره وانفقاً على أن يلتقيا في المدرسة الساعة التاسعة صباحاً

قبل جميلة بلا ريب ، ويمكن أن يكون من قبل أبيها لأن أباهما استلمه حينئذ . فهل لم يصدق أبوها أنه من دورا بنت الدكتور جيروم هدية لبنته جميلة حتى رام أن يردّه لي اليوم . ولماذا المقابلة ؟

هذا ما جال في ضمير جايّس لام حينئذ . وسواء كانت هي أو كان أبوها موافقاً له إلى الجزيرة فلا بد من الذهاب لمقابلة مرسل الكتاب أياً كان ومهما كان غرضه

ومنذ برحت جميلة لندن عقد جايّس النية على أن يدرس العربية جيداً ويطلب وظيفة في مصر بغية أن يمهّد السبيل للاتصال بها . وقد بذل جهده قبل مجيئه أن يعلم عنوان أبيها أو اسمه كاملاً فلم يستطع . فدورا لم تعرف جميلة بلقب أو كنية غير « المصرية » ومسز برون التي كانت جميلة مقيمة عندها أخذت منزلها ولم يعد يعرف عنوانها لكي يسألها عن عنوان جميلة . والخطاب الذي أرسله له علي سيف أبو جميله وفيه أمضائه فقد منه منذ زار سنغ قند . فلعل سنغ أو غير سنغ أخذه منه والله أعلم . وهكذا جاء مصر متكللاً على المقادير أن تجمعهم بجميلة . ولكن كيف يتسنى له ذلك والسيدات هنا محصنات وهو لا يعرف مقرها ولا مصبرها حتى ولا اسمها كاملاً . فلذلك قضى نحو عامين أو ثلاثة وهو يسأل ولكن بغير الحاح دفعاً

للنظر في الأمر والتعاون على قمع التمرد . والحقيقة إن دالموب علم أن سلوك الدكتور لام مع الطلبة خطر يفضي إلى التمرد فرام أن يؤنبه وأن يضع حداً لهذا التصرف

وخرج الدكتور لام من منزله قبل الساعة التاسعة فاستقبله فتى وطنياً يلبس قفطاناً وطربوشاً وقدم له كتاباً وقال : هل تعرف جنابك هذا الكتاب ؟

فتناول الدكتور لام الكتاب وفتحه وقلب صفحاته مستغرباً وهو يقول : ماذا تعني يا هذا ؟ ما هذا الكتاب ؟

فقال الفتى : أما رأيت هذا الكتاب من قبل ؟

فازداد الدكتور لام استغراباً وهو يقلب الكتاب إلى أن وقعت عينه على كتابة في أوله . فانتفض اذ تذكر أنه كتب تلك الكلمات بخط يده يوم كان يودع جميلة المصرية في المحطة من بعيد . وقال باهتة : نعم أعرف هذا الكتاب . فماذا تريد أن تقول ؟

— ان صاحب هذا الكتاب يوافقك الآن إلى الجزيرة فتجده في مركبة في القسم الشرقي الجنوبي منها

— حاضر

ومضى الفتى كأن مهمته انقضت . وأما الدكتور لام فتبقت شجونه النائمة وصحت عواطفه السكرانة . هذا الكتاب آت من

وان يطوف حول الحديقة الجنوبية مرة
اخرى ، ففعل الحوذني . ولكن الدكتور
لام لم ير احداً . فضاقت ذرعه وقال في نفسه

لعل مرسل الكتاب مداعب

ولكن لا . تظل نفس العاشق آملّة
طامعة . فأمر الحوذني ان ينطلق في الشارع
المؤدي الى قصر الجزيرة . فما تمادى فيه حتى

قال في نفسه . « الطريق طويل ومضيق
لوقت . فالأفضل ان اعود الى المكان المعين »
فأمر الحوذني ان يعود ، فعاد فصادف مركبة

آتية من جهة كبري قصر النيل ومنطقة
في الشارع القاطع لشارعه . فأوعز للحوذني
ان يمجل ويتجه الى ذلك الشارع

وكان الدكتور لام لا يزال الكتاب في
يده فامسكه بأسلوب يظهر به جيداً لمن يكون
في المركبة كدليل عليه

وما كان اشد فشله حين رأى في المركبة
رجلاً لا يمكن ان يكون ابا جميله لانه اصغر
منه سناً . فتركه وطاف حول الحديقة الشرقية

مرة اخرى ولكن بلا جدوى فما شاهد
مركبة حريم ولا سيدة وطنية في مركبة .
فعاد خائباً وقال في نفسه : لعل مرسل

الكتاب مداعب

وأمر الحوذني ان يعود من حيث أتى
ولكنه ما أقبل على مدخل الكبري (الجسر)
حتى رأى مركبة مقفلة كمركبات الحريم

للشبهة فلم يستفد شيئاً . فكاد يمل ويسلوها
لولا يوافيه هذا الكتاب التذكاري الذي
جدد غرامه

ولكن من ارسل اليه الكتاب . لم
يترك له الرسول متسعاً من الوقت للسؤال
لأن وصول هذا الكتاب اليه فجأة شغل
باله عن السؤال

هل يمكن أن جميلة أرسلت الكتاب ؟
يمكن أن يكون ابوها مرسله . ويمكن أن
يكون غيره ايضاً .

مهما يكن الامر تحب عليه موافاة مرسل
الكتاب لكي يعلم من هو وما غرضه .
فركب المركبة وأمر الحوذني ان يتجه الى

الجزيرة . وجعل فؤاده يرقص بين ضلوعه
لأنه كان يتوقع ان يرى جميلة هناك .
ليس غير جميله تطلب مقابلته بهذا الاسلوب

وترسل الكتاب علامة أو دليلاً

وكان ديب الجوادين يتفق مع ديب
الهواجس في لبه وتدفق الدم في قلبه
وشرايينه . وفي بضع دقائق دخلت المركبة

الى الجزيرة فأوعز للحوذني ان يطوف في
القسم الجنوبي الشرقي منها . فطاف ولكن
الدكتور لام لم ير احد يشبه به . بالطبع

اذا كانت جميله توافيه فلا بد ان تكون
في مركبة . فلم يلاق مركبة فيها حريم
فأمر الحوذني ان يرتد عاكساً اتجاهه

خروجه من عند كرومر السيدة التي كملت ناظر المدرسة تلفونيا واعتذرت عن تأخر الدكتور لام المفتش عن الحضور وقالت انه سيحضر بعد بقليل . وهو لم ير سيدة قط . لا ريب ان الحاطر الذي يرجح عنده هو ان جميلة هي التي تلفت للناظر وهي التي ارسلت الكتاب . ولكن لماذا لم توافه في الميعاد الذي عينته للقاء ؟ لعل الظروف قاومتها

المستقبل كشف الاسرار . ولكن جايمس لا يستطيع انتظار المستقبل بعد . وقد ازدحم ماضيه بالاسرار وكل يوم يضاف الى طامور اسراره سر جديد .

اللورد كرومر اخبره ان مقاماً عالياً في انكلترا أوصى به . وهو لم يطلب توصية من أي مقام لا عال ولا واطي . فمن هو ذو المقام العالي الذي أوصى به ؟ ولماذا لم يسأل اللورد كرومر عن هذا المقام العالي ؟ لانه كان متعجباً حينئذ وخاف ان سؤاله يمضي بلا جواب

وهكذا كان جايمس في الساعة الحادية عشر من ذلك النهار مركزاً لثلاثة اسرار جديدة دخلت في تاريخ حياته : (١) مرسل الكتاب (٢) السيدة التي خاطبت الناظر بالتليفون (٣) ذو المقام العالي الموصي به

داخلة الى الكبرى فأوعز للحوذي أن يعجل في لحاقها . ففعل الحوذي وما استطاع ادراكها الا بعد أن تجاوز الكبرى وأصبح في الساحة أمام قصر النيل وما استطاع أن يشاهد فيها سوى خيال سيدتين مقنعتين وهو يتلاعب بالكتاب بين يديه

فهل كانت جميلة في المركبة ؟ الله أعلم : ثم التفت فاذا المركبة قد اتجهت الى طريق آخر فأوعز الى الحوذي أن يسير في ذلك الطريق . ثم عطفت المركبة في طريق آخر فحجل جايمس لام الدكتور في الفلسفة والمفتش في المعارف أن يظل متعقباً مركبة الحريم . ولذلك استمر في طريقه الى المدرسة ونظر الى ساعته فاذا نحو ٤٥ دقيقة مضت على الميعاد . فراحت السكره وجاءت الفكرة . بماذا يعتذر للمستردانلوب ؟

مادخل الى المدرسة حتى استقبله الناظر وقال له . ان اللورد كرومر ينتظره الان في دار الوكالة

— هل جاء المستردانلوب ؟

— نعم جاء وراح : والتلامذة رضخوا فاسرع الى قصر الدوبارة حيث توجد دار الوكالة البريطانية وقابل اللورد كرومر وتناقشا كما علم القاريء

أول خاطر خطر للدكتور لام بعد

الفصل السادس عشر

المرل الانكليزي

المدارس والجامعات لا تفني عن تربية
الابوين . اني يابني اعاملك بكل حلم : أولاً
رأفة بك ، وثانياً احتراماً للمقام العالي
الموصي بك . فاذا كنت قد ندمت على ما
فرط منك امس ...

فقاطعه قائلاً : —

— ماذا فعلت أمس ؟

— لا أقبل مناقشة لقد فهمت معنى
مخالفتك لرغائبي . فاذا كنت قد ندمت
وعدت عن سلوكك

— حلاًماً يا جناب اللورد . أود ان تعلم
خلاقاً من اخلاقي لم تعرفه بعد ، وهو اني
قليل الندم وقليل العدول عن مناهجي .
لست ممن يعملون لاقبل نسمة

— كفى . كفى . لا تطل فانا ممن
يفهمون من النسيم . فقد فهمت كل اخلاقك
وبكل أسف أقول لك انك لا تجد جو
الجالية البريطانية في هذا القطر صالحاً لهذه
الاخلاق . فالأفضل أن تبتمد عن هذا
الجو لئلا تخفق اخلاقك فيه . متى تستطيع

أن تسافر من القطر المصري ؟

— لا أستطيع أن اسافر بتاتاً

في اليوم التالي ذهب الدكتور لام الى
مكتبه كالمعادة فوجد خطاباً له هناك ففضله
فاذا هو مذكرة صغيرة من المستر دانلوب
يطلب اليه فيها ان يخاطبه بالتليفون

فتناول بوق التليفون وخاطب دانلوب
فقال هذا له : انك ممنوع عن الاستمرار
في عملك منذ الآن . واذا شئت تفسيراً
نخاطب جناب اللورد فهو ينتظر ان نخاطبه
نخاطب الوكالة البريطانية فجاوبه اللورد
كرومر وسأله : هل أنت الدكتور جايمس
لام الذي ...

— نعم . لا ريب في شخصيتي

وهل تعرف الدكتور جيروم والدكتور
رولنسون و ...

— ... وكثيرين غيرها . وعندي

شهادات منها ومن كثيرين

— وعشت لطيفاً لا أب ولا أم

— نعم انا هو بعينه ابن المقادير والمربي

نفسه

وسمع جايمس تهديد اللورد وهو يقول :

كانه يكلم نفسه : عجباً . يظهر أن تربية

يناقش بعض الاعضاء في ذلك مستنكراً ما في تلك الادارة من العسف والغبن والاحجاف حتى صاروا يفتنون افكاره بالرغم من صوابها وعدالتها

وأخيراً صارت تكشف له بعض امور في تلك الادارة لم يكن يعتقد ان حكومة مها كان نوعها تسلم بها . فكان يظن انها مكتومة عن كبار رجال الادارة وعن اللورد كرومر . ولكن في الاونة الاخيرة صار يعلم انها غير خافية على احد فكان يزداد استغراباً

في ذلك الاسبوع — اسبوع الاستعداد للرحيل — قصد الدكتور لام الى نادي ترف كالعادة فالتقى هناك بزميل له يدعى المستر هايم مفتش في المعارف . وكان يعجبه في هذا الرجل خفة روحه ولطف بحونه وتودده . وانما كان يستنكر فيه عدم أهليته لوظيفته . وقد استغرب وجوده فيها بعد ان علم انه كان جندياً ميكانيكياً في الجيش . ولم يفهم كيف يترقى جندي ميكانيكي الى وظيفة مفتش في المدارس اذ لا علاقة بين فن الميكانيكات وفن التعليم . ولو كان هايم هذا في انكلترا لما استحق أن ينال ربيع او خمس ماهيته التي ينالها في مصر . فكيف صار مفتشاً للمدارس وهو يطمح الى وظيفة ناظر مدرسة عليا أو نحو ذلك

— عجباً لقد امهاتك امس اسبوعاً فلا اغير ميعادي . في مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم تبرح هذا القطر الى حيث تشاء

واقفل اللورد كرومر الحديث باعادة سماعه التلفون الى مكانها . وخرج جايمس من مكتبه شديد التغيظ والتمرمر من هذا التصرف الذي لاقاه

ان حادثة تمرد الطلبة بناء على كلمات قالها المفتش جايمس لام جعلت هذا الاسم مشهوراً لان الصحف تداولته والطلبة لفظوا به . وبالرغم من اختلاق اسباب كاذبة لحادثة القنبلة حتى يترأى للجمهور انها غير جنائية فقد تقول الناس وبعض الصحف بها

نادي «ترف كلوب» في القاهرة معروف انه نادي الموظفين والتجار والزلاء الانجليز يجتمعون فيه ويتحدثون في شؤونهم العمومية والخصوصية

وكان جايمس عضواً في النادي كسائر الموظفين وكان يحضر مجالسهم ويسمع مناقشاتهم السياسية المختلفة فكان يتمتع مما يراه من روح الاستثثار والاستعلاء والكبرياء في ادارة الحكومة، واحياناً كان

— لماذا ؟

— لاني اعترفت للورد بحقيقة الحادثة
فملا وهي اني نهت الطلبة للاحتجاج
لا للتمرد. وفي فلسفة اللورد ان الاحتجاج
افضى الى التمرد ولذلك اصبحت في نظره
محرصاً

— طبعاً يا اخي اذا كنت قد افهمت
الطلبة ان الاحتجاج امر جائز فقد فهموا
ايضاً ان الاضراب او الاعتصاب امر جائز
— لقد شكوا لي شكوى حق . فاذاً
اقول لهم ؟

فضحك مستر هايم وقال : ليس في
شكاوي المصريين مها كان نوعها مجال للقول
فاستغرب لام وقال : عجباً كيف ذلك ؟

— نعم . ماذا شكا الطلبة لك ؟

— شكوا ان اسئلة الامتحان معجزات
لا يقصد منها اختبار ما حصلوه من العلم
والمعرفة في الدراسة بل يقصد بها تعجيزهم
في الامتحان . وانا وجدت شكواهم في
محلها فاذاً تنتظر مني ان افول لهم ؟

— المسألة بسيطة تقول لهم : « هذه
اسئلة الامتحان وعليكم حلها ولا وجه
للاعتراض عليها . ومن يعترض يعد
ساقطاً في الامتحان » : كذا يجب ان
يساس الطلبة المصريون .

فلما التقى به هذه المرة في النادي رحب
به ذاك كمادته وقال : لقد ساء لي ماسمعت
يا دكتور لام . عسى ألا يكون صحيحاً
— ماذا سمعت ؟

— قيل لي أن بعضهم يتهمك بتجريض
الطلبة على التمرد ... وان لك يدأ ... في
حكاية القنبلة

فابتسم لام شامخاً وقال : وماذا سمعت
أيضاً ؟

فتردد هايم في الكلام وقال : وقيل
ان المستر دانلوب ... انذرك ...

— والورد عزلني . فاذا كانت وظيفتي
ترضيك فليس عليك الا ان توسط المستر
دانلوب

— معاذ الله ان اسعى الى ذلك يا عزيزي
لام . وانما اسعى الى ازالة ذات اليبين بينك
وبين المستر دانلوب . في امكاني ان افعل
بهذه المسألة اكثر مما تظن . وعلك لم تختبرني
بعد يا عزيزي لام

— شكراً جزيلاً لمروءتك . وانما
لا جدوى من التوسط

— مها يكن الامر قد فات فيمكن
التلافي . فدعنا نتفاوض بهذا الموضوع
ونقرر خطة

— لم يعد السعي والتوسط مفيدين
يا صاح

رجال السياسة يسوغ لهم الكذب . و....
— مع ذلك لا بحث في قصد السياسة

الانكليزية

وان كنت أعتقد أنه قصد غير شريف
فدعنا من غاية الاحتلال الانكليزي .
ولنتصر على الادارة الانكليزية في هذه
البلاد . فقد تولينا مصالحها . فعلينا أن
نديرها بالاستقامة والامانة كما يليق بامة
تدعي نشر المدنية

— أي نعم ونحن نديرها بامانة واستقامة
حسب مقتضى غرضنا من الاحتلال . ان
احتلالنا لمصر ضروري لنا لانها بوابة للشرق
أو مخفر طريقنا للهند على الاقل . وهذه
الضرورة توجب علينا أن نكون قابضين
على أزماتها تماما

— لا أبحث بهذه الغاية الاحتلالية لان
البحث فيها يطول . وانما أنا أبحث في مسألة
المعارف . نحن أقنأ أنفسنا أوصياء على
مصلحة المعارف في البلاد . فبدلاً من أن
نحسن المعارف رجعنا بها القهقري . لما
احتلنا مصر كان القراء فيها ١٢ بالمئة فاصبحوا
الآن ٥ بالمئة

— بل زاد الذين يقرأون في البلاد
وانما المعدل المثوي نقص لان السكان زادوا
جداً . تضاعفوا ضعفين أو ثلاثة
فهب الدكتور لام من مقعده وصاح :

فتململ لام وقال : لا اقدر ان اقول لهم
هكذا لان ضميري

فقمقه هايم وقال . ضميرك ؟ وهل
انت المسئول عن ادارة التعليم في مصر .
انت منفذ . فنفذ اوامر غيرك واترك
المسؤولية على ضمير غيرك

فتعيط الدكتور لام جداً وقال : لله منكم
انتم تريدون ان تكونوا آلات في معمل
الادارة الانكليزية في مصر فتقدرون
ان تكونوا كذلك . اما انا فلا اقدر
ولا اريد

فابتسم هايم وقال : كانك لا تدري
ما هو غرض الادارة الانكليزية في مصر
فتقول هذا القول

— بلى . ادري ان الغرض من الاحتلال
الانكليزي هو تدريب المصريين ان
يصلحوا انفسهم بانفسهم ثم نخلي البلاد
ونرحل

فقمقه هايم وقال : وي . وي ، انت
في واد ونحن في واد . هل يخطر لك
ذلك في بال ؟

— نعم لان دولتنا صرحت مراراً
تصريحات رسمية بهذا القول الذي قلته
الان . ولا اقدر ان اتصور ان دولة
بريطانيا العظمى لا تصدق في وعدها

— دولة انكلترا لا تكذب ولكن

فكأنك تقول لي ان مصلحة احتلالنا تقضي بأن نجعل المصريين مزارعين وفلاحين فقط — نعم نعم . قاربت تفهم روح السياسة الانكليزية في مصر

— وكذلك قضت بأن تكون مالية الحكومة عبدة للبنك الاهلي المصري . وقضت بأن

— نعم نعم . كل ماتراه من الاجحاف للمصريين ليس بالحقيقة اجحافاً بل هو انقاذ لمصالحنا من الخطر

فتهيج غضب لام وصاح : وبحكم يا هذا هل تريدون أن تقفوا في سبيل العلم والرفق ؟ وهل يحق لكم احتلال بلاد لانها في طريقكم الى الهند ؟ كان عليكم أن تدفعوا ثمن موازياً لمخفركم الذي انشأتموه في بلاد لحراسة طريقكم الى الهند . واي إله ملككم الهند وسوغ لكم أن تمتلكوا طريقكم اليه كملك الانسان المتاع ؟ وابن تنتهي حقوقكم للسيادة هذه اذا كان كلام ظفرتم ببلاد ادعيتهم حق امتلاك الطريق اليها وحق امتلاك البلاد المجاورة حتى تكون سياجاً لها فقد تحاولون غداً امتلاك سوريا كما امتلكم الهند . وبعد غد قد تحاولون امتلاك الحبشة وهكذا يسوغ لكم حب التوسع السيادة على نصف الكرة الارضية . ولعلكم بعد ذلك تطمعون بامتلاك سيارات الافلاك عطارد والزهرة

لله منك ماحكا ، ! لا أفهم كيف تجسر ان تفوه بهذا البرهان السخيف أمامي . فلا بد من أحداً من اما انك غبي او انك تستجھاني .

فاكفهر وجه هائمن وقال : لا هذا ولا ذاك يا عزيزي وليس الغرض الرئيسي من وجودنا هنا احياء المعارف في البلاد ونشر العلوم والفنون . ولهذا تسوغ لنا مصالحتنا ان نجعل اسئلة الامتحان كما هي حتى يمكننا ان لا نجيز الامتحان إلا عدداً معدوداً من الطلبة يكفي لاشغال الوظائف الصغيرة التي تركناها للمصريين

— عجباً . عجباً . اهذا هو برنامج ادارتنا في مصر ؟

— نعم نعم . ليس من شأننا ان نعلم الناس وان يزداد عدد القارئ في البلاد . أما قرأت في تقارير اللورد كرومر ان توسيع التعليم في مصر ضار باهلها ، لأن المصري متى عرف القراءة والكتابة أخلى الغيظ وترك زراعته . فاذا جعلنا نعلم تعليماً متيناً ونشرنا وسائل التعليم وأخذ المصريون يقبلون على المدارس فن يفلح ومن يزرع وكان لام يسمع هذا الكلام ويكفهر تارة ويمتقع اخرى الى أن أجاب : ياللعجب ما خطر على بالي أن تكون هذه المقاصد هي روح الادارة الانكليزية في هذا القطر .

قائلاً : تتكلم كأنك لست انجليزيًا ولو كنت من غلاة المصريين لما تكلمت بهذه الحدة

فقال لام : نعم . بعد ما اطلعت على خطة انكلترا الاستعمارية التي لا تقف عند حد صرت اخجل ان اكون انكليزيًا لان قاعدة هذه الخطة تسخير الضمير

فنظر اليه هايمن شرراً وقال : انك تهين كل انجليزي هنا وفي انكلترا بهذا الكلام

— كلا البتة ، لاني لا اعتقد ان كل الانكليز يحبذون هذه الخطة ومعظم محبذها لا يملكون قواعدها وما تنطوي عليه . فهم مخدوعون

— عجباً . اليس جميع هؤلاء الانكليز الموظفون في الحكومة المصرية يفهمون هذه الخطة وقواعدها وما تنطوي عليه ؟

— معظمهم مثلك يبررون هذه الخطة بحجة ان المصلحة الانكليزية تقضي بذلك فانهم ارباب مصالح . . .

فضاق هايمن ذرعاً ولم يعد يملك طبعه وقال : لقد تطرفت يادكتور في قلة الذوق حتى أنك تهينني في وجهي . فلا ادري اي قديس انت حتى تبجح بحسن الذمة والضمير .

واظن انه لو كان في وظيفتك ما يحتمل الرشوة بحيث يملأ جييك كل شهر مرة لكنت تحبذ هذه الخطة وتقدسها

والمربخ وسائر الاجرام — اذاً الارض لكم ولا حق لا حد ان يعيش معكم .

فقاطعة هايمن وهو يضحك ويقول : رويداً رويداً لقد تماديت في الكلام يا دكتور لام . .

— لم اتماد . ألم تكن هذه خطتكم في جنوبي افريقيا؟ نزلت هناك شرذمة من الهولانديين فذهبت اليهم وطردهم وامتلكتم ما عمروه ففروا الى الداخل وجعلوا يعمرون . فلما عمروا قمنا آخر هناك طردهم منه ايضاً وملكتموه . وهكذا سقتموهم امامكم : هم يعمرون وانتم تملكون ، الى ان كانت حرب البوير فكانت غصبة من غضبات الله عليكم .

على هذه القاعدة تريدون أن تملكوا العالم وهي قاعدة يستنكرها حتى جاني العسل فانه يأخذ من الشهد قسماً ويترك للنحل قسماً آخر . اما انتم فقد باع من طموحكم انكم لا تتركون حتى ولا نفايته . المصريون يباهفون على شيء من المعارف يحصلونه باجتهدهم وينفقون عليه من اموالهم . وانتم تقبضون ثمنه وافراً ومع ذلك تملكونه عنهم . هذه خطة عسوفة جداً لا اريد أن اخذها

وتنهى الدكتور لام كانه ير أن يستريح من شدة حدته فبادره هايمن في الجواب

مرتش من الحزب الوطني المصري حتى انه مال الى الطلبة بحرضهم ويحملهم على التمرد . وقد تمادوا في اتهامه هذه الزهمة حتى صار بعضهم يؤيدها بقوله انه علم من مصدر وثيق انه يجتمع كثيراً بالزعيم مصطفى باشا كامل وانه جاسوس له في النادي . ولذلك اقترح بعضهم ان يشطب اسمه من عضوية النادي . ثم انبرى بعضهم وابلغ الحاضرين ان عنده علماً أن جايمس لام هذا سيبرح القطر المصري قريباً لان جناب اللورد ساخط عليه . وقد علم بجنونه وشواذه من زمان ولولا توصية بعض الكبراء في انجلترا به لطرده من قبل وهكذا كان الرأي العام في النادي ضد جايمس كما هي العادة في كل موقف يأفق فيه الانوف من الدفاع عن نفسه عند قوم يعدهم كلهم دونه مقاماً وادباً وعلماً ونزاهة

قبل ان ينتهي اسبوع المهلة ارسل اللورد كرومر مندوباً من داره الى الدكتور جايمس يقول له ان عليه ان يستعد للسفر في ٢٤ ساعة لان باخرة انكليزية آتية من الشرق وجهتها انكلترا سترسو في بورت سعيد صباح بعد الغد

ثم عاد المندوب الى جناب اللورد كرومر يقول له ان الدكتور جايمس لام

فتميز جايمس لام غيظاً وتطايير شرر النصب من عينيه وقال : خسئت يا حيان لست ممن يرتفون للمناصب بالرشوة حتى اتذرع بمنصبي للارتشاء مثلك . لقد نلت وظيفتي بكفاءتي واهليتي . واستغرب ان غيباً مثلك لا يصلح مفتش اسطبلات يتعين مفتشاً للمدارس

فوثب هايمن من مكانه ووثب جايمس وهجما احدهما على الآخر يتلاكان ويتلاطمان . وتنبه بقية من في غرف النادي على صوت شجارهما فاسرعوا اليهما فاذا هما في حالة صراع شديد وقد تمزقت ملابسهما وتناثرت الاوراق من جيوبهما وتهتكت حائتهما أي تهتك . فجل من في النادي يحاولون فصلهما الواحد عن الآخر وما تمكنوا من ذلك الا بشق النفس فاخذوا يطيبون خاطر كل واحد منهما وكل منهما يجمع سواقطه ويلام ما تمزق من ثوبه

اما جايمس لام فخرج من هناك حالا لانه استكشف أن يبقى بين اناس لا يتفق معهم في مذاهبه واخلاقه . واما هايمن فبقى بشرح لمن في النادي مفصل الحديث الذي جرى بينه وبين جايمس ويزخرفه كما يشاء . فما انتهى من حديثه حتى اوغر صدور اعضاء النادي على جايمس واقام في يقينهم عقيدة ان جايمس هذا مجنون او أنه

للمحاكم الاهلية والمختلطة فتحاكمني ان كان
ثمت من ذنب لي »

الدكتور جايمس لام

مفتش في المعارف المصرية

فلما اطلع كرومر على نص التلغراف
هذا ابتسم كأنه يزدري هوج هذا الاهوج
ويعتقد أن المستر اسكويث لا يلتفت الى
شكواه . وما كان اشد دهشة اللورد كرومر
في صباح اليوم التالي حين ورد اليه التلغراف
التالي

« جناب اللورد كرومر الانخم

« ارجو ان يحاكم الدكتور جايمس لام

في المحكمة المختصة بالحكم عليه والا ينفذ
فيه حكم غير قانوني »

(الامضاء)

اسكويث

فتجهم اللورد كرومر وعلا الدم الى

رأسه وهاجت فيه كل العاطفة القضائية لانه
لم يمتد أن يخاطبه وزير الخارجية ولا وزير
المستعمرات ولا رئيس الوزارة بمثل هذه
الاهجة . بل اعتاد ان يسمع التواب الاحرار
في البرلمان يعترضون على اعماله الخطيرة
الشأن كحادثة دنشواي مثلاً ويقبحونها
فيجاوبهم الوزير : « عندنا في مصر رجل
في تمام الاهلية ونعتمد عليه كل الاعتماد
وليس عندنا مثله . فلا نسأله ماذا يفعل

لا يريد أن يسافر من مصر الا بحكم محكمة
تقضي عليه بذلك . وبعد ساعة بلغ الى
جناب اللورد ان ذلك الاهوج جايمس لام
ابرق الى نخامة المستر اسكويث وزير
الاحرار الجديد في انكلترا يشكو من
معاملة اللورد كرومر له . وفيما يلي نص
التلغراف الذي نقلت صورته الى اللورد
بصفة غير رسمية . ولا بدع في ذلك
فان الشخص الذي يستطيع ان يرسل من
قبله مندوبين يفكون اختتام المحكمة من باب
مطبوعة (المطبعة العثمانية) ويكسروا الباب
ليستخرجوا اوراقاً قيل أن فيها تهماً
لشخص مفضوب عليه من قبل السلطان
عبد الحميد — لا يصعب عليه الحصول على
صورة التلغراف الاتي قبل أن يرسل

« نخامة المستر اسكويث رئيس الوزارة

الانجليزية

« اعرض لفخامتكم ان جناب اللورد
كرومر يأمرني بالرحيل من القطار المصري
من غير استصدار حكم قانوني من محكمة
قانونية تسمع دعواه ودفاعي . أرجو أن
تستعملوا العدل الذي يقضي به القانون
الانكليزي لمنعه من تنفيذ امره الجائر
هذا . والا فامهلوني ريثما اثبت اني لست
انكليزياً ولا سلطة اللورد علي واني اخضع

فقال المندوب . اذا لم تكن انجليزياً
فماذا تكون ؟

— اقدر أن اثبت أني لست انجليزياً .
واذا امهلتوني برهة اثبت جنسيتي الحقيقية
ولذلك لا اخرج من القطر المصري الا
بحكم محكمة

فعاد المندوب وابلع الخبر الى اللورد
كرومر ذلك فازداد اللورد تغيظاً . وارسل
جنديين انكليزيين فقبضا على الدكتور
جايمس وارسلوه الى قشلاق قصر النيل
لكي يؤخذ من هناك الى بور سعيد

وانما قبل ان يؤخذ الى المحطة ورد
تلفراف من مستر اسكويث يقول : « ان
طلب الدكتور جايمس حق فارجو أن
تحييوا طلبه »

وورد اليه تلفراف آخر من مقام عال
آخر يرجوه أن يعامل الدكتور جايمس
بالرفق . فوجد اللورد كرومر نفسه حينئذ
في موقف حرج . كيف يتخلص منه من
غير ان يظهر أنه تفهق الى الوراء . واستغرب
جداً ان يوصي به شخص عالي المقام وهو
لا يستحق هذه النعمة . وتغيظ من تداخل
المقامات العالية بشؤونه الخاصة . ولكنه
استنكف أن يظهر عناداً في مسألة يعدها
حقيرة . وانما كيف يفرج عن الدكتور
جايمس من غير ان يفهم هذا ان اللورد

بل تطلق يده ونحن واثقون انه يدبر
الامور بمقتضى المصالح البريطانية تماماً »
— كذلك اعتاد كرومر ان يسمع الوزراء
في وزارة المحافظين يدافعون في البرلمان
عن تصرفاته واعماله مهما كانت . ولكن
وزارة الاحرار الجديدة اُبت الآن تتداخل
حتى في اتفه اموره . فهاج غضبه وقال مخاطباً
نفسه انا المحكمة وانا القانون . يجب أن
يرحل الدكتور جايمس غداً . ولست اعبأ
بهؤلاء الاحرار غلمان السياسة الاغبياء

ثم تناول القلم وكتب التلفراف التالي
« جناب المستر اسكويث الانضم رئيس
وزارة جلالة الملك

» تشرفت بتلغرافكم . سلوك الدكتور
جايمس ثوري ضار يستوجب نفيه . ولا
ارى من الحكمة محاكمته بذنوب غير محدود
يبدانه خطر لثلاث فتح المحاكمة العيون »
ثم أوفد مندوباً الى الدكتور جايمس
يأمره بالسفر في الحال والا استعمل القوم
في تفسيره رغم اتفه . فقال الدكتور
جايمس للمندوب . ابلع جناب اللورد ان
عنده امراً من جناب المستر اسكويث
بمحاكمتي . اذ ابرق لي الوزير بذلك .
فليحاكمني في المحكمة الاهلية لاني لست
انجليزياً . وفي امكاني ان ابرهن اني لست
انجليزياً

انكسر له . وجمل يفكر بأسلوب رشيق
 لبق يحفظ كرامته . وفيما هو في ابان تفكيره
 قرع جرس التلفون فتناول السماعة وتكلم
 — من ؟
 — الدكتور جايمس لام
 — ماذا تريد ؟
 — اعلن جنابكم اني مصري والمحاكم
 المصرية وحدها ان تحكم علي بالنفي
 - اتريد ان تكون مصرياً ؟ فكن
 اذاً . وانما حاذر ان تأتي امراً اداً . فان
 المحاكم المصرية لا تقبل وساطات ولا
 توصيات ولا تحيد عن العدل المرسوم لها
 - اني راض باحكامها
 وامر اللورد باطلاق سراحه فاطلق
 وعاد حراً . ولكن هذه الحرية لم تطل

الفصل السابع عشر

غيري جنى وانا المذب فيكم

في مساء كل يوم جمعة تعزف الموسيقى
 العسكرية في حديقة الازبكية ويجتمع كثير
 من الناس حول منصة الجوقة وفي الحانة
 التي الى شمال تلك المنصة . وبعض الناس
 يمشون في طرق الحديقة
 وكان ذلك اليوم يوم جمعة والموسيقى
 تعزف والناس بعضهم جالس وبعضهم يمشي .
 وقبل ان تم الساعة الثامنة استرعى الناس
 دوي ثلاث طلقات نارية متتالية فظنوا
 ذلك في ساحة الاوبرا . فخرج بعضهم
 ليرى ما الخبر وبعضهم لم يبال . ولكن
 الذين كانوا قرب الاكمة الصناعية أو
 « الجيلاية » التي في الحديقة شعروا أن
 اطلاق الرصاص قريب . ورأوا نفرين من
 الشرطة يحبرون الى الجهة التي صدر منها
 اطلاق الرصاص . فاسرع بعضهم وراء
 الشرطيين . وفي دقيقة كان الشرطيان
 امام حادث جنائي في سفح « الجيلاية »
 من جهة ساحة الاوبرا وبعض الناس
 وراءها . فماذا رأوا ؟
 رأوا رجلا واقفاً لدى رجل آخر
 صريع . وكان نور ساحة الاوبرا وبعض
 أنوار الحديقة المشتتة هنا وهناك تساعد على
 رؤية الحادث . فما تردد الشرطيان ان
 قبضا على الرجل الواقف من غير أن يقاوم
 كأنه أصيب ببله أو بنجل . ثم فحصا الصريع

اني مصري وأخضع للقانون المصري
 فازداد الملاحظ استغراباً ولكنه اضطر
 أن يصدع بالامر بلا اعتراض . فاستدعى
 وكيل النيابة وجري التحقيق وكان الشرطة
 قد اصطحبوا بعض من شهدوا الحادثة .
 فشهد هؤلاء كما روينا الحادثة للقارىء .
 وظواهر الحال تدل على ان الدكتور جايـمس
 رمى المستر هايمـن بثلاث رصاصات من
 المسدس الذي وجده الشرطة هناك وكان
 في المسدس ثلاث خرطوشات فارغة

وأما الدكتور جايـمس فقال انه ورد
 عليه منذ يومين بطاقة من سيدة مجهولة ترجو
 منه أن يقابلها عند سفح الجبلالية الجنوبي
 في حديقة الازبكية في الميعاد ليرى من هي
 هذه السيدة . وما انعطف الى جنوبي
 الجبلالية حتى روعه دوي الرصاص على
 مقربة منه وسمع صرخة فنظر رجلاً
 يتخبط . فوقف قليلاً ليملك روعه . فاذا
 بالصريع قد وهنت قوته . فحاول أن ينهضه .
 فاذا به قد اغمي عليه . عند ذلك أحس بوطء
 الاقدام من هنا وهناك فلم يعد يدري ماذا
 يفعل . وقد راعه الامر جداً اذ علم ان
 الصريع هو المستر هايمـن . فما الذي جاء به
 الى تلك الناحية ؟ ومن هذا الذي اطلق
 عليه ثلاث رصاصات ورمى المسدس الى
 مقربة منه ؟ واين كان كامناً ؟ ان في الجبلالية

فاذا هو لا يزال يتنفس ويتحرك ولكنه
 لا يعي . وعثراً على مسدس لا يبعد عنه
 أكثر من متر . فاسرع أحدهما الى الشارع
 واستدعى شرطيين آخرين فحملوا الصريع
 وساقوا الشخص الآخر الى خارج الحديقة
 حيث ركبوا مركبة الى دائرة بوليس
 الازبكية . وهناك تبين للملاحظ أن كلا
 الشخصين انكليزيان أحدهما يدعى الدكتور
 جايـمس لام وهو الذي كان واقفاً والآخر
 يدعى المستر هايمـن المفتش في المعارف وهو
 الذي كان صريعاً . فطير الملاحظ الخبر في
 الحال الى القنصلية الانكليزية بالتلفون .
 فجاء مندوب من القنصلية ومعه طبيب .
 فنقل الطبيب المستر هايمـن في مركبة الى
 دار القنصلية وروى المندوب للقنصلية
 تفصيل الحادثة بالتلفون : وبعد نحو ساعة
 جرت فيها المفاوضة بين القنصلية والوكالة
 البريطانية ، ثم تلقى ذلك المندوب أمراً بإبقاء
 المتهم الدكتور جايـمس لام في دائرة البوليس
 واستدعاء وكيل النيابة والتحقيق معه وحبسه
 في حبس الدائرة

فاستعرب الملاحظ الأمر وقال : هذا
 مخالف للعادة . فقال المندوب . هذا أمر
 الوكالة البريطانية يجب أن ينفذ لان الدكتور
 لام يزعم انه مصري
 فقال الدكتور لام . لا انكر زعمي .

القديمة التي تواعد الدكتور جايمس في الازبكية لتقابلة هناك . وخطر لي ان تكون من شخص يجتمع أحياناً سرّاً مع الدكتور جايمس للمفاوضة في المكاييد او لعنه شريك جايمس في التجسس . ولذلك عقدت النية على أن أذهب الى هناك لارى ماذا يكون من أمر جايمس ودسائسه . فذهبت في الميعاد متلصصاً ولكن ما هو الا بعض الدقيقة حتى رأيته قادماً وفي لحظة اخرى باغتني بثلاث رصاصات . ولم أر هناك سواء

وأكد هايمن انه رأى جايمس يسدد المسدس اليه بسرعة ويطلق الرصاص عليه هذا كان مجمل التحقيق من الجانبين وهو ما تقدم لمحكمة الجنايات في مصر . وما استطاع جايمس ان يدافع عن نفسه وينفي التهمة عنه . وبالاختصار حكمت المحكمة عليه بحبس سبع سنين مع الاشغال

وهكذا اضيف الى مجموعة اسرار جايمس سر جديد وهو سر هذه الرصاصات التي اصيب بها هايمن . من اطلقها فعوقب هو بجريرته وأن كان كامنا وما غرضه ياترى؟

كثيراً من المكامن التي تسهل ارتكاب الجنايات . ولكن من هو هذا المجرم الداهية الذي يجرأ على ارتكاب جناية كهذه في مكان تغفل فيه الناس في كل ناحية واستطاع أن يسلم من التهمة

هذا تقرير الدكتور جايمس لام ولكن ليس ما يؤيده البتة . أما المسترها يمن فظهر ان اصابته غير خطيرة وقد أسعف بالعلاج . فلما تحسنت حاله قرر أنه بعد المشاجرة التي حدثت بينه وبين الدكتور جايمس لام في « نادي زرف » وبعدها « للم » ما تضع منه وجد في جيبه بطاقة مكتوب عليها باللغة العربية هكذا : ارجو مقابلتكم الساعة ٨ مساء الجمعة في جنوبي « الجبلابة » في حديقة الازبكية لامر ذي شأن »

الامضاء الصديقة القديمة « ج » قال : فاستغربت وجود البطاقة معي ولكني ما لبثت أن خطر لي أنها من اوراق الدكتور جايمس لام التي تناثرت من جيبه حين المصارعة وقد حسبته حينئذ من اوراقى فاودعتها في جيبى . ومن ثم صرت أود ان اعلم من هي هذه الصديقة



الفصل الثامن عشر

الخط الافر الموانى لخط الخطبة

الى هنا نقف ونندع جيمس لام في سجنه يقاسى الشقاء ونعود بالقاري الى عهد قديم لكي نمسك سلسلة اخرى من هذا التاريخ موازية لهذه السلسلة التي مررنا بها الى ان نلتقي بالعقدة التي تتصل بها السلسلتان يتذكر القاري ان عرابي باشا لما عاد الى مصر مدحوراً اتفق هو وأعدائه على ان يرفعوا الى الجنب العالي الحديوي عريضة استرحام يعرضون بها خضوعهم ويلتمسون المغفرة والعفو. وكان من رجال الوفد الذي حمل العريضة الى الاسكندرية علي باشا الريبي. ولما وصل الوفد بالعريضة الى الجنب العالي الحديوي توفيق باشا أمر بالقبض على علي باشا هذا وبزجه في السجن وقد قيل في ذلك الحين ان ابن عمه حسن بك المهندي ذهب يومئذ الى الاسكندرية واوغر صدر الحديوي عليه. ولا يبعد ان يكون الخبر صحيحاً لان حسناً واخاه حامداً يستطيعان بعدئذ ان يمتصا كثيراً من ريع ثروة صهرهما وابن عمهما عن يد اختها وهكذا كان. فحوكم الريبي وحكم عليه بالسجن عشر سنين وجعلت زوجته تسعى في استصدار العفو عنه. ولذلك لم يشأ أن يطلقها ولا ان يكف يدها عن ثروته وانفاقاً باخلاصها الكاذب له. وهي كانت كل مدة تزوره في السجن وتمنيه بالاخراج عنه وتسعى لتحسين معاملته في السجن فكان الريبي يعمل النفس بالامال. وزوجته تتمتع بريع ثروته الطائلة واخاوها حسن وحامد يأخذان منها كل حين بعد آخر مبلغاً

أما سبب مكر لطيفة هانم زوجة الريبي على زوجها فهو انها علمت بزواجه الشرعي من تلك الفتاة الانكليزية التي زعم في أول الامر انه محتظيها، وعلمت انها ولدت له صبياً. فتعظت جداً وخافت ان تذهب ثروة الباشا الطائلة من يدها اذا مات في عهد قريب، لانه كان غليلاً، وتتحول الى تلك الانكليزية ولذلك منذ بدء الامر حملت عليه هي واخاوها وسائر اهله واحرجوه، فطلق الانكليزية. حين كانت لا تزال في شهر النفاس. ومن ثم جعلوا يتحينون الفرص لاغتياال الطفل. وشعر علي باشا الريبي بذلك فصار همه ان يخلص الطفل من شرهم

وابوا الفتاة الانكليزية اللذان شق عليهما جداً زواج بنتها السري من غير أن

ان يتعين حارساً قضائياً على حق الغلام جميل من الارث ريثما يهتدي الى الغلام لانه سرق منه وانه في امكانه ان يبحث عنه ويجده، وآتي بشهود شهدوا ان الغلام سرقه هندي ومعه شخص زنجي والشهود هم حسن حسني السمهوري ومحمد حسن الصنوبري وابنه وزوجته وبناء على وصية علي باشا الريبي وقرآن الاحوال عينت المحكمة علي بك سيف حارساً قضائياً على التركة ريثما يفصل في القضية . واصبحت تركة علي باشا الريبي معلقة في الهواء لا يعرف لها وريث . وكل حين بعد حين يهجم الخصوم هجمة في القضية ويعودون بخفي حنين

وقد صار علي بك لا يدري كيف يهتدي الى مصير الغلام . وبحث عن غير أغا لعله هو الزنجي الذي كان مع الهندي شندي لام فيستعلم منه باية الوسائل والحيل عن مصير الطفل . ولكنه لم يجد لعنبر أغا اثرأ وقيل له أنه ظهر حياً ثم اختفى . واذا كان قد ظهر فلا بد أن يكون المهنديان واختهما زوجة الريبي قد اجتمعوا به وعلموا منه شيئاً أو أشياء عن الطفل

وخطرت الي علي بك خواطر عديدة بشأن الطفل : أولاً ، يمكن أن يكون شندي الهندي وعنبر أغا صديقي المهنديين وقد سرقا الطفل بناء على امرهما . ومن ثم اغتالوه . وفي هذه الحالة لا يعترف المهنديان بهذه الجناية

يعلمنا بأثره اخرجها على ترك الطفل في عهدة أبيه والعودة معها الى انكلترا واخفاء حكاية هذا الزواج الوقتي الذي حسباه مشيناً لها وعقبة في سبيل زواج آخر لذلك وضع علي باشا الطفل سرأ في عهدة صديقه علي بك سيف . وهذا تظاهر ان الطفل ابن لصديق آخر وتبناه - الى آخر ما كان من الحكاية مما علمه القاري

وكان علي باشا الريبي عمو لا فلم يستطع احتمال السجن طويلا فأتى في السنة الخامسة من مدة سجنه . وهب ابناء عمه لاستلام اراثها منه ومقاسمة اختها أي زوجته التركة الوافرة وانما قبل ان يتم شيء من هذا القبيل انبرى صاحبنا علي بك سيف وقدم للمحكمة الشرعية دعوى بطلب الارث كله - ما عدا حصة لطيفه هانم زوجة الريبي - لجميل الابن الشرعي للباشا من زوجة انكليزية شرعية . وشفع عريضة الدعوى او القضية بعقد الزواج الشرعي بين علي باشا الريبي والانسة مرغريت بنت جون صوان الانكليزي . ثم اردفه بوصية قانونية بخط علي باشا الريبي وامضائه ينص فيها على ان ابنه جميلا الذي رزقه من مرغريت صوان الانكليزية هو وريثه الشرعي بلا منازع . وان ابنه هذا في عهدة الميرلاي علي بك سيف الذي تكفل بتربيته وهو القيم عليه . وفي ايسر صدر الغلام علامة هلال وفي وسطها صليب وطالب علي بك في عريضة الدعوى

فعاد بخفي حنين ولكنه بقي يحاول
المناظرة في القضية وتسويقها بحجة أنه قارب
أن يهتدي الى الغلام

وسافر الى انكلترا بعد سنتين لهذا الغرض
فلم ينجح أيضاً . وبعد سنة أخرى سافر أيضاً
لكي يستقدم بنته اذ انتهت دروسها وهناك
التقى بجائيس في المطعم كما علم الفاريء وجرى
ما جرى مما افضى الى اجتماعه بجائيس ثانية
في باب قصر نخم عند سيدة نبيلة لا يعرف
عنها شيئاً . وقد سمع من كلام جائيس المهين
له مارده عنه موقناً أنه ليس الغلام جميلاً .
وانه لما سأله ان كان في صدره الوشم فاجاب
بالايجاب كان كاذباً في جوابه . ولعله كذب
لكي يستدرج على بك أن يقول كل ما في
نفسه . هذا ما رجحه على بك

وفهم علي بك أن المهنديين تمقبوه الى
لندن لاسم حسبوا أنه برح اليها لكي يبحث
عن الغلام ، فكانوا يراقبونه بكل انتباه وربما
اقاموا جاسوساً يتجسس عليه ، فلما رأوه
يخاطب جائيس لام حسبوه اهتدى الى ضالته
المنشودة فحاولوا أن يقتالوا جائيس لام لاعتقادهم
انه هو الفتى جميلاً بعينه فاذا أظهره علي للوجود
حرّمهم الارث الهائل . وكانت لطيفة اخت
المهنديين تتفق من حصتها في هذا السبيل
بسخط لانها انفقت اخيراً مع اخويها على
الظفر بالثروة باي الوسائل

ثم عاد علي بك ببنته من لندن غير نائل
وطراً ولكنه بقي يحنق الوسائل لتسويق

ثانياً . يمكن أن يكون عنبر اغا قد تدرع
بالهندي لسرقة الطفل حتى يأخذه لنفسه
ويربيه . ولكن ماذا كان غرضه منه . ومن
اين له ان ينفق عليه

ثالثاً . قد يكون الزنجي شخصاً آخر
غير عنبر . اذا لماذا اختفي عنبر . وهل ظهر
حقيقة ثم اختفى ؟

رابعاً . قد يمكن أن تكون ام الغلام
مرغريت صوان قد أوعزت للهندي أن
يسرق الغلام فاستعان هذا بعنبر أغا بناء على
تعليماتها وسرق الغلام وأخذه له وذهب عنبر
اغا معه اليها . ولعل الاشاعة بان عنبر اغا
ظهر ثانية ثم اختفى غير صحيحة . وقد
تكون صحيحة أي انه اتى الى مصر ثم برحها الى
حيث الطفل موجود . ولعل ماري صوان
ام الطفل جاءت الى مصر وعنبر اغا معها عاداً
ولذلك بعد أن رفع القضية ضد المهنديين
سافر الى انكلترا وأخذ بنته جميلة وأودعها
في مدرسة عالية لانها كانت بارعة . وقد
تقدمت في معرفة اللغة الانكليزية تقدماً يذكر
منذ كانت تدرس هنا . وهناك جعل يبحث
عن المستر جون صوان فلم يهتد اليه وبالطبع
لا يهتدي اليه لان جون صوان كان بهذا الاسم
في ممباي ، ولكنه بعد أن عاد الى انكلترا
وأقام فيها برهة أصبح اسمه اللورد فيفر
وصارت بنته اللابدي فيفر فيصعب جداً أن
يهتدي الى مرغريت وقد مات أبوها وأصبحت
في طبقة النبلاء

البلد الداخلية مضطربة جداً . وفي ذلك الحين استعفى اللورد كرومر و برح القطر المصري وتعين بدله السير الدن غورست مفوضاً سامياً على قاعدة سياسة الوفاق . أي الوفاق بين انكلترا والحدوي . لأن الحدوي عباس والسير غورست كانا صديقين . وشرعت الحكومة تقاوم الحزب الوطني ارضاء لحاظر الحدوي عباس . ولذلك لم يعد علي بك يجسر أن يتوسل بأي وسيلة لعلاقة بينه وبين السجين الدكتور جايمس لام لئلا يحسب في زمرة المتطرفين . فتربص وبقي المحامي وكياه يتخربع الوسائل القانونية لتسويق القضية والمطالبة فيها .

كان علي بك سيف لما استلم الطفل من صديقه علي باشا الربيبي ثم استلم وصية الربيبي نفسه بشأن الطفل ومعه عقد الزواج عقد النية على أن يربي الطفل ويزوجه ابنته الوحيدة فيكون هو مسيطراً على تلك الثروة الطائلة ولكن لما خاب فأله واخطأ حسابه صرف فكره عن هذه الامنية . وكان يتقدم لبنته طلاب فترفضهم وأبوها لا يعلم سر ما بها . وأخيراً صار يناقشها في ذلك فيسألها : لماذا ترفض فلاناً وهو كفاء وفلاناً وهو اكفاء . فكانت تراوغ وتحتج حججاً مختلفة حتى رابه أمرها . فسألها : هل تحبين شخصاً معيناً ؟ فترددت وانكرت . ولكن اباهها ازداد شكاً في أمرها ورجح أنها تحب شخصاً

القضية والمطل فيها نكابة بالمهنيين وأملا بان يهديه الله الى الغلام أو ان المهنيين يملون ويسترضونه بقسم من التركة فيسكت أو يتنازل ولكن المهنيين بقوا أيضاً يجاهدون وعرضوا عليه ترضية بسيطة فلم يقبل

وهكذا بقيت قضية ابن القضاء والقدر معلقة في الهواء الى أن ذكر في الجرائد ودار على الالسنه اسم الدكتور لام المفتش في المعارف بمناسبة تمرد الطلبة ، فخطر لعلي بك أن يكون لام هذا هو الفتى الذي اجتمع به في لندن مرة أو مرتين ولا بد أن يكون هذا الحاطر خطر للمهنيين أيضاً . وسأل عن حقيقة اسمه فلم أن اسمه جايمس لام فرجح أنه هو . وحدثه نفسه أن يقابله ليستدرجه في الحديث الى مسألة أصله وفصله ولكنه ما عم أن سمع باتهامه بالجناية وبوقوعه تحت يد القضاء . ثم مالبث أن قرأ أن المحكمة حكمت عليه بالسجن فاستغرب امره كل الاستغراب وفهم أنه حدث بينه وبين الانكليز عداً شديداً وأتهموه أنه يحرض الحزب الوطني والطلبة على الثورة ، فمقته الانكليز وصاروا يحسبونه رجلاً مشاغباً داعياً للثورة وانه لكي يسلم من نقيمتهم ادعى أنه مصري وطلب أن يحال على القضاء المصري فحكم عليه بقساوة

ولذلك لم يستسب علي بك في ذلك الحين أن يحرك ساكناً ، وتربص ريثما يرى ماذا يكون من أمره لانه رأى أن سياسة

أن عنبر أغا الذي كان عبداً عند الباشا هو الذي سرقه وأودعه عند امرأة غريبة ومات عنبر أغا وماتت المرأة وبقي الغلام عند أقاربها الى ما هنالك من قصة غريبة مؤيدة بوقائع وشواهد تثبت صحتها حتى كاد علي بك سيف نفسه يعتقد بصحتها بل لم يبق عنده الا شبه شك فيها . فكاد يحن من هذا الفشل الذي صادفه في هذه القضية . ولكنه بقي مؤملاً أن يخرج المهندسين أن يسترضوه بترضية مالية كافية . فأعمل هو والحامي جهدهما في اختراع أسباب قانونية للطعن في بنوية ذلك الفتى لعلي باشا الربيبي . وتأجأت الجلسة النهائية الى حين آخر لتناقش الخصمين :

وأما تعذر عليه أن يكتشفه لأنها أصرت على الانكار . فوكل الامر لامها عسى أن تكتشف سر قلبها . وهمه أمرها لأنها صارت حول الثلاثين من العمر حتى متى ؟

وكان موعد جلسة من جلسات تلك القضية الممتولة ففاجأ المهنديون خصمهم علي بك سيف بادعاء غريب مدهش وهو أنهم وجدوا ابن علي بك الربيبي المفقود وأثبتوا وجود الوشم في صدره كما تنص الوصية التي قدمها علي بك سيف للمحكمة . وسردوا حكاية عن كيفية فقده واهتدائهم اليه وزعموا

الفصل التاسع عشر

سجن البرار

من غير وسادة والانتفاف ببطانية فقط . فان هذا أمر يتعمده وقد عاش في عهد صوته عيشة قشقة ، فلما نسيها . ولا همه أن يأكل الخبز اليابس والادام الزنخ فان المعدة متى جاءت استطابت هضم أي طعام . ولا همه شغل السجن من كنس « وشطاف » ونحوهما وشغل الكراسي لان الشغل علاج الملل والضجر .

وأما هم الدكتور لام معاشره هؤلاء المشردين والاجلاف المجرمين من لصوص

نعود الآن الى الدكتور جايمس لام وهو في سجنه ، من المعيشة الانكليزية في منزل جميل أنيق الرياش والاثاث والأضجاع في سرير على فراش من ريش النعام ولدى مائدة فاخرة الطعام - الى سجن مصر بين طبقة من النوغاء لا فرق عندهم بين الحلال والحرام . من تلك الحياة الهنيئة الى هذا السجن الجهنمي .

أجل وجد جايمس لام نفسه في جحيم من الشقاء والتعاسة . مامه النوم على الارض

الادبية والتعاليم الشريفة والمبادئ العالية حتى اسماهم اليه وحببهم به وصاروا يكرمونه ويجلون قدره ويلقبوه بالمعلم المرشد

وكانت قصصه وحكاياته وأخباره تدور على الصدق وشرف النفس والنبيل والشهم والكرم والمساخة الخ . ولما ملك عنان قلوبهم صار يروي لهم قصصاً مغزاهها حب الوطن والتفاني لاجل الوطن ، فحرك في انفسهم النعرة الوطنية . وصار يعلمهم أن الاتحاد الوطني دين بعد الدين الروحاني . ثم صار ينبههم الى حب الاستقلال ويث فيهم مبادئ الحرية ويفهمهم ان الحرية حق طبيعي لكل فرد . فكادوا يعبدونه لشدة إعجابهم به . وكان في جميع معاملته معهم خير نموذج لمبادئه وتعاليمه التي كان يبثها فيهم .

مضى على هذا النحو نحو ٤ سنين فصار يشعر اخيراً بلذة في وسط هؤلاء المجرمين وهان عليه السجن كثيراً حتى لم يعد يبالي لان سجنه صار وسيلة لخدمة الانسانية قد لا تتسنى له في خارج السجن وهو يستلذ هذه الخدمة

في ذات يوم كان بين بعض من السجناء يمازحهم تارة ويعظمهم اخرى فحدث بينه وبين واحد منهم يدعى علي الحيزوم تنافر خلافاً للمألوف وكان هذا الواحد جديداً في السجن لم تجلبه بعد اخلاق جايمس فاهاهه ولطمه فعاتبه جايمس بكل حلم . ولكن الاخرين غضبوا

وقتله ومشاجرين الخ . عشرة هؤلاء كانت كابوساً على نفسه وقابه . لا يستطيع تحايدهم لانه في وسطهم وهو ملزم أن يمزج بهم وهم يمزجون به رغم أنه ، ملزم أن يواكلهم ويشاربهم ويشغل معهم جنباً الى جنب وأن يبيت واياهم تحت سقف واحد . ملزم أن يتحمل سماجتهم وفضاظتهم وقذارهم . واذا اعتدوا عليه كان ملزماً أن يتحمل منهم

اذا حايدهم وجافهم حقداً عليه وانفقوا على مكايده . واذا داعبهم وضاحكهم تطاولوا في مداعبته وتطاولوا عليه فاذا يفعل حتى يخفف شقاء سجنه ويلطف بلواه ؟

خطر له ان العمل الحميد يشعر حتى في الجحيم وان الفضيلة تنال جزاءها حتى في بحر الرذيلة . لذلك عقد النية على أن يكون في ذلك السجن معلماً مرشداً روحياً وعقائياً لأولئك المجرمين . فيكون خادماً للانسانية حتى في وقت عقوبته وفي جحيم سجنه

وكان قد برع بالعربية العامية فضلاً عن الفصحى فشرع في بدء الامر يجمع السجناء في ساعات هرجهم ومرجهم ويقص عليهم قصصاً غريبة سارة مما اطلع عليه ومما شهد به بنفسه في حياته ومما سمعه أو قرأه . فكانوا يستلذون قصصه جداً ويصغون اليه ، حتى صاروا كلما فرغوا من عمائم يجتمعون حوله ويقولون : « هلم يا لام احك علينا »

ولما استوثق من رغبتهم في سماع قصصه واخباره صار يخلق لهم قصصاً يضمنها المغازي

— ربما اجر موأخطاء ولكل جواد كبوة
— الا يمكن ان تخبرني ما هي جريمتك .
وكيف هفوت بها ؟ اجعلها قصة كسائر قصصك
اذ لا بد أن يكون فيها عظة لنا
فجعل جايمس يروي له حكايته مع المفتش
المستر هايمن منذ تناقشا في « نادي رف »
الانكليزي الى أن أصيب هايمن بثلاث
رصاصات في حديقه الازبكية
فلما انتهى قال المجرم « علي الحيزوم »
الذي كان يسأل جايمس باهتمام وسمع له :
ومن أطلق الرصاص فعلاً ؟
— الظاهر اني أنا أطلقته
— هذا هو الظاهر ولكن الحقيقة ؟
— فابتسم جايمس وقال : لو كنت أعرف
الحقيقة لأحسنت الدفاع عن نفسي
— اذاً غيرك أذنب وأنت تعاقب
— هذا كان حكم القضاء والقدر يا أخي
فتسامل علي الحيزوم وقال : « والله
ما فيش انصاف في الدنيا »
فقال جايمس : لو كنت أنت قاضياً ماذا
كنت تفعل ؟
— كنت أسأل وادقق وابحث في
المصাব من أي جهة جاءته الرصاصة مثلاً .
وكيف كان واقفاً أو ماشياً حتى أصابته . وهل
جاءته من مكان واطئ أو من مكان عال ،
وحينئذ يظهر له أن الذي أطلق الرصاص لم
يكن حيث كان جايمس لام واقفاً أو قادماً
فتنبه جايمس وقال : حقيقة انك قاضٍ

على ذلك المعتدي وهموا ان يضربوه .
فاعترض جايمس بينه وبينهم ومنعهم عنه . فمضوا
وتفاوضوا مع رفاقهم وأوغروا صدورهم
على المعتدي . فشرع جايمس ان هذا السجين
المنقوم عليه أصبح تحت خطر منهم . فاعزز
اليه أن يختبئ في أي مكان ربما يتسنى له ان
يسكن نائراًهم

وخرج جايمس اليهم وجعل يعظمهم
ويلومهم لاعتصابهم ضده ويقول لهم : اني
انا قد ساحتته فليس لكم ادنى حق في أن
تعاقبوه . وما زال يعظم فيهم حتى سكن
تأثر غضبهم وحملهم على مصالحة ذلك المجرم
كاخ لهم . فانه هذا الامر على السجين الجديد
وصار شديد الوداد لجايمس يسمع قصصه
ويستلذ كلامه

وفي ذات يوم اجتمع به هذا السجين
وحدها وسأله : — الا قل لي يا جايمس يا أخي
ان مثلك لا يمكن ان يدخل السجن فكيف
دخلت اليه ! ان مثلك لحري بان يكون
قاضياً أو شيخاً أو معلماً واعظاً فبأي ذنب
حكم القاضي عليك ؟
فضحك جايمس وقال : وماذا يهمك
ذلك ؟

— اعلم ان الاشرار نلي يدخلون الى
السجن بعدل وأما الابرار . مثلك فكيف
يدخلون ؟

— يدخلون لارتكابهم جرائم
عجيباً . هل يجرم الابرار ؟

عرف أمري جميع الناس :
— ولي الأمل أن تشرع في التوبة
منذ اليوم .

— أي على يدك ياسيدي تائب منذ الآن
أعدك وعداً صادقاً

— أشكر وعدك عظيم الشكر . ولك أن
تعتمد على صداقتي في المستقبل

— وسأكون خادمك الأمين فالسمع حكايتي
— جاءني ذات يوم رجل وقال : هل
تريد أن تكتم نفسك بضع دقائق وتأخذ
خمس مئة جنيه ؟

فقلت بحنيه واحداً كتم نفسي خمس دقائق
فقال لا بل تكتمه خمس دقائق وتأخذ
خمس مئة جنيه

فقلت دعنا من المزاح ومن كلام الالغاز
ماذا تريد ؟

فقال . اريد أن تقتل شخصاً برصاصة
أو رصاصتين أو ثلاثة لكي تتأكد أنه قتل
فقلت مرحباً بك . هات نصف المبلغ
فقال . وما هي الضمانة انك تنجز عهدك
فقلت . خست يجب أن تعلم أن من
يرتكب جريمة كهذه لا يكون جباناً ، والشجاع
لا يكذب .

قال . هذه مئة وحالما تنجز الوعد تقبض
الأربع مئة الاخرى

فقلت . لا بأس هات . وقل لي من هو
الشخص ؟

فسماه لي ووصفه وأخبرني عن كل أحواله

نبيه بل تصالح نائباً عمومياً . لم يفتن أحد
لهذه النقط الجوهرية فكيف خطرت لك ؟

— لاني شيخ المجرمين ، ولطالما ارتبكت
جرائم ونجوت منها ، ولطالما وقعت في التحقيق
وحكم علي ، هذه هي الزيارة الرابعة لي لهذا
السجن ياسيدي فبرعت في دقائق التحقيق .
ولا تصدق أن المحقق لم يفتن لهذه النقط .
ولكن يظهر أنه كان لك خصوم حتى في
التحقيق ، وكان على المحامي عنك أن يدقق
في هذه المسائل

فتبرم جايمس وقال : لقد اعتمدت على
نفسي أكثر من اعتمادي على موكلي في الدفاع
ولكن يظهر ان القضاء والقدر كان ضدي
يا صاح . لاني جعلت نفسي محامياً عن نفسي
وكان علي أن اتكل على المحامي الفني

— لا تصدق . فلطالما كان القضاء ضدي
فكنت أحوله ضد غيري

— هل حدث لك مثل هذا الحادث
وقد رت أن تتخلص من المسؤولية ؟

— كثيراً . واليك أهم حكاياتي
فقال الدكتور لام : هات قص علينا

وسلينا يا حيزوم
فتربع علي استعداداً لقص الحكاية وطفق

يقول :

ماساً لني نائب عمومي أو قاض أو ملاحظ
بوليس عن صنعتي وصدقت في جوابي

— عجباً . لماذا لا تصدق في صنعتك ؟
— لان صنعتي الاجرام ياسيدي وقد

فتيات : ان الشخص صعب الوصول اليه
وال مهمة صعبة فيجب ان تزيد الاجر
فقال : ثق أنك اذا نجحت تنال الف جنيه
فقلت ، وانما بقي علي أن أجد وسيلة
للاستحكام من الشخص

فقال غنذي وسيلة أظن أن للشخص
علاقة قديمة بامرأة فاذا أرسلنا اليه رسالة
بحرف من اسم المرأة وفيها ميعاد معين للمائة
فلا بد أن يأتي للمكان الميعين في الميعاد

فقلت ، حسناً جداً . اذا أرسل للرجل
الرسالة وعين له « جيلاية » الازبكية مكاناً
والساعة الثامنة من مساء الجمعة موعداً
فاتفض فؤاد جاعس واكفهر وكاد
يتكلم

فقال له علي الحيزوم ، مهلا يا عزيزي ،
اسمع القصة حتى آخرها . . .

قال لي ذلك الرجل الدساس ، ويحك
كيف يمكن أن ترتكب الجناية في وسط البلد
في وقت يكون فيه جمهور من الناس هناك ؟
لماذا لم تختار الاهرام أو القناطر الخيرية أو
أي مكان منفرد ؟

فقلت له ، أرجو ألا تعلمني حرفتي هذا
فن لا تفهم شيئاً منه أنت فلا تعترض ولا
تتفلسف . أرسل الرسالة وعين الموعد في
ذيتك المكان والزمان . لظالما قتل أناساً
ومشيت في جنازتهم

فقال : ولكني لا أرى هذا التدبير معقولا
فقلت : بل هو المعقول . لاني اذا قتلت

فتيات : ان الشخص صعب الوصول اليه
وال مهمة صعبة فيجب ان تزيد الاجر
فقال : ثق أنك اذا نجحت تنال الف جنيه
فقلت ، وانما بقي علي أن أجد وسيلة
للاستحكام من الشخص

فقال غنذي وسيلة أظن أن للشخص
علاقة قديمة بامرأة فاذا أرسلنا اليه رسالة
بحرف من اسم المرأة وفيها ميعاد معين للمائة
فلا بد أن يأتي للمكان الميعين في الميعاد

فقلت ، حسناً جداً . اذا أرسل للرجل
الرسالة وعين له « جيلاية » الازبكية مكاناً
والساعة الثامنة من مساء الجمعة موعداً
فاتفض فؤاد جاعس واكفهر وكاد
يتكلم

فقال له علي الحيزوم ، مهلا يا عزيزي ،
اسمع القصة حتى آخرها . . .

قال لي ذلك الرجل الدساس ، ويحك
كيف يمكن أن ترتكب الجناية في وسط البلد
في وقت يكون فيه جمهور من الناس هناك ؟
لماذا لم تختار الاهرام أو القناطر الخيرية أو
أي مكان منفرد ؟

فقلت له ، أرجو ألا تعلمني حرفتي هذا
فن لا تفهم شيئاً منه أنت فلا تعترض ولا
تتفلسف . أرسل الرسالة وعين الموعد في
ذيتك المكان والزمان . لظالما قتل أناساً
ومشيت في جنازتهم

فقال : ولكني لا أرى هذا التدبير معقولا
فقلت : بل هو المعقول . لاني اذا قتلت

فتيات : ان الشخص صعب الوصول اليه
وال مهمة صعبة فيجب ان تزيد الاجر
فقال : ثق أنك اذا نجحت تنال الف جنيه
فقلت ، وانما بقي علي أن أجد وسيلة
للاستحكام من الشخص

فقال غنذي وسيلة أظن أن للشخص
علاقة قديمة بامرأة فاذا أرسلنا اليه رسالة
بحرف من اسم المرأة وفيها ميعاد معين للمائة
فلا بد أن يأتي للمكان الميعين في الميعاد

فقلت ، حسناً جداً . اذا أرسل للرجل
الرسالة وعين له « جيلاية » الازبكية مكاناً
والساعة الثامنة من مساء الجمعة موعداً
فاتفض فؤاد جاعس واكفهر وكاد
يتكلم

فقال له علي الحيزوم ، مهلا يا عزيزي ،
اسمع القصة حتى آخرها . . .

قال لي ذلك الرجل الدساس ، ويحك
كيف يمكن أن ترتكب الجناية في وسط البلد
في وقت يكون فيه جمهور من الناس هناك ؟
لماذا لم تختار الاهرام أو القناطر الخيرية أو
أي مكان منفرد ؟

فقلت له ، أرجو ألا تعلمني حرفتي هذا
فن لا تفهم شيئاً منه أنت فلا تعترض ولا
تتفلسف . أرسل الرسالة وعين الموعد في
ذيتك المكان والزمان . لظالما قتل أناساً
ومشيت في جنازتهم

فقال : ولكني لا أرى هذا التدبير معقولا
فقلت : بل هو المعقول . لاني اذا قتلت

فتيات : ان الشخص صعب الوصول اليه
وال مهمة صعبة فيجب ان تزيد الاجر
فقال : ثق أنك اذا نجحت تنال الف جنيه
فقلت ، وانما بقي علي أن أجد وسيلة
للاستحكام من الشخص

فقال غنذي وسيلة أظن أن للشخص
علاقة قديمة بامرأة فاذا أرسلنا اليه رسالة
بحرف من اسم المرأة وفيها ميعاد معين للمائة
فلا بد أن يأتي للمكان الميعين في الميعاد

فقلت ، حسناً جداً . اذا أرسل للرجل
الرسالة وعين له « جيلاية » الازبكية مكاناً
والساعة الثامنة من مساء الجمعة موعداً
فاتفض فؤاد جاعس واكفهر وكاد
يتكلم

فقال له علي الحيزوم ، مهلا يا عزيزي ،
اسمع القصة حتى آخرها . . .

قال لي ذلك الرجل الدساس ، ويحك
كيف يمكن أن ترتكب الجناية في وسط البلد
في وقت يكون فيه جمهور من الناس هناك ؟
لماذا لم تختار الاهرام أو القناطر الخيرية أو
أي مكان منفرد ؟

فقلت له ، أرجو ألا تعلمني حرفتي هذا
فن لا تفهم شيئاً منه أنت فلا تعترض ولا
تتفلسف . أرسل الرسالة وعين الموعد في
ذيتك المكان والزمان . لظالما قتل أناساً
ومشيت في جنازتهم

فقال : ولكني لا أرى هذا التدبير معقولا
فقلت : بل هو المعقول . لاني اذا قتلت

- كلا ياسيدي . اني اروي لك حادثة حقيقية جرت معي : فانا الذي أطلق الرصاص على جايمس لام لانه هو كان المقصود اغتياله ولكن القضاء والقدر شاء أن يصاب به المستر هايمن ويتهم جايمس لام . والحمد لله ان هايمن لم يمت والالاستحال علي هذا الاعتراف لئلا اذهب الى المشنقة رأساً

فتنهده جايمس وقال . ولكن قصتك هذه تحتاج الى اثبات وهو صعب

- لا . لا . ما اسهل من تأكيد قصتي واثبات التهمة علي . اصيب المستر هايمن برصاصة في كتفه الايسر وأخرى في ذراعه الايسر وأخرى في فخذه الايسر اليس كذلك ؟ - نعم كذا كان التقرير الطبي

- ذلك لأن المستر هايمن كان قادماً من جهة الشرق الى الغرب من جنوبي «الجيلاية» فكان يساره نحو ميدان الاوبرا وانا كنت كامناً في أسفل السفح من تحته على بعد مترين منه فدخلت الرصاصات فيه صموداً . ولو كانت الرصاصات من الجهة التي كنت قادماً انت منها لاخترقت ظهره لانك كنت قادماً وراءه . وما رأيك حينئذ قط لاني انسلت حالا بعد فعلتي . ولم التفت قط لما هو جار . هكذا كان يقضي علي فن الاجرام قال جايمس - مع ذلك يبقى وجهه للشك في صحة روايتك

- هناك علامة أخرى وهي انه حيث كنت كامناً نسيت خنجرأ كنت احملة لاجل

من أي جهة . العله في ميدان الاوبرا فقال آخر بل هو قريب يترأى كأنه في الجيلاية وعند ذلك رأيت جاويشاً قادماً يمشي متردداً

فقلنا جميعاً له : أما سمعت صوت اطلاق الرصاص

فقال : بلى ولكن أين ؟ فقلت : نظن أنه في الجيلاية . هلموا . تعال يا جاويش . هلموا

وتقدمنا نحو الجيلاية فاذا جاويش آخر وبعض الناس يركضون الى جهة الجيلاية فركضنا معهم وكنت أنا وراء الجاويشين تماماً . وما زلنا نصعد في طريق الجيلاية حتى وصلنا الى مكان الحادثة ، وانا الى جنب الجاويش الاول . فرأينا شخصاً واقفاً أمام شخص آخر يتخبط . فقبضنا على الرجل الواقف وثم حملنا الصريع الى خارج الحديقة حيث أودعه الجاويش في مركبة ومعه بعض الشهود . أما أنا فنخلفت حتى لا أكون شاهداً . وركب الانفار الآخرون الذين اتوا بعدئذ لضبط الواقعة ومعهم المتهم البريء وذهبوا الى دائرة البوليس . فما قولك ؟

وكان جايمس يسمع حكاية علي الحيزوم مدهوشاً مستغرباً وهو لا يكاد يصدق . ايسمع فقال : اظنك سمعت الحكاية من شخص آخر أو حضرت محاكمتي والآن ترويهالي هكذا من قبيل المداعبة

الدفاع عن نفسي فيما لو وقعت في قبضة الشرطة
اذ كان قصدي ان أهرب على كل حال .
واذا افلت فلا أحد يستطيع أن يدركني أو
يهدي الي . ولا بد ان يكون أحد البسنانين
هناك قد وجد الخنجر في الصباح التالي
ووجد بعض أغصان الشجيرة مقطعة لجعلها
مكناً لي في مخبئي
فابتسم جايمس وقال : ترى من هو
ذاك الرجل الذي كان يبتغي قلبي
— اعذرني الان . لقد اقسمت ان
لا ابوح باسمه ولا أود ان احث يميني
— بارك الله يا عزيزي باماتك ولكن
هل يمكنك ان تخبرني لماذا كان ذلك الرجل
يريد قلبي ؟
— لا ادري ياسيدي . لم يكن واجباً
ان اسأله في ذلك فاسأله
— أي استغرب ان يحاول بعض الناس
اغتيالي وانا لم أؤذ أحداً . وانا هل يمكن
ان تخبرني عن جنسية ذلك الشخص
— نعم هو وطني
— عجباً لم اسيء لوطني قط . وقد
عرضت نفسي لكل اذى وضرر لاجل
الوطنيين فلماذا ياترى يريد هذا الرجل
اهلاكى ؟ اود ان اعرفه لكي اتفاهم معه
اعذرني لا اريد ان ابوح باسمه وقد
دفع اجري مع اني لم اتض وطره كما علمت
فقال جايمس متهدداً الصعداء : اذاً لقد

فديتك ايها الاخ وليتها كانت آخر الجرائم
حتى لا تدخل السجن ثانية
فقال علي الحيزوم : ولكنني اصبحت
الان في سجنين معاً ياسيدي واودان اخص
من اشقهما
فقال جايمس : ماذا تعني ونحن في
سجن واحد فقط
— نعم المحكمة زججني في سجن وانت
زججتي في سجن آخر اصعب من ذاك
لقد احيت ضميري الميت ياسيدي وصرت
اتعذب من فكرة اني انا سبب عذابك في
هذا السجن وانت بريء لا يهمني سجن
الحكومة كثيراً لاني اعتدته والفته وأما
السجن الذي بنيتك انت في ضميري اعذابي
وما اعتدت احتماله فاود ان اخرج منه
يا صاحبي . اني اعترف امام المحكمة وأمام
الناس اجمعين اني انا مطلق الرصاصات على
هايمن . بل ازيد على ذلك اعترافاً آخر وهو
ان انا الذي رمى القنبلة أمام باب المدرسة .
وكنت اقصد بها اهلاكك تلبية لرغبة اعدائك
الذين ساوموني على اغتيالك ولكنني اخطأت
اذ وقعت القنبلة امام مركبة دالتوب التي
كنت اظنك فيها . كان الله كان يأبى الا أن
يفديك باعدائك . ولكنني استغرب انه جل
وعلا رام ان تفديني في جريمتي . بيد اني لم
اتب الى الله قاوطني في جريمة اخرى دفعت
ني الى السجن بلا رحمة . فعفوك وصفحك
ياسيدي لقد سببت لك عذاب السجن بضع

سنين . والان اريد ان اكفر عن ذنبي العظيم لك بعض الكفارة بان احمل بقية عقوبتك عنك . اني في الحبس على كل حال فلا يزيدني هذا الاعتراف شقاء . وأما أنت فبريء . فلماذا تعذب بحررتي . ساحني ياسيدي فقد ظلمت بسببي

وجئنا علي الحيزوم أمام جايوس يريد ان يقبل رجليه . فصدده جايوس قائلاً : معاذ الله يا اخي ان اقبل منك استغفاراً كهذا . لقد آثمت لله لالي فאלله استغفر . أما انا فمساحك من صميم قلبي ولست بأسف على راحتي التي ضيعتها في هذا السجن بل أنا مسرور اذ قبض الله لي ان انعش فيك حياتك الروحية . بل أنا مسرور بالاكث اذا اتاح الله لي ان ابث في جميع هؤلاء السجناء روح الوطنية وأحي فيهم ضمائرهم حتى يكونوا وطنيين صادقين متخلفين بالاخلاق اللازمة للوطن . فاذا خرجوا من هذا السجن القاسي سالمين امكنهم ان يخدموا وطنهم . واسأل الله ان يقدر لك الخروج من هذا السجن سالماً معافى حتى تستخدم ذكاءك ونشاطك وعافيتك في خدمة امتك .

لقد رأيت أيها الاخ ان الامة المصرية مظلومة فتمنيت ان اكون واحداً منها حتى يكون لي الحق ان اتجند في جندية وطنيتها . وأجاهد مع رجالها المجاهدين في سبيل تحريرها — شكراً لك يا سيدي لهذه النيرة .

ولذلك ارجو ان تخرج من هذا السجن الى ميدان الجهاد الوطني حيث تعمل مع العاملين . اني مستعد من هذه الساعة ان اعترف بالجريمة التي عوقبت انت لاجلها وانت بريء منها وفي امكاني ان اثبت التهمة علي بكل سهولة . فلماذا يجب ان افعل ؟

— اطلب مقابلة النائب العمومي واطرح له الحكاية . فان استطعت ان تقنعه انك مرتكب الجريمة انقذني والا فدعني صديقاً لك ولسائر السجناء الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

وهكذا كان : فرفع علي الحيزوم عريضة الى وزير الحفانية يلتمس فيها مقابلة النائب العمومي لاجل كشف اسرار لاتزال مجهولة ومنها حكاية القنبلة

فما تردد وزير الحفانية في أن أوفد الى السجن النائب العمومي لسماع اقوال علي الحيزوم «



الفصل العشرون

انه ذلك القريم صار مربينا

اللورد اكتشفت خلفاً لغورست بعد موته وصار
يقاوم الحزب بكل قوته
ولما خرج الدكتور جايمس من السجن
جعل كثيرون يزورونه في المنزل الذي كان
يقيم فيه وهناك به براءته
وفي تلك الايام القليلة دخل عليه الخادم
ببطاقة عليها هذا الاسم « علي بك سيف »
فتذكر انه رأى الاسم من قبل ولكن أين
كان ذلك ؟ لم يتذكر . فأوعز اليه أن يدخل
فوجد حين رأى الداخل وتذكر أنه هو
ذلك الرجل الذي رآه لأول مرة في المطعم
في لندن ثم ماشاه في الحديقة العمومية ووبخه
توبيخاً مرأباً ثم تذكر الرسالة التي وردت
منه وهو يطالب فيها بمقابله ولم يقابله بل
قابل « سنج فند » الهندي وهناك فقد
الرسالة . ثم رآه في باب قصر الفيكتوتس
فيفر حيث أوسعه من الاهانة والشم والقذف
ما لا يطيقه رجل . ثم شاهده اخيراً في
الحطة ممسكاً بيد بنته جميلة التي كان يعبدها
حياً . فانهمع فؤاده حينئذ اذ علم انه أبوها
كل هذه التذكارات مرت في مخيلته
مرور الحلم السريع . وما درى كيف يقابل
أبا حبيته بعد ان اغضبه . فتقدم اليه
وصاحه مطرقاً . ثم جلس الاثنان وهما علي

لا متسع عندنا لتفصيل ما حدث بعد
ذلك في قضية جنابة الجلاية . فقد نظرت
المحكمة في القضية في جلسة واحدة وثبتت
من صحة اقوال علي الحزوم وحكمت ببراءة
الدكتور جايمس لام . فخرج من السجن
نظيفاً من ادران الجرائم . وكان المنتظر من
وزارة الحفانية ان تدفع له تعويضاً على
ما قاساه في السجن ولكن الحفانية لا تدفع
من نفسها الا بناء على حكم المحكمة بتقدير
التعويض . والدكتور لام لم يرفع قضية
بطلب تعويض الى المحكمة المدنية فقد حسب
براءته ترضية كافية له

وخرج من السجن وهو لا ينتظر من
الانكليز اقل عطف بعد ما بدا منه من
الجملات الثورية ضد الاحتلال الانكليزي .
وانما لقي عطفاً عظيماً من بعض رجال الحزب
الوطني وعرض عليه كبير من كبرائهم
وظيفة ذات شأن في احدى المدارس الاهلية
العليا . فسر بهذا العطف وشكره للحزب
الوطني

وكان الحزب الوطني منتعشاً حين ذلك
في اواخر ايام السير الدين غورست الذي
خلف اللورد كرومر . فكان الدكتور جايمس
لام من انصار الحزب ولكن ما لبث ان تعين

منذ ذلك الحين وماحسبتك مسيئاً لمن تعرض لما يعنيه . ولكن ثق يا سيدي اني لما اكتشف مكيدة ضدك رأيت ان التعرض واجب مهما كان فضولاً . هل علمت حينئذ ان زيارتك لرقم ٢٣ في شارع غندي في لندن كانت نتيجة مكيدة مدبرة ضدحياتك وقد تداركتها ولكني لم أفهم كيف انتهى بك الامر الى منزل سيدة كنت فيه كصاحب الامر والنهي . ولا فهمت شأن ذاك الرجل الذي نقلك الى هناك

فنظر اليه الدكتور جايمس كانه يستفهم عن أمر خطر له حديثاً وقال : اذاً كيف عرفت المكيدة ؟

— عرفت لانني كنت أعرف الرجاءين اللذين أخذاك من بيت سنغ فند ووضعاك في الاتوموبيل بينهما . والذي ظننته حينئذ أن الحوذي المتآمر معهما خدعهما

— عجباً . اذاً كنت تعرف شخصين أخذاني من عند « سنغ فند » وأنا في سبات ولم أرهما قط ولا علمت بأمرهما ؟
— نعم كنت أعرفهما وأعرف أنهما يطلبان دمك ؟

بالعجب ! لماذا يطلبان دمي . ومن هما وكيف تعرفهما ؟

— هما الشخصان اللذان حاولا اغتيالك هنا مرتين ففشلا كما قرأنا أخيراً تفصيل اقرار « علي الحيزوم » الذي كان معك في السجن فحماق جايمس لام في علي بك وقال :

سيف جايمس ببراهته وقال له : لا ادري ان كنت تتذكرني يا دكتور

وبقي الدكتور جايمس مطرقاً ولكنه قال : لملك الشخص الوحيد الذي لا أنساه وما تغيرت في المدة التي مضت الا قليلاً . ان الرجل في بدء كهولته لا يغيره عقد من السنين

— أخاف أن تكون زيارتي مسيئة لك يا دكتور

— انها لكذلك ياسيدي
فاختلج علي بك سيف وهب من مكانه يريد الخروج وهو يقول اني آسف لازعاجك يا دكتور . ما جئت الا لاهنتك كسائر من زاروك

— أما أنا فارجو بقاءك ولو دقائق قليلة أشكرها لك شكراً عظيماً
— اني اشفق من أن أزعجك يا دكتور بزيارة مسيئة

— اجل ان زيارتك ازعجتني ياسيدي وساءتني لانها احرق ضميري بنار مستعرة . لا أنسى اني اهنتك اهانات لا يحتملها الا الحكيم الكريم الذي لا يجاري في حلمه وليس في وسعي أن اكفر عنها . فزيارتك الان جمعت كل نيران الجحيم في ضميري . فارجو منك صفحاً ومغفرة والا فلا قبل لي على احتمال تبكيت ضميري

فتהל علي بك سيف لهذه المقدمة واطمان وقال : لقد عذرتك يا جناب الدكتور

يا لله أتعرفهما ؟ . .

فقال علي بك ، أجل اني أعرف جيداً الشخصين اللذين اغويا علي الحيزوم أن يلقي قنبلة عليك حين تكون أمام المدرسة ، فكادت القنبلة تصيب مركبة المستر دالوب . ثم اغرياه ثانياً ليقتلك في حديقة الازبكية فاصابت الرصاصة صديقك المفتش المستر هايمن

- ارجو منك أن تخبرني من هما هذان الشخصان . ولماذا يطلبان حياتي مع اني لم أسىء الى أحد ؟

- نعم . ولو شئت يوم التقينا في لندن أن تحجب طلبي الذي قدمته لك بخطاب خاص ، أي أن تقابل مرة أخرى ، لشرحت لك كل الاسرار المكتنفة حياتك

- الحق ان حياتي أصبحت غريبة عندي فما وجدت في العالم شخصاً في بحر من الاسرار مثالي . فاخبرني ياسيدي . اني مسرور بهذا اللقاء السعيد الذي تفتح فيه كتاب حياتي المجهولة - وانا سعيد بان يتاح لي أن أتلو عليك هذا الكتاب المختوم الآن

- أشكرك .

- انت تعرف انك كنت في حضارة شندي لال الهندي اولاً

- نعم

- الا تذكر اين كنت قبلاً ؟

- اذكر كالحلم اني كنت مع اناس آخرين ولكن من هم وماذا كانوا لا اذكر لانني كنت صغيراً . ولما كنت اذكر هذه الامور

التي كالأحلام لشندي لال الذي كان يزعم انه ابني كان يقول لي : « نعم . بعد ان ماتت أمك اضطرت ان اتغيب فاودعتك عند أقارب لي ربما عدت . وكان عمرك حينئذ ثلاث سنين تقريباً

- لقد كذب شندي لال . كنت أولاً في منزلي مع امرأتي وبنتي التي تكبرها أنت نحو سنتين . وكان حينئذ ذاك الشخصان اللذان يريدان اغتيالك . فابعدتك الى مكان كنت أظن أنه آمن لك من منزلي ، اذ كنت أنا حينئذ قائداً في ثورة عرابي ، وكنت من جملة قواد جيشه والحالة فوضى . ومن حسن الحظ أن طالبي دمك لم يظفروا بك وإنما جاء شندي لال ومعه زنجي وسرقاك بحيلة غريبة

وهنا روى علي بك سيف حيلة شندي لال السحرية أو الشعوذية ، فقال جاييس . نعم انه كان يشعوذ احياناً . هذا امر يصدق عليه . وابن كنت قبل ان اكون في منزلك - جاء بك الى منزلي رجل صديق لي

زعم انك ابن غير شرعي له وانه حائر ماذا يفعل بك . فتعجبت الى زوجتي أن تقبل ذلك الطفل وهو في اشهره الاولى وتربيته فنجعله ابناً لنا . لاسها لم تلد اولاداً الا بعد وجودك عندنا بسنتين اذ ولدت بنتاً . فرضيت . هذا ما ظهر لزوجتي والحقيقة غير ذلك . وإنما كذبت على زوجتي بهذه الحيلة حتى لا تبحث عن اصل الطفل وعن اهله ولا تزعجني باستئثارها

يفوضني فيه بتريثك وتنفيذ وصيته فيك .
وهالك نص الوصية التي لمجملتك الوريث الشرعي
الوحيد لانك ابنه الشرعي الوحيد . وهالك
عقد الزواج الشرعي بينه وبين امك مرغريت
جون صوان التي طلقها بعد ان ولدتك ببرهة
قصيرة . وترى في وصية ابيك نصاً صريحاً
على انه هو الذي وشم هذه العلامة في ايسر
صدرك لتكون علامة لك ، فلا استطع انا
أو غيري ان نجعلها في طفل آخر وندعي له
الارث . تفضل اقرأها

فتناول جايمس الاوراق وجعل يقرأها
مندهباً كأنه يقرأ رواية خيالية ولا يكاد
يصدق ان ما يقرأ حقيقة الى ان انتهى من
القراءة فنظر الى علي بك متنبهاً وقال : هذه
نسخ عن الاصول فاين الاوراق الاصلية
القانونية ؟

- أعلم يا عزيزي اني رفعت الى المحكمة
قضية اكف فيها زوجة ابيك لطيفة هانم
واخوها ابني عمه عن تركته ريثما اجد ابنه
الذي فقده ، وقالوا انه مات . وبهذه القضية
كففت ايدي بني المهندي المذكورين عن
التركة نحو عشرين سنة الى الآن . واخيراً
زوروا شخصاً آخر سواك ووشموا صدره
بالعلامة وكادوا يأخذون حكماً لمصلحتهم

فظهرت الدهشة العظيمة على جايمس
وقال : يا للدهاء والمكر ! الحق أقول لك
يا علي بك ان اكتشافي ثروة هائلة كانت
مكتومة عني لم يحرك عواطفني عشر معشار

- اذاً اين كنت قبل ان يؤتى بي اليك ؟
- كنت عند مرضعة ترضعت وهي
لا تعرف ابويك

- اذاً لست انت أبي من هما ابواي ؟
- قبل ان ابوح لك بالسر اود ان
انا كد اولاً ان كان الوشم الذي هو علامة
الطفل الحقيقية موجوداً حقيقة في ايسر صدرك
- نعم هو موجود . هل تريد ان تراه ؟
- اشكرك . ارني

وكشف جايمس عن صدره ورأى علي
بك سيف العلامة التي تقدم ذكرها غير مرة
وهو لا يكاد يصدق لأن الشخص الذي قدمه
المهنديون للمحكمة كان في صدره مثل هذه
العلامة ايضاً . ولكن وجود العلامة في صدر
جايمس لم يبق محلاً للشك في ان ذلك الشخص
مزور . فقال علي بك حينئذ . الآن اطمانت
نفسي وقد بلغت الوتر . هذه العلامة صادقة
لا غش فيها . اذن انت ابن علي باشا الريبي
من زوجته السرية الشرعية مرغريت بنت
المستر جون صوان . فانت اذاً الوريث الشرعي
التركة علي باشا الريبي التي تربو على المليون
جنيه واسمك الحقيقي « جميل »

فبهت جايمس لام ثم قال . يا للعجب
العجاب . احقيقة ما تقول ام انت مازح
يلهي بك ؟

- هالك نص الاوراق الرسمية التي تثبت
كلامي . هذه نسخة خطاب من علي باشا ابيك

— تقول ان زواج ابي من امي بنت صوان كان سرّاً . فلماذا ؟

— لان أباك كان متزوجاً بنت عمه

لطيفة اخت حسن وحامد المهندي .

فزوجته ثانياً يغيبهم طبعاً ويغيب زوجته

على الاخص . وزوجته لطيفة كانت داهية

ذات سلطان عليه كأنها السحر الفاتن . ولهذا

تزوج سرّاً مرغريت صوان الى ان تسنح

له فرصة لاعلان زواجه بها . فلما اكتشفوا

هذا الزواج « اقاموا القيامة » وما زالوا

هم وأبوه ، أى جدك ، يخرجونه حتى سلب

بطلاق امك فطلقها مكرهاً . وبعد ذلك

نمي اليهم انها ولدتك وأن أباك كتب سرّاً

لوراقاً تثبت شرعية بنوتك له لانه كان

يكرههم لجشعهم وسوء نياتهم ، فكان

يريد ان يغيبهم ويحبط آمالهم ولا سيما

اذ علم سوء مقاصدهم ، فتغيظوا شديد

الغيظ وصاروا يطلبون دمك

وكان جايوس يسمع الكلام وهو

يتقلب الوائناً من امتناع الى الكفهرار ومن

تورد الى ازمهرار اشدة انفعالاته فقال :

وامي ؟ هل كانت غبية حتى تقبل أن

يتزوجها ابي متى شاء ويطلقها متى شاء ؟

— كانت تحب أباك . وكان أبوك يمنيها

انه سيعلم زواجه بها ويطلق تلك متى

سنحت الفرصة — كان أبوك صديقي

الحميم وكان يشكو اليّ همومه . ففهمت

ما حركها قولك ان اولئك الاشخاص

زوروا شخصاً محل محلي . اني في شك من

قرايتهم لان دم القرابة لا يصير ماء وهل

يغتال ابناء الاعمام بعضهم بعضاً . فلماذا

لقبتهم مهندين اذا كانوا اولاد عم ابي

— لان جدكم كان يلقب ابا عم بالمهندي

اذ كان يحب الفروسية والقتال وقد اضاع

نصيبه من ارث ابيه وصار هو واولاده

يطمعون بحق علي . ولذلك زوجوه اختهم

أي ابنة عمه لكي تبقى أيديهم متداخلة

في شؤونه . واسوء حظهم ان اختهم عاقر

لم تلد . فلما تزوج أبوك أمك مرغريت

سرّاً واكتشفوا انك ولدت منها وانك

الابن الشرعي الوحيد الذي ستأول اليه

تلك الثروة كدوا يحنون وصاروا يطلبون

دمك . وما زالوا يحاولون اغتيالك الى

اليوم . ولكنهم كانوا دائماً يقتلون لان

الله ينصر الحق على الباطل

فبنت جايوس لام وبقي برهة مكفهرّاً

لا يتكلم كأن سحراً وقع عليه الى ان قال :

يا الله . ما ذنبي اذا كان ابواي شرعيين وقد

ولداني شرعاً ، فلماذا لم ينتقموا من ابوي ؟

— ما كانت النعمة تهمهم وانما كانوا

يطمعون بالتركة ، كانوا يحاولون ان يزيلوا

من طريقهم مانعاً يمنع ايلولة التركة اليهم .

فلو استطاعوا أن يهلكوك لآت التركة

اليهم بلا نزاع لانهم الوارثون الاولون

لوالدك

يبحثون عنك ظننت أن شندي لال سرقك
بايعاز من أمك. وما سافرت أنا الى انكلترا
الا لاجت من أمك فسألت كثيرين عن
جون صوان فلم أقف له على اثر. ثم
ظهر لي بعدئذ أن شندي لال لم يكن ذا
اتصال بأمك. وهكذا بقي سر شندي لال
محيراً لي

وبقي جايمس بعد ذلك برهة يفكر
الى أن قال باسمها: الحق انك كشفت لي
الان سفر اسرار حياتي التي كنت اجعلها.
أما ابي فقد مات ...

— نعم مات في السجن لانه كان من
المتهمين بالحركة العرايية

— بقي اذن سر واحد فقط وهو

أمي. أين أمي يا تري؟ هل لم نزل حية
أو ماتت؟ على المستقبل ان يكشف هذا السر

— اذا تسمح لي منذ الان ان اعلن

للمحكمة والملاء اسمك الاصلى اي «جميل

بك الرببي» وان اضيف اليه لقب

الدكتور لانك حائز باجتهدك على رتبة

الدكترة في الفلسفة. ثم اسمح لي ان اقدم

للمحكمة معارضة لتزوير المهندسين وان

اقدمك بصفة كونك الابن الشرعي لابي

باشا الرببي

— بلا شك، لك ان تفعل ذلك

وتنفذ وصية ابي وتتقاضى اتمالك حتى

لو استغرقت التركة كلها. فلا بأس.

اني رجل لا احب المال ولا اسمي اليه

منه حينئذ انه تزوج امك سرّاً لان أهلها
كانوا يحاولون دون حدوث هذا الزواج
ولاسيما اذ علموا أن أهل أبيك يرفضون.
ولما حدث الزواج بغير علمهم استاءوا
جداً وكادوا ينكرون بنتهم لاجله. ولما
حدث الطلاق راموا ان يحسبوا الزواج
كانه لم يحدث وكان بنتهم لا تزال عذراء.

وكانوا يطمعون أن يزوجوها نبيلاً من
النبلاء لان أباهما جمع ثروة في الهند وعاد
الى انكلترا لهذا الغرض ولكي يعيش فيها
عيشة النبلاء

— وكيف عرف علي باشا ابن الرببي
امي مرغريت؟

— كان ابواها عائدين من الهند الى

انكلترا فمرجا الى مصر وقضيا فيها فصلاً.

فتعرف ابوك بمرغريت مصادفةً وجرى

الحب بينهما جري الكهرباء في الاسلاك

وشعر كل منهما بممانعة ابويه. ففقدوا

زواجهما سرّاً

وبعد ان فكر جايمس لام طويلاً قال

— لنعد الى عهد شندي لال يا علي بك.

لماذا سرقني منك شندي لال؟ هل

تعرف؟

— هذا هو السر الذي حيرني جداً

ولا يزال لغزاً. ففي أول الامر خطر لي

ان شندي لال كان صنيعه المهندسين وقد

سرقك لكي يأخذك لهم. ولكنني لما

علمت بعدئذ أن المهندسين لا يزالون

وانما انا عبد للفضيلة واحب اهل الفضل .
 فانا مدين لك بحياتي لانك حرصت على
 سلامتي في عهد الطفولة وحاولت انقاذني
 مرة في عهد الشبيبة . وهذا فضل عظيم
 جداً لا تساويه تركه الربيعي . واعتبر اني
 ما زلت كابنك الذي عنيت به في عهد
 الطفولة . وابتدئته
 وتصافح الرجلان وعيونهما مغرورة
 تأثراً
 وخرج علي بك وترك جميلاً او
 جايوس ينتعش آمالاً

الفصل الحادي والعشرون

ولقاء فرطه فيه دواء

وكان علي بك مبهجاً بالتناجح العظيمة
 التي وصل اليها بعد ان هيا المذكرة الهائلة
 التي سيقدمها للمحكمة هادماً كل ما بناه
 آل المهندي من القصور والعلاي . كان
 جالساً في مجلسه الخاص فجاءت ابنته
 جميلة تساله امراً اعتيادياً فقال لها اجلسي
 يا ابنتي فان لي كلمة معك جوهرية
 فجلست جميلة متوردة كأنها احست بما
 يريد ان يقول . وقال : لقد تجاوزت
 يا ابنتي الثلاثين بالرغم من ان امك
 تدعي انك لم تتجاوزي الرابعة والعشرين
 بعد . فاذا كانت نضارة اهابك الان تموه
 على حقيقة سنك واذا كان سناء طلمتلك
 يجمد زهور ربيع حياتك كل يوم فقد
 تدبل هذه النضارة وينكد هذا السناء
 وتصبحين قليلة الصلاحية لزواج صالح
 فقاطعتة قائلة : قلت لك يا ابنتي مراراً
 اني لا اريد ان اتزوج . حتى متى تعود
 الى هذا الموضوع ؟ ان كنت تهتم بامر
 عيشي فانا لا اهتم . استطيع ان اكون
 معلمة في مدرسة راقية لاني تعلمت اكثر
 مما يلزم للمعلمة . والفضل في ذلك راجع
 لك على كل حال
 — ويحك يا ابنتي . كم ولد لي حتى
 اذمر من وجودك في بيتي وانت حشاشتي
 الوحيدة . وانما اقصد بزواجك خيرك .
 وفي نفسي ان اجعلك زوجة خير الفتيان
 وقد
 فازداد تورد جميلة وقالت : رحمة
 يا ابي . لقد ضاق ذرعي . ارجو ان تلقي
 هذا الهم عن ظهرك فلا اريد ان اتزوج
 — هذا كلام لا يسمع يا ابنتي . الزواج
 امنية كل فتى وفتاة . فلا بد ان يكون في
 نفسك مطمع بفتى ولا تزالين تؤملين ان

— اذا كانت هذه عواطفك نحو

يا ابي فارجو منك الا* ترغمني على زواج
ولا تمنعني عن زواج اوده

— وحياتك يا جميلة اذا لم يكن من

اقدمه لك عريساً افضل جداً ممن اخترته
انت فلا ارغمك قط على اخذه

— اذا تترك الحكم لي بين من تقدمه

انت واقدمه لنفسي

— لك الحكم بامرك يا ابنتي اولا

وآخرأ على كل حال . وما علي الا ان

اقدم نصيحتي لك ولا الزمك بقبولها

— شكراً لا خلاصك وثقتك بي يا ابي .

اذا سأجاوبك بعد بضعة أيام

وخرجت وهو يقول في نفسه . تجب

الملاينة كتوطئة للاعتراف . اما المقاومة

فتريد التشبث والعناد . سأمزق قلبها عن

اي فتى حتى ولو كان اميراً ولا ازوجها

الا لجميل فاكون سيد بيتي

وفي تلك الاثناء جاء الى جايمس لام

ابن الاخرى جميل الرأبي فتى يقول له :

ان الشخص الذي ارسل لك الكتاب منذ

خمس سنين تقريباً يرجو منك الان ان

تقابله في داخل حديقة الجزيرة الشرقية

الجنوبية

فتنبه جايمس وحمل في الفتى قائلاً :

أأنت نفس الشخص الذي جاءني بالكتاب

حينذاك ؟

نخطبك . فاكشفني لي ما في نفسك . واذا

كان من تودينه كفؤاً لك وبينك وبينه

حجب وعقبات فاني وحياتك ازيلها .

فبوحى لي بما في ضميرك وأنا نصيرك .

انا لا ابتغي الا سعادتك وسعادة قلبك .

فهل تحبين فتى معيناً ؟

فازداد تورد جميلة وقالت : لا

— اجل . لا تمكري عليّ . اقسم لك

بقلبي الذي يحبك فوق كل شيء اني

لا استاء اذا بحت لي بما في نفسك من

هذا القليل . واني اسهل الامر اذا افضيت

اليّ به

فسكتت جميلة ولم تجب . ففهم ابوها

ان ظنه اصاب كبدا الحقيقة فعاد يلح على

ابنته ان تخبره عن الشخص الذي تحبه

وتؤمل ان تزوجه ، ويقنعها ان حبها له

سراً لا يوصلها الى نتيجة بل لا بد من

توسط اشخاص في الامر يغرون الشخص

او يزينون له أو يسهلون السبيل له . والا

فتقضي حياتها تحب وليس من يعلم فتكون

كالصباح تحت المكيال لا ينير لاحد غير

نفسه

فتشجعت الفتاة وقالت : اذا امهلني

يا ابت بضعة ايام قليلة فاجيبك على

سؤالك هذا

— امهلك . ويسرني ان تثقي بابيك

وباخلاصه وتكشفني اسرار نفسك له فهو

ا كفل الناس بمسرة قلبك

— نعم

— لقد كذبت علي حينئذ

فاكفهر وجه الفتى وقال : كيف ذلك

يا سيدي ؟

— نعم . في ذلك الحين قلت لي مثل

هذا القول وذهبت الى الجزيرة فما رأيت

احداً ينتظرني هناك

— ما على الرسول الا البلاغ يا سيدي .

ذاك ما قيل لي حينئذ وهذا ما قيل لي

اليوم

— من ارسلك وقال لك ؟

— عذراً يا سيدي . ان مهمتي انتهت

وانت حر في ان تصدقني او تكذبني .

السلام عليكم

وادار الفتى ظهره وخرج وجامس

يستمله فلم يصغ اليه وانسل في لحظة

وتوارى . وبقي جامس يفكر . هل

يمكن ان تكون جميلة موفدة هذا الرسول ؟

لم يجسر ان يسأل اباها كلمة بشأنها في

جلسته الماضية معه بل بقي متجاهلاً اياها

ومتظاهراً أنه لا يعرفها حتى ولا يعرف

ان كانت بنت علي بك لا تزال في بيت

ابيه او تزوجها أحد . خاف أن يقرب

الى هذا الموضوع لئلا تقوم الشبهات في

ذهن علي بك لانه كان يخاف أن يستاء

فيما لو عرف أن بينه وبين بنته علاقة

سرية قديمة ولو كانت علاقة بسيطة .

لذلك بقي صامتاً مسلماً الامر للمقادير

وكان يتوقع أن علي بك سيدعوه الى منزله

يوماً . ولكن كيف يرى جميلة وهي

متحجبة في خدرها

فلما جاء الرسول كان اول ما خطر له

ان يكون رسول جميلة اليه . لان ذلك

الكتاب الذي كان علامة السر بينهما

لا يمكن أن يأتي الا منها . ولكن لماذا لم

تنجز وعدها في المرة الاولى منذ خمس

سنين وتلاقيه في الجزيرة كما انباه الرسول ؟

هل يمكن ان يكون في الامر مكيدة ؟

هذامحور الافكار التي حامت في ذهن

جامس حينئذ وقال في نفسه أخيراً : يحتمل

ان يكون في الامر مكيدة ، ويحتمل أن

يكون الرسول من قبل جميلة فعلاً .

فلاستعدن للامرين

وأودع مسدساً في جيبه وركب مركبة

الى الجزيرة ودخل الى الحديقة المعينة

وطاف فيها وهو يلتفت الى هنا وهناك كأنه

يخشى شراً ، مع ان الوقت كان الساعة

العاشرة صباحاً وارتكاب الجرائم والتهرب

غير سهلين في تلك الحديقة . ولكن جامس

خشى أن يكون الغادر خارج سور الحديقة

الذي معظمه نبات متعشر ، وان يطلق

الرصاص عليه من خلال ذلك السور

ويمضي فلا يدري به أحد . ولذلك كان

يمشي متباعداً عن السور حذراً متلفتاً .

فطاف الحديقة على هذا النحو . وما كان

فيها الا القليل من الناس لأن الوقت ليس وقت نزهة . فلم يشتبه باحد ينتظره حتى ولا رأى سيدة متأزرة مقنعة . فكاد يحسب أمه وانما رأى سيدة بزي افرنجي تمشى وتلفت اليه كأنها ترمقة بنظراتها من خلال قناع كثيف يشمل وجهها وقبعتها . فاشتبه بهذه السيدة ثم أوجس منها وخشي أن تكون مكيدة له . فتتبعها وهي تلتفت حيناً بعد آخر لفتات خفيفة جداً كافية لأن ترمقه في اثائها . ثم جلست على مقعد في زاوية الحديقة تخاف ان يقترب اليها لئلا يكون وراء السور من يضمر الغدر به . وقد صدق ظنه اذ شعر بشخص يتردد وراء السور . فتوقف وجعل يمشى مقابل المرأة عن بعد ثم رفعت المرأة نقابها وتراءى له وجهها جميلاً فحسبها من بنات الهوى . وازداد ايجاساً وتخوفاً اذ ردت قناعها على وجهها وبقي يمشى بعيداً عنها وعيناه قلما ترتدان عنها .

ثم نهضت المرأة ومشى الهويناً في طريق يتصل بالمكان الذي كان يمشى فيه حتى اقتربت منه متجهة نحوه ، وقد أصبحت على قيد خمسة أو ستة أمتار منه فاخرج مسدسه وسدده اليها قائلاً : مكانك يا هذه لا تقربي قبل أن أتأكد اصديقة أنت ام عدوة

فتراجعت المرأة الى الوراء جازعة

فتمثرت ووقعت على الارض وقد صرخت صرخة حينذاك . ثم نهضت راكعة تحاول النهوض فلم تستطع كأن قوتها وهت وقالت : رحمتك . عفوك ! أما انت الدكتور جايمس لام

— بلى . ولكن ذكر اسمي لا يكفي

لاطمئن اني في مأمن من غدرك

— ربا لماذا ترتاب بي وتخاف غدري ؟

— لاني علمت ان حياتي محفوفة

بصنوف الغدر

— اما ابلغك رسولي رسالي ؟

— نعم . واسكنه لم يبلغني من قبلك

من هو موفد

— اما ذكر لك الكتاب كعلامة ؟

— بلى . وانما هذه العلامة ضاللتني منذ

خمس سنين ومرسلها كذب علي فلم اعد اتق بها .

— اما انقذك ذلك الميعاد المكذوب

من شر القنبلة ؟

— حقيقة انقذني

— كفى اذاً صدقاً من رسالة بيمعاد .

ذاك فقط كان الغرض من الرسالة والرسول وعلامة الكتاب . فهل تريد علامة اخرى ؟

— نعم لقد أصبحت قليل الثقة بالناس

— هل تذكر الشكولاته وضممنها

رسالتك وقد اتيت بها بنفسك الى قصر

البلادي فينفر في لندن ؟

— لم انس ولن انس . هل من علامة

اخرى ؟

— هل تذكر رسالتك في زاوية بيت

مسز برون ؟

— لا انسى . كفى كفى يا جميلة

ورمى المسدس على الارض وتقدم

اليها متضرعا قائلا : حتى لو كنت غادرة

فالعذر منك نعمة . عفواً يا مليكة فؤادي .

ان زيك الاوربي بالقسطان الضيق (كذا

كانت الموضة حينئذ) وقبعتك الواسعة

وقناعتك (فوال) الكثيف صرفت ذهني

عنك الى مظنة العذر بي . كنت اتوقع ان

اراك في ثوب مصري بحت مستترة بازار

(حبرة) ومبرقة او منقبة (ببشمق)

— فقالت جميلة : ما تزييت بهذا الزي

إلا تنكراً . ان اجتماعي بك الآن تحرمه

التقاليد والعادات تخفت ان امسك مجرمة

هذا الجرم ، وبحكم عليّ بعار . فتزييت

بالزي الذي يسوّغ لقاء المرأة برجل في

حديقة عمومية كهذه . وهذا النقاب

الكثيف كاف لان يحميني من أنظار من

يعرفوني ان كان لاحد هم سبيل الى هنا

مصادفة .

— هلمي اذاً نتفيا تلك الشجرة الغضة

في زاوية الحديقة على المقعد حيث لارقيب

ولا عذول ولا شاهد الا الله وهو خير

الشهود . ان النصف الاعظم مما مضى

من عمري ضيعته في انتظار لقائك مرة

واحدة .

وعاد الى حيث كانت جميلة اولاً وهو

يقودها منتفض اليد والقلب معاً ، كأن

هزة عصبية اعترته وهي ترتجف كمن

خرج من السباحة في بحر بارد الماء

ولما جلسا جعل ينظر اليها وهي مطرقة

حياء مرتجفة خوفاً وتائراً . ثم قال لها :

انظري الي لا تحقق هل انت جميلة

فتفرست فيه وهي تتورد حتى صار

خداها كالبحر وقالت محاولة الابتسام :

كدت تقتلني

— اما انت فقد قتلتني مراراً وكل مرة

كان الامل يحيني ثانية

— من اين لي ان اعرف هذا ؟

— ما معنى الكتاب المهدى اليك من

دورا . اما عرفت انه ليس من دورا بل

مني ؟ اما رأيتني في المحطة قبيل تركك لندن ؟

— رأيتك طبعاً . وانما بقيت في شك

لاني كتبت لك قبلا رسالتين اودعتها في

حفرة الزاوية التي عينتها صندوق بوسطة

لنا ورسالة اخرى اودعتها في مكتبك ،

فلم تجبني على واحدة منهما مع اني قصدت

الى تلك الزاوية مراراً

— لم اظفر بالرسالتين يا عزيزتي الا

قبيل سفرك بيوم واحد اذ ورد عليّ مع

نص رسالتي الاولى لك ضمن ظرف

مختوم بواسطة البريد مع رسالة من شخص

مجهول لم اعلم من هو ولم افهم كيف اتصلت

عليّ حكايات شائنة . ولهذا لم أعد أجسر أن
التقي بك

- ولكنني الى الآن لم أفهم تداخل

تلك السيدة المتكبرة فقد قابلتها مرة قبل تلك
المرّة بمدة طويلة فقابلتني بخشونة وفضاظة لم
أعدها من امرأة في العالم . فصرت أكرهها
ولكنها بعد كل من المقابلتين كانت تحاول
أن تسترضيني بأي الوسائل . وفي المرة الثالثة
أي بعد خروجك من عندها سأقتني المقادير
اليها بالرغم مني فبذلت جهدها في أن تسترضيني
فانتقمتم منها شر نعمة اذ أوسعتها من الاهانات
ما لا يحتمل ومع ذلك احتملت . فلا أدري
كيف صبرت عليّ حينئذ . والى الآن لم
أفهم سر تصرف تلك المرأة معي تارة شموخ
واخرى رضوخ ، كما اني لم أفهم سر مراقبة
ذلك الرجل الملتحي لنا . وأرجح أنه هو
الذي كان يقتص رسائلنا وقد أرسلها الي في
آخر ساعة

- ولماذا لم تسع اليّ بعد مجيئك الى مصر

- لم اهتمد الي عنوانك وأنت لم تكتبي

لي عنوانك مع انه كان غرضي من ارسال
الكتاب اليك في الحطة ان تفهمي قصدي
هذا . فانتظرت طويلا رسالة منك

- لم أجسر أن أكتب لك لانني لم أكن

واقفة منك

- وأنا لم أستطع أن اعرف عنوانك

لاني لم أعرف اسم ابيك وكنت معروفة عند
معارفك في لندن باسم جميلة المصرية وهو اسم عام

الرسالتان به . وانما ظننت انه هو الشخص
ذو اللحية الذي كنا نراه كلما التقينا به
كأنه ظل لنا . هل تذكرينه ؟

- نعم . لا انساه وكثيراً ما كنت اراه

هناك فظننته من سكان الحي الجدد ،
ولكن ما شأنه حتى يراقبنا ويقتص رسائلنا
- انه لثقل وان كان له علي فضل

اذا صحت الرواية ، أي فضل المنقذ ،
اذ خلصني من مكيدة . اظنه كان صنيعة
الفيكونتس فيفر وجاسوساً لها

- ولكن ماغرضها من التجسس عليّ .

فقد هلع فؤادي لما ابدا منها يوم جئت بهديتك
الحلوة المتضمنة رسالتك الشعرية .

- هل قرأت الرسالة ؟

- لم يتسن لي أن أقرأها جيداً لانني

رأيت الفيكونتس في غضب شديد كالجنونة
والظاهر أنها عصبية المزاج واعلمها هستيرية
أيضاً . لأنها بعد مناقشتها معك عادت اليّ تكلمني

وهي تنفّض من شدة التهيج وجعلت تسألني

ما هي علاقتي بك . تخفت من سوء العقبي

وانكرت كل علاقة بك واكدت لها اني

لا أعرفك ولا رأيك . ولم أعد استلذ البقاء

عندها . وبعد ماخرجت من عندها صرت

الاحظ ذا اللحية فحسبته في أول الأمر من

سكان الحي المستجدين ولكن مالبث أن

خامرني الشك بانه جاسوس لها . فصرت

شديدة الحذر والخوف ولا سيما لانني متصونة

في عهدة اناس . تخفت ان ذاك الرجل يخلق

فابتسمت جميلة وقالت : وما معنى اني
أحفظ الكتاب عندي وأرسله لك كعلامة
— حضرت حسب ايمارك مع رسولك
الى الجزيرة فلم أصادف أحداً
فضحكك جميلة وقالت : عجباً اذاً لماذا
كنت تطارد المركبة التي كانت فيها سيدتان
من الحرم ؟

— اشتبهت فيها ولكني لم أتناكد .
ولماذا لم تدعيني أراك حينئذ

— لقد كانت أُمي معي في المركبة وهي
غير دارية بقصدي . وكان في عزمي أن أخرج
بالمركبة وحدي في ذلك الصباح ولكن أُمي
أبت الا أن ترافقني ، ولهذا لم استطع أن
أقابلك . ولكن الغرض الذي لاجله اجتهدت
أن أقابلك انقضى كما أروم والحمد لله اذ نجوت
من شر القنبلة

— أما أنت التي كلمت ناظر المدرسة
تلفونياً تعتذرين عن تأخري ؟

— نعم خفت أن تتهم مسؤولية عن تأخرك
ولكني بعد ذلك شعرت بخطائي في التكلم
بالتلفون مع الناظر لأنك كنت عائداً الى
المدرسة على كل حال

— ولكن كيف كنت تعرفين بمكيدة
القنبلة قبل وقوعها حتى حاولت أن تجنّبيني
خطرها ؟

فاكفهرت جميلة وقالت : في تلك الايام
ذاع بين طلبة المدارس اسمك كثيراً وكان
يقال انك تحب الطلبة وتعترف بان نظارة

المعارف تماكس التعليم . وكان لي بين الطلبة
قريب متهوس يتحدثني بهذا الحديث . وحينئذ
رجعت أن الدكتور جايمس لام هو الشخص
الذي أعرفه . فكنت اتوق لمقابلتك ، وبحسب
عادتنا لا أستطيع أن أسعى اليك . ولكن
يظهر ان الله رام أن ينقذك فجعلني أعثر على
شخص خادم روى لي حكاية لم أصدقها في
أول الامر ، وهي أن أناساً يستعدون أن
يقذفوا قنبلة في طريقك أمام باب المدرسة
بقصد اغتيالك

— عجباً كيف عرفت ذلك ؟

— بعض الناس يظنون الخدمة البرابرة
بلهاء فيتكلمون أمامهم كلاماً يظنونهم لا يفهمونه
وأحياناً يشقون بهم ويظنونهم لا يفشون الاسرار
ولكن هؤلاء البرابرة يتسارون فيما بينهم
ويحسبون أنهم لا يزالون يكتمون السر . فقد
علمت من بربري عندنا أن أناساً يستعدون
لقذف قنبلة عليك في صباح ذلك اليوم . فلم
أر بداً من وسيلة لعاقلتك عن المدرسة في
الميعاد المعين . فارسلت لك الكتاب كعلامة
مني حتى تقابلني ، ولكن يظهر أن أُمي
أحست في ذلك الصباح أن في نفسي شيئاً
فأبت الا أن ترافقني لكي تكتشف أمري .
وقد تأخرنا فجعلنا طريقنا أمام المدرسة وعلمنا
أن القنبلة انفجرت وانقضى الأمر . ولم كان
سروري عظيم حين رأيته في الجزيرة سالماً
فكاد جايمس أو جميل ياتهمها بنظره
حجاً ، وما منعه عن ضمها الى صدره وتقبيلا

- انك يا عزيزتي تطالبين مني ما لا استطعه
- عجباً . انت متعلم وعصري وتعلم أن
الله واحد ويمكن الانسان ان يعبد على أي
دين من أديانه

- ولكني لا أريد أن أغير الدين الذي
ولدت فيه ولا الجنسية التي نشأت منها

فاكملت جملة وصار قوادها يخفق في
صدرها وقالت : اذنأ لقد خاب الامل .
وانقطع الرجاء

- أخاف أن يمقتني أبوك اذا رأى اني
اغير ديني وجنسيتي بسهولة . فهل تضمنين ...

- اضمن كل شيء فاذا زالت هاتان
العقبتان من السبيل فهو يترك لي الحكم اخيراً
- ولكني لا أجد في تغيير دين آبائي
وجنسيتهم ما يزيدني قيمة في عيني أهلك

يا عزيزتي

- بلى : بربك . افعل كما أقول لك والا
فلا أضمن ...

عند ذلك راعها ظهور علي بك أيتها
بغثة أمامها كأنه ابليس الذي نبت من قلب
الأرض . فارتعدت جميلة واكفهر وجهها فرقاً
وصارت ترتجف جزعاً . وكذلك جايس .
شحب لونه ثم تورد حياء . وقالت جميلة :
أبت ! لقد أمت واستحق العقاب فارجو ألا
تعاقبني هنا لئلا يكون عقابي مضاعفاً

وقال جايس . بل ارجو منك أن تصب
جام غضبك علي . فها هي المذنبه بل أنا

لا خشية غضبها لما يعهده من تصونها وتحصنها
بعفافها وقال : افديك الف مرة يا جميلة لقد
لاح في بالي أن تكوني بدالعناية التي انقذتني
من شر تلك القنبلة ، ولكني ما سلمت من
التهمة بالمكيدة لدا لوب . ثم ان أولئك الكائدين
ما فتئوا يكيدون لي حتي أودوا بي الى السجن
أخيراً كما علمت ولا بد . ولذلك لم يعد يتسنى
لي أن أبحث عنك . أما الآن وقد قبض الله
لنا اللقاء وأطلق لساننا لتكلم بحرية في
موضوع هو أهم المواضع في حياتنا فاسمحي
لي أن أسأل : هل من مانع عندك أن اكون
محبك في العلانية كما في السر وعاشقك الشرعي ؟
- ليس المانع عندي يا جايس وإنما عند أبي
- عند البك ؟

- نعم فقد اخبرني انه اصطفى لي عريساً
اذا لم يكن أفضل من العريس الذي اخترته
لنفسى فلا يلزمني على الزواج منه
- وهل علم من هو العريس الذي اصطفته ؟
- كلا الى الآن لم أقل له لاني خفت

سوء المغبة

- كيف ؟

- خفت أن يغضب اذا علم اني اصطفت
عريساً ليس من ديني ولا جنسي
- اذاً لا فائدة اذا كان أبوك سيجد من
اختاره لك أفضل مني

- ولكن اذا كنت تغير دينك وجنسيته
فلا يعود يقدر أن يحد من ينزعك حق
الافضلية عندي في شيء

فهلّا تعرّض ؟

- كيف اعترض يا بنيتي ودينه الاسلام وجنسيته المصرية

فدهشت جميلة وقالت . يا لله : ماذا تقول يا ابت ؟ هل انت ساخر مني ؟

- كلا يا جميلة : هذا هو جميل الريدي الذي ابحث عنه من ثلاثين سنة وقد شخت وانا ابحث وساخ للمهنديون وهم يطلبون دمه وكادوا يورثون اولادهم هذه المهمة . فاهنتي يا حبيبتى . ان قلبك حيث قاي . ان جميل عاش معك سنتين في عهد الطفولة وسيعيش معك بقية العمر . فليبارككما الله

- ان وجودك هنا بغتة يا ابى يرينا

- لا ترتأى بي يا ابنتي . لقد خفت ان يكون الشخص الذي تختارينه غير لائق بك فيعذر علي ان اصدقك عنه وقد وعدتك اني لا اعارضك فيه اذا كان اكفاً من اخترته لك . وشعرت انك كنت اليوم تقصدين ان تقابليه سرّاً لتتفقي معه الاتفاق النهائي . فتجسست عليك حتى علمت انك خرجت من البيت بحبرة ثم لبست البرنيطة في المركبة وخالعت الحبرة ودخلت الى هنا وانا اراقب من خلال سور الحديقة . وقد شاهدت كل شيء وسمعت معظم الحديث . وكان قاي يقتبط اغتباطاً عظيماً وانا اسمع الحديث الذي يحقق امانى فالحمد لله والف حمد . هلم بنا الى منزلنا الآن وما هي الا ايام معدودة حتى كتب كتاب جميلة على جميل بك الريدي

أما علي بك فقابل هذا الكلام بالا بتسام قائلًا : أهذا هو الرجل الذي اصطفيته عربياً يا جميلة ؟ لا تكذبى قولي الصدق . فانا باب ظالم ولا غي . اني احترم المواطنين الشريفة وافهم لغة القلوب . فهل تخمين جايمس لام حقيقة ؟ قولي لا تخافي

فنظرت اليه مستيئسة وقالت : نعم . يا ابت . لا انكر عليك اني احبه واحببته منذ كنا تلميذين في لندن . وما اجتمعنا في حياتنا الا هنيهات تعد بالثواني وتفاهم قلبانا من ذلك الحين . وما تسنى لنا ان نتفاهم بلغة البشر الا الآن . فان كان هذا يفضلك فاضفه الى ذنوبى وعاقب . فالانسان ان لم يكن في نعم فلا يكون في غير الجحيم

- وهل انت واثقة انه يحبك ؟

- اني واثقة ، غير مخدوعة ، اوفليكذبني - فقال جايمس : اقول لك الحق اني عرفتها قبل ان اعرفك ولا جأها درست العربية لكي آتي الى مصر موظفاً انكليزياً . وفي سبيل حبها عرضت نفسي لنقمة التاقين فقال علي بك متهدداً : اذاً لقد تمت كل امانى يا بنيتي فهذا عريسك . وهذه عروسك يا جميل

فقات جميلة : اذاً لا تذكر لي بعد الآن العريس الذي اصطفيته لي

- هذا هو العريس الذي اصطفيته لك منذ ولدت يا بنيتي ولكنه يصبر على دينه وجنسيته .

الفصل الثاني والعشرون

فصل الخطاب

— ٢٤٢ —

والحكمة اخيراً تفصل في القضية بحسب
الارحية .

فقال الحامي عن المهنديين : ان الحق
واضح معنا يا سيدي كل الوضوح فان هذه
العلامة الموشوم بها جميل الربيبي الحقيقي هي
كما ترونها واضحة للعيان هي قوس وسهم في وتر
القوس . فترون هنا الوتر منحنيّاً كان الرامي
يشده الى الوراء لكي يرميه . ولكن في وشم
الشخص الاخر واسمه الحقيقي جايمس لام
وقد زور علي بك سيف هذا الوشم في صدره
تري الوتر غير منحني كانه لم يفهم معنى هذه
العلامة . زد على ذلك ان الوشم في جميل
الربيبي الحقيقي واضح ولكنه في جايمس لام
الزور مطبوس . وهكذا التقليد لا ينطبق

على الاصل

عند ذلك تقدم شخص الى الحامي من
جهة علي بك سيف وقدم اليه خطاباً مكتوباً
عليه « مستعجل » ففضه واطلع عليه وقال -
عندنا هنا ياسعادة القاضي برهان دامغ قطعت
جهازه فيه قول كل خطيب
- ما هو ؟

- هنا خطاب بخط يد المرحوم علي باشا
الربيبي الى زوجته مرغريت بنت جون صوان

وفي تلك الاثناء حانت الجلسة التي كان
ينتظر فيها ان تحكم المحكمة حكماً نهائياً لمصلحة
آل المهندي بناء على ان الشخص الذي
قدموه للمحكمة هو جميل الذي نصت عليه
وصية علي باشا الربيبي وكلف علي بك سيف
تنفيذها بعد موته

ولكن ما بسطت القضية على بساط البحث
حتى قدم علي بك سيف للمحكمة مذكرته
وقدم لها جايمس لام بصفة كونه جميلاً ابن
علي باشا الربيبي بعينه . وقد شرح في مذكرته
جميع الاسباب التي تؤيد صحة دعواه واسهب
فيها ولم يدع شاردة ولا واردة حتى انه
أتى على ذكر المكائد التي كادها آل الربيبي
لاغتيال جايمس لام او جميل الربيبي

فوقمت المحكمة في حيص بيص ولا سيما
حين رأى القاضي بعينه العلامة الموشومة في
كلا الشخصين المزعوم كل منهما انه جميل
ابن علي باشا الربيبي . واخيراً قال القاضي
ان كلا من الشخصين يصح ان يكون جميل
بك الربيبي ابن علي باشا لأن في كل منهما
الشروط المرجحة . فلا بد ان يكون احدهما
مزيفاً والاخر حقيقياً . فعلى كل من الخصمين
أن يدحض حجج الآخر ويؤيد حجته ودعواه

وصليب لا رسم قوس ووتر وسهم . وإنما تبقى
امامنا مسأله طموس الرسم في جايس لام
ووضوحها في الشخص الآخر

فقال علي بك سيف على الفور كانه
يخاف ان تضع الفكرة منه أو تطير . لا يخفى
على سعادة القاضي ان الوشم الذي وشم في
زمن الطفولة لا يبقى واضحاً بعد ٣٠ سنة
كان الجسم فيها ينمو ويتغير كثيراً . واما
الوشم الموشوم حديثاً فيبقى واضحاً .
ثم لا يخفى على سعادتك ان جميل الربيعي
ابن مصري وانكليزية . فاي هذين الاثنين
وارث من الملامح الانكليزية اكثر ؟ ان
المزعوم أنه جميل الربيعي يظهر كانه على
شاكلة خصيان الفراعنة . أما جميلنا ففيه شيء
من الملامح الاوربية . وان شئت برهاناً
اوضح فاطلب علي الحيزوم من سجنه واستحلفه
بالله وبرسوله العظيم الكريم (صلعم) من
كان يغريه على اغتيال جايس لام .
فاذا قال لك أن المهندين اغروه فسلمهم لماذا ؟
فيقولون لك : لانه هو جميل الربيعي بعينه
ونريد ان نزيله من سبيلنا الى ميراث علي
باشا الربيعي

فكاد الحضور يصفقون استحساناً لولا
ان القاضي اتهمهم وعند ذلك لم يسع الحكمة
ان تحكم الا بالعدل لجايس لام انه جميل
الربيعي الحقيقي وأنه يستحق الارث شرعاً .
وصاح الجمهور فليحي المدل اساس الملك .
فليحي جميل الوطني

والخط يشابه تماماً خط الوصية التي كتبها
المرحوم علي باشا نفسه اعلي بك سيف
يفوضه بتنفيذها . وهذا نص الخطاب -

« عزيزتي مرغريت جون صوان -
اتأسف ان التقاليد الاجتماعية العسوفة حالت
بيننا . ابنا الطفل جميل مودع في مكان امين
يربى فيه الان . وثقي اني سأضمن شرعية
بنوته لي بموجب وصية اودعها عند احد
اصدقائي . وسأكتب لك حينئذ اذا
استطعت . وقد وشت ايسر صدر الطفل
بعلامة مميزة له حتى لا يتيسر التلاعب بشخصيته
او ابداله . والعلامة هي هلال في وسطه
صليب كرمز لأن ابا الطفل مسلم وامه مسيحية .
فاذا لاح لك يوماً ان تعرفه فبهذه العلامة .
كتبت هذا باللغة العربية ليكون كسند
رسمي في يدك . وشفعته بترجمة انكليزية
سقيمة اللغة علي ما اظن ولكنك تفهمينها .
لا انساك . وعسى ان يتاح لي ان اراك ولو
في الاخرة . ساجيني فقد كان ما كان عن
اضطرار »

« علي باشا الربيعي »
فلما سمعت المحكمة والحضور والخصوم
نص الخطاب دهشوا . ثم قدم المحامي الخطاب
الى القاضي فقابله بالوصية فلم يجد فرقاً في
الخطين كأنهما كتباً في وقت واحد . فقال
الحق ان هذا خط علي باشا الربيعي لا ريب
فيه . فاذاً الرسم الذي فيه خط منحن كانه
وتر القوس مزيف . والرسم الحقيقي هو هلال

— عذراً يا سيدي لقد ساحتهم من صميم فؤادي
— وليكني قاسيت منهم
— لم تقاس اكثر مما قاسيته انا فلا تدعني اكثر منك حلاًماً
فالحم علي بك وقال : اذا ندع الامر للنيابة فهي محي الجرائم الميتة . اذ لا بد ان نحاسب المهندين على مكايدهم اذا كان علي الحيزوم يعترف
وقد صح ظن علي بك سيف فان النيابة اشتغلت شغلاً وعوقب المهنديون

وارفضت المحكمة وجمهور الحضور خرجوا يهنئون جامعس لام او جميل الريبي بفوزه على خصومه . وما تخاص منهم الا اقتصاص الشعرة من العجين . فركب الى جنب علي بك سيف حميه في مركبته وذهب تواء الى منزل علي بك حيث استقبلتها جميلة وامها بالزغردة والتهليل
ولما استقر بهم المقام قال علي بك : بقي امر يا عزيزي جميل
— ما هو
— ان نعاقب المهندين على جرائمهم

الفصل الثالث والعشرون

انكشاف السر الاخير

— خطاب ابي لامي بنت صوان ؟ نعم
اني افكر فيه . كيف جاء هذا الخطاب اليه في اخرج الاوقات
— الا تظن ان امك ارسلته ؟
— هذا ما افكر فيه . وهو ما حيرني .
ترى هل سمعت امي بقصتي فارسلت الخطاب الى المحامي ؟
— ليس ظنك بعيداً عن الحقيقة يا عزيزي فان جرائمنا هنا كانت تروي وقائع القضية بالتفصيل لانها أهم قضية في المحاكم الان . حتى جريدة الايجيشن غازت كانت تروي تفاصيلها . وكانت شركة روتر تنقل ملخصها

وكان جميل في ذلك النهار ضيف حميه وهو يتمتع بلقاء عروسه جميلة وعمر الساعات وهما لا ينتهيان من الاحاديث المختلفة عن الماضي الى ان سكت جميل مفكراً تفكيراً عميقاً فقالت جميلة : ماذا بك يا عزيزي ؟
— افكر في امي . لا يزال امرها لغزاً
انوق ان اعرفها وافكر في كيف استرشد اليها
— عسى أن تكون لا تزال حية فتتمتع بعشرتها وعطفها ان كانت لا تزال تعطف
ثم دخل عليها علي بك وقال : اما خطر لك خاطر بشأن الخطاب الذي وافي من عالم الغيب الى القاضي ؟

الى جرائد لندن كما علمت . فلا بدع ان تكون
امك قد قرأتها هناك

كل هذا ممكن . ولكنه لا يزال في
موضع الشك . وهناك امر آخر اذكره
الان وهو قول اللورد كرومر لي يوم تنافرنا
في الحديث الاخير ان مقاماً سامياً اوصاه
بي . فهل لامي صلة بالمقام السامي ولا تريد
ان تتظاهر ؟ ومن هو المقام السامي يا ترى .

لو كنت اعرفه فلعلني اهتدي منه الى امي
عند ذلك دخل الخادم يقول : يا سيدي

هنا سيدة انكليزية سائحة تريد ان تزورك
فاتفض جميل وقال لا يبعد ان تكون امي
فاسرع علي بك واستقبلها ودخل بها
الى البهو فبادرته قائلة : اني اتيت لزيارة
الانسة جميلة فهل تسمح بمقابلاتها

حل ترغيبها بيدي
— اعرفها جيداً فقد قضت في ضيافتي
اسبوعاً في لندن

— ستكون بين يديك في لحظة
وخرج علي بك بروعي الخير فقالت

جميلة : اعلمها ام دورا زوجة الدكتور جيروم
فقال جميل : وانا اود ان اراها ايضاً
ودخل جميل يقود جميلة . فلما وقع
نظره على الزائرة ارتد الى الوراء متجهماً
لانه رأى اللابدي فيفر

أما اللابدي فيفر فابتسمت وهملت ملء
محياها وقالت : يسرني ان ارى جميلاً ايضاً
فلطالما تفت ان استرضيه فلم انجح فعسى ان

انجح الان

فقال جميل لقد خبت سعيماً يا سيدة
فاجمه الله لا يفرقه انسان . كنت توديز
الحيلولة بيني وبين جميلة ولكن الله ابى الا
اللقاء الابدي

— لقد سئت ظناً يا عزيزي فما كان لقاؤك
بجميلة غريمي وانما جفاؤك لي كاد يقتلني
عجباً ! جفاؤي لك ؟

— نعم لظالما سعيت الى لقائك فمأندتي
المقادير لانك اسأت بي ظناً

— ولماذا سعيت الي بعد ان خاشنتني
حين جئت اليك بكلام من شندي لال ؟

— لم اكن اعرفك . وقد باغتني مجيئك
في اخرج اوقاتي اذ كنت على اهبة زواج ،
ولكن راحت السكره وجاءت الفكرة بشندي
لال فقدمت على ما فرط مني لاني ادركت

بعد خروجك من عندي ان شندي لال كان
يقدم لي ضالتي المنشودة . فالغيت الزواج
بتأناً وشرعت اسعى الى ضالتي . ولا تدري
كم كافني ذلك السعي

— عجباً . كيف كنت ضالتك المنشودة ؟
كنت ضالتي المنشودة التي أمنت عليها لال ثم
لما علمت ان شندي لال مات ذبت خوفاً عليك
وقد اصبحت بلا ملاذ . وكيف يهنأ عيشي
بعد ذلك ؟

وانفجرت الدموع من عيني اللابدي
فيفر فلم يبق لجميل شك بانه واقف لدى امه
فقال وهو متأثر شديد التأثير : اذا شندي

لال لم يكن الا وصياً عليّ من قبلك
- بالطبع لاني لم أجد آمن منه عليك
وقد كان صديقاً لنا صادقاً . فلم أجد غيره
وصياً عليّ ابني الوخيد حشاشي
فذهل جميل والحاضرون واسترسلت
اللايدي فيفر بالبكاء.

فقال عفواً يا اماء . كيف طقت ان
تبقي جاهلة احوال ابنك مدة حداته

- كنت مضطرة يا بني فلا تسئل . ان
التقاليد وطيش الشباب اهتني عنك وكنت
مطمئنة عليك مع شندي لال . فلما علمت انه
مات ثارت في كل عواطفي الوالدية فمكفت
على الزهد بالدنيا والبحث عنك ولما ضقت
ذرعاً استسلمت للمقادير . ثم علمت أنك
برحت الى مصر . فاوصيت بك مقاماً سامياً
فصدق بوعده واوصى بك . وكنت اعال
النفس بان اعود الى مصر واجتمع بك خال
دون ذلك مرض عظام هديلي . ثم سمعت
بحكاية جريمك فسكت على الضيم الى أن
ثبت انها جرعة مزورة . فشكرت الله وتشددت

وانت لـكي اهنتك ببرائكك . ولما جئت
اطلمت على قضيتك مع خصومك في جريدة
الايجيشن غازت فارسلت خطاب ابيك الى
القاضي مع خطاب بني لكي يكون تنزيهة
لدعواك . والحمد لقد نجحت فاهنتك

وهنا استرسلت اللايدي بالبكاء فانقض
جميل عليها وعانقها وعانقته وكانت برهة
عناق ظللتها ملائكة السماء

ثم تقدمت جميلة واطقتها وقالت باركلي
يا اماء فاني كنتك اذا كنت تريدن
فقبلتها اللايدي فيفر وقالت لقد تمت
سعادتي بقرانكما يا ولدي .

ثم قبلت اللايدي فيفر عليّ بك وقالت
ان فضلك عظيم يا عليّ بك اذ عنيت بأمر
ابني . انك لجدير بان تكون حماه

- اذاً تكونين معنا يالايدي لتشاركينا
بانراستا الى المات

وهكذا حضرت اللايدي فيفر عرس
ابنها وعاش الجميع معاً مسرورين الى الان
تارة في مصر واخرى في لندن .